

المرأة الواثقة

بدء اليوم بشجاعة وبدون خوف

بقلم

جويس ماير

المرأة الواثقة

- المؤلف : جويس ماير
الناشر : P.T.W للترجمة و النشر
ت: ٢٦٦٧٨٩٨٠ / ٢٦٦٧٨٩٨١
المطبعة : شركة الطباعة المصرية ت: ٤٦١٠٠٥٨٩
الجمع التصويري : P.T.W للترجمة و النشر
رقم الإيداع :
الترقيم الدولي :

English title: **The Confident Woman**

copyright © Joyce Meyer

ISBN-13: 978-0446-58073-1

جميع حقوق الطبع في اللغة العربية محفوظة للناشر وحده،
ولا يجوز استخدام أو إقتباس أى جزء أو رسومات توضيحية من الواردة
في هذا الكتاب بأى شكل من الأشكال بدون إذن مسبق منه

المحتويات

مقدمة	٥
الجزء الأول - الثقة هبةً من عند الله	١٣
١- الثقة هبة من عند الله	١٥
٢- وضع الأمور في نصابها الصحيح	٢٩
٣- هل يستخدم الله المرأة في الخدمة؟	٤١
٤- سبعة أسرار للمرأة الواثقة	٥٣
٥- المرأة التي لم أحبها	٦٩
٦- الانتصار على الشك في الذات	٨٩
٧- قوة الإعداد والتهيئة	١٠١
٨- عندما يقول العالم "لا!"	١١٧
٩- هل النساء هنَّ الجنس الضعيف؟	١٢٧
١٠- خطوات نحو الاستقلال	١٤٥
الجزء الثاني- الحياة بشجاعة وبغير خوف	١٦٥
١١- التركيب البنيوي للخوف	١٦٧
١٢- للخوف أقارب	١٨٣
١٣- العلاقة بين الضغوط والخوف	٢٠١
١٤- اختاري الشجاعة	٢٠٩
١٥- الفائزون لا يتوقفون	٢١٩
١٦- كوني امرأة شجاعة	٢٢٩
١٧- ابدئي يا فتاتي	٢٤٣

المقدمة

لقد قطعنا شوطاً كبيراً
ولكن لا يزال الطريق أمامنا طويلاً
«تحتاج المرأة لأن تكون أفضل من الرجل مرتين (ضعفين)
لكي تبلغ ما بلغه» (فاني هيرست)

منذ بدء العالم لم تتمتع النساء بقدرٍ مقبول من الاحترام، ولا احتلن مكانهن اللائق في المجتمع. ومع أن هذا قد تمَّ تصحيحه في العالم الغربي إلا أنه لا زالت هناك ثقافات في عالمنا تعامل المرأة معاملة سيئة فظيعة. وهذا مأساوي!

على أن النساء هنَّ هدية الله الثمينة للعالم، فإنهن مبدعات حساسات عطوفات موهوبات، وهنَّ عطية الله الثمينة للعالم، ويقول الكتاب المقدس إنهن مساويات للرجال.

خلق الله آدم أولاً، وسرعان ما اكتشف حاجته إلى "معين" وليس إلى عبد، فخلق الله امرأة من أحد أضلاع آدم، ودعاها حواء. لاحظي أن حواء أخذت من جنب آدم، بالقرب من قلبه؛ لا من قدمه. فلم تُخلق لتُداس أو ليُسْتَهان بها أو ليُقلل من شأنها؛ لكن لأن الرجل محتاجٌ إليها. وقال الله إنه ليس جيداً أن يكون آدم وحده، فلم يكن آدم كاملاً بدونها. وهذا عين ما نراه اليوم، فالرجال يحتاجون للسيدات، ويحتاجون إلى ما هو أكثر من مجرد طبخة أو مشرفة منزل أو مُنتجة أطفال أو شريكة جنس.

ولا أقصد بقولي "لم يكن آدم كاملاً بدونها" أن كل شخص يجب أن يتزوج ليكمل، فإن ٤٣٪ من أول زيجة في أمريكا تنتهي بالطلاق، كما أن ٦٠٪ من ثاني زيجة تنتهي إلى المصير نفسه.

وبينما يريد معظم الناس أن يتزوجوا شريك عمر يقضون معه عمرهم كله، يدعو الله البعض ويقويهم ليُمضوا حياتهم بغير زواج. ولما كنت أوجه هذا الكتاب للنساء أقول لهنَّ بصراحة "فمعظم النساء يتزوجن، ولكن لو لم تتزوجي أنتِ، فهذا لا يعني مطلقاً أن هناك خطأ ما فيكِ أو أن حياتك ينقصها شيءٌ ما."

الرجال والنساء يعملون جنباً إلى جنب

أعتقد أن الله أعطى المرأة حاسة سادسة لم يعطها للرجل، نسميها "الحدس النسائي" وهي أمر واقعي وليست خرافة. وإليك كيف تعمل: الرجال عادةً منطقيون جداً بينما تميل النساء إلى تحكيم مشاعرهن أكثر. فمثلاً الرجل المدير قد ينظر إلى استمارة طلب وظيفة، فيرى فيها خبرة طالب الوظيفة وشهاداته العلمية والوظائف التي سبق أن شغلها، فيقرر توظيف هذا الطالب بناءً على "حقائق". على أن المدير (شريكة المدير في العمل) قد تسترشد بحدسها ومشاعرها فتري في طالب الوظيفة شخصاً ذا ميول تخريبية لا تتضح بمجرد الاطلاع على استمارة طلب الوظيفة. كما لا يعني أن هناك خط اتصال بين الله والنساء لا يستطيع الرجال التمتع به، في الواقع هذا الحدس العاطفي عند المرأة قد يسبب لها المشاكل أحياناً، وحينئذ تحتاج إلى منطق الرجل لكي ترى الأمور بوضوح.

هنا أقول إن الرجال والنساء يحتاج أحدهما للآخر، كما ذكرتُ في

المثل الذي ضربته أعلاه، فلا المدير ولا المديرية رأى صورة طالب الوظيفة رؤية كاملة واضحة. لهذا يجب أن يعمل الرجال والنساء معاً جنباً إلى جنب في توافق، يحترم أحدهما الآخر كمتساويين.

ولكن لأجل تنظيم الأمور قال الله إنه إذا تزوجت المرأة فلتخضع لرجلها. ولندرك معنى الخضوع أقول إنه لا يمكن لشخصين أن يمسكا بعجلة قيادة سيارة ليقوداها، ويضغط كل منهما على الفرامل في نفس الوقت! فمن الضروري أن يجلس واحد فقط في مقعد القيادة. على أن هذا لا يعني أن الله قصد أن يسود الرجل على المرأة، أو يعتبر أفكارها بلا قيمة. (ويستطيع زوجي دافيد أن يخبركم كم هو رائع أن يكون معك شخص في السيارة يستطيع أن يستشعر متى ضللنا الطريق ولا يمنعه كبرياؤه من أن يتوقف ليسأل)

ماذا تعرفين عن عالم النساء؟

جرت مؤخراً بحوث عن المرأة كشفت الكثير عنها. أجيبني على الأسئلة الآتية لتعرفي إن كانت اختباراتك ومواقفك تتفق مع اختبارات ومواقف غيرك من النساء:

- ١- تحصل معظم الأمريكيات كل ليلة على قدر كافٍ من النوم
- ٢- الوقت الوحيد الذي تستريح فيه المرأة الأمريكية من مسؤولياتها وأعمالها الروتينية هو عطلة نهاية الأسبوع
- ٣- معظم الزوجات الثانية لا تورط الأطفال في مشاكل
- ٤- تقضي معظم الأمهات الأمريكيات وقتاً ذا قيمة مع أولادهن، أطول مما قضت أمهاتهن معهن حينما كن أطفالاً
- ٥- الرياضة هي أول ما تحتاج المرأة الأمريكية أن تقضي فيه وقتاً أطول
- ٦- معظم الأمريكيات راضيات عن كمية الوقت الذي يصرفنه مع أزواجهن
- ٧- أول ما تفتقده الأمريكيات في زواجهن قبل أن يلدن هو الوقت في ممارسة الجنس
- ٨- تقول معظم الأمهات الأمريكيات إن أزواجهن آباء حققوا ما توقعنه منهم
- ٩- تقول معظم الأمهات الأمريكيات إنهن - لا أزواجهن- يقمن بحلّ مشاكل بيوتهن
- ١٠- تقول معظم الأمهات الأمريكيات إنهن لا يملكن الوقت الكافي لأنفسهن

إجابة أسئلة "ماذا تعرفين عن عالم النساء؟"

١- خطأ- ١٥٪ فقط يحصلن على ٨ ساعات على الأقل من النوم كل ليلة.
٢- خطأ- نصف الأمريكيات اليوم يقضين عطلة نهاية الأسبوع في القيام بالأعمال الروتينية، وبالمسؤوليات العائلية الأخرى.
٣- خطأ- ٦٥٪ من الزيجة الثانية تورط أطفال الزيجة السابقة في مشاكل.

٤- صحيح- ٧٠٪ من الأمهات الأمريكيات يقلن إنهن يقضين مع أولادهن وقتاً أطول مما فعلت أمهاتهن معهن.
٥- خطأ- تتمنى ٦٩٪ من الأمهات الأمريكيات أن تقضين وقتاً أطول متمتعات مع أولادهن في نشاطاتهم. وجاءت الرياضة بعد ذلك بنسبة ٦٧٪.

٦- خطأ- تريد ٧٩٪ من النساء أن يقضين وقتاً أطول مع أزواجهن
٧- خطأ- الأمهات الأمريكيات يفتقدن وقت ممارسة الجنس مع أزواجهن. لكن ٦٩٪ منهن يفتقدن النوم، بينما ٢٢٪ فقط يفتقدن الجنس
٨- صحيح- ٥٦٪ من الأمهات يقلن إن أزواجهن هم الآباء الذين بحسب توقعاتهن، ولو أنهن يقلن إن هذا ليس دائماً إيجابياً. ولكن ال ٤٤٪ الأخريات يقلن إن أزواجهن فُقن ما كنَّ يتوقعن منهم كأباء
٩- صحيح- وقد يصدم هذا بعض الرجال، لكن ٦٠٪ من الأمريكيات يقمن بحل مشاكل بيوتهن

١٠- صحيح- ٩٠٪ من الأمهات الأمريكيات يتقن إلى وقت كاف مع أنفسهن

اسأل امرأة القرن الحادي والعشرين ماذا تشعرين عن نفسك؟

وستعترف كثيرات أنهن يكرهن أنفسهن

بسبب سنوات من سوء المعاملة والحكم الظالم للمرأة فقدت سيدات كثيرات ثقتهم في أنفسهن، وهي ما أراد الله أن يتمتعنَّ بها. وتعاني مجتمعاتنا من وباء الأشخاص غير الآمنين فيها، وتسبب هذه المشكلة صعوبة عظيمة في العلاقات، وهي إحدى أسباب تفشّي الطلاق في أيامنا هذه. اسأل امرأة القرن الحادي والعشرين "ماذا تشعرين عن نفسك؟". وستعترف كثيرات أنهن يكرهن أنفسهن. وهناك ثلاثة عوامل وراء هذا التفكير السلبي:

١- معاملة الرجل للمرأة معاملة سيئة عبر العصور تركت عند المرأة إحساساً بأنها دون الرجل في القيمة.

٢- رسم العالم للمرأة صورة باطلة غير واقعية لما يجب أن تكونه وأن تفعله. ولكن الله لم يخلقها لتكون نحيفة وذات بشرة لا عيب فيها، وذات شعر يهفهف. ولم يقصد الله لكل امرأة أن تكون صاحبة عمل ناجح إلى جوار واجباتها كزوجة، وأم، ومواطنة، وابنة. ولا يجب أن الفتاة التي لم تتزوج تحس بخسارة لأنها لم ترتبط بزوج، كما أن المتزوجة لا يجب أن تفتش على فرصة عمل لتكمل نفسها. فإن كان هذا اختيارهن فحسناً يفعلن، لأننا نمتلك الحرية التي تسمح لنا أن نستقل بقراراتنا.

٣- يكره كثير من النساء أنفسهن، ولا يثقن بها لأنه قد اعتدي عليهن أو رُفضن أو أهملن، فتدمرن عاطفياً، وهن يحتجن إلى اختبار انتعاش

فكري ليعرفن قيمتهن، وأرجو أن تعطي قراءة هذا الكتاب هذه الانتعاشة.

لقد قضيت سنوات أعاني من الاعتداء الجنسي في طفولتي، وترك هذا أثره البالغ على ثقتي في ذاتي وعلى صورتني في نظر نفسي، وكنت في داخلي خائفة جداً لكنني كنت أحاول أن أظهر من الخارج شجاعة قوية لا يهمني ما يقوله الآخرون عني، وكنت أتظاهر بهذا حتى لا يكتشف أحد حالتي الحقيقية. وكنت مليئة بالخجل وبإحساس بالخزي والذنب بسبب أمر ارتكبه أحد الرجال فيّ، وأعترف أنه نتيجة لذلك كنت أنظر لكل الرجال نظرة احتقار.

ولكنني اليوم أوّمن أنني أصبحت امرأة متزنة، لي زوج رائع وأربعة أبناء ناضجين، وأنا رئيسة ومؤسسة خدمة دولية للاتصالات تساعد ملايين الأشخاص ليتعرفوا على المسيح المخلص، وليختبروا حياة الحرية والكمال. ويعمل زوجي وأبنائي معي في هذه الخدمة.

وقد تعلمت في رحلة حياتي الكثير عن "الثقة". ويسرني أن أشارك القارئة في كل ما أعرفه لمساعدتها أن تكون كما يريد الله.. فهو يريدك أن تكوني شجاعة واثقة ومحترمة راقية مطلوبة ومحل إعجاب، وفوق الكل محبوبة.

عند الله خطة رائعة لحياتك، وأصلي أن تساعدك قراءة هذا الكتاب على الدخول بعمق في هذه الخطة أكثر من كل وقت مضى، فترفعين رأسك عالياً وقد امتلأت بالثقة في نفسك ومستقبلك، وتجدين الشجاعة التي تجعلك تؤدين أعمالاً جديدة ربما لم يعملها أحدٌ من قبلك، فأنت تمتلكين ما تحتاجينه لفعل ذلك!

الجزء الأول

الثقة هبة من عند الله

الفصل الأول

الثقة هبة من عند الله

الثقة هي أن تنظري بإيجابية لما أنتِ قادرة على فعله، وأن لا تقلقي على ما تعجزين عن فعله. والسيدة الواثقة منفتحة لتتعلم لأنها تعلم أن ثقتها ستتيح لها أن تدخل أبواب الحياة راغبة في أن تكتشف ما ينتظرها في الجانب الآخر، ولأنها تدرك أن كل جديد مجهول لها هو فرصة لتتعلم أكثر عن نفسها، ويطلق إمكانياتها.

والواثقون بأنفسهم لا يركزون على ضعفاتهم، ولكنهم يطوِّرون ويضاعفون نواحي قوتهم. فمثلاً لو كنت أقيس نفسي من واحد إلى عشرة، ففيما يختص بالعزف على البيانو مثلاً، ربما أحصل على درجة ٣ من ١٠، وبعد الكثير من التدريب وبذل الجهد (هذا في حالة إذا احتمل الزوجي هذا الوضع المزعج) فربما أرتفع إلى درجة ٥ من ١٠، أي درجة متوسطة. بينما فيما يختص بالخطابة أو الوعظ، فقد أحصل على درجة ٨ من ١٠، لهذا إذا اجتهدت وقضيت وقتاً في تطوير قدراتي في الخطابة، فقد أرتفع لأحصل على درجة ١٠ من ١٠. وهكذا، وعندما تقيمين نفسك بهذا الأسلوب يسهل عليك أن تري أين تستثمرين جهدك.

لا يحتاج عالماً إلى صاحبات القدرات الضعيفة، فلسنا في عوز إلى من يحققن مستوى ٤ أو ٥، إنما يحتاج عالماً إلى كمال درجة ١٠. وأعتقد أن كل واحدة منا يمكنها أن تصل إلى ١٠ في بعض الأمور. وتكمن مشكلة بعضنا أنهن يحاولن التغلب على ضعفاتهن أكثر من

تطوير قدراتهن. وعادةً يكبر ما نركز عليه في أعيننا أكثر من اللازم، ويمكن أن نجعل من أمرٍ ما مشكلة كبيرة، بينما لو نظرنا إليه في مستوى قدراتنا نجده مجرد مضايقة بسيطة.. لنفترض أنك ضعيفة في الحساب، فتجاهدين لتحسبي ١٥٪ من فاتورة المطعم الذي أكلت فيه لتقدميها للعامل الذي خدمك. وتعزمين أن تطوّري قدراتك في الحساب، فتشترين كتباً فيه، وربما تلتحقين بأحد فصول دراسة مقرر تعليمي في جامعة أهلية. وهكذا قد تضيعين الكثير من الوقت والجهد الذي كنت قبلاً تقضينه في عمل ما أنت متميزة فيه بدرجة ١٠ من ١٠، فقط من أجل أن ترتفعي بمستواكي في أمور أخرى من درجة ٣ إلى ٥ من ١٠، أي درجة متوسطة.

أليس من الحكمة أن تحوّلي مسؤولية حساب هذه ١٥٪ لمن يجيدها أفضل منك؟ أو تحتفظين بجدول ضرب ١٥٪ في حقيبة يدك؟!

في إحدى مقابلاتي التلفزيونية أجريت مقابلة مع رجل وزوجته، فسألت الزوج (وكان قسيساً) عن نقاط ضعفه، فأجابني "أنا لا أركز على ضعفاتي. أنا متأكد أن عندي ضعفات ولكني لا أذكرها الآن بسبب عدم تركيزي عليها". فقلت له ضاحكةً إنني سأسأل زوجته فيما بعد عن ذلك لأنني واثقة أنها تعرف ضعفاته حتى لو لم يعرفها هو!.

وعندما جاء وقت سؤالها سألتها أول شيء عن ضعفات زوجها، فأجابت: "زوجي في نظري لا عيب فيه. أنا لا أركز النظر على ضعفاته، فإن عنده نقاط قوة أركز عليها، وأساعده ليكون كل ما يقدر أن يكونه".

وأدركتُ فوراً سر سعادة هذين الزوجين وروعة حياتيهما معاً، فإن الواثقين من أنفسهم معتادون على التفكير والعمل بإيجابية، فيتمتعون بحياتهم، وينجزون الكثير.

الإنسان بدون ثقة يشبه طائرة قابعة على المدرج، خالية من الوقود. فبالرغم من أنها قادرة على الطيران ، إلا أنها بدون وقود ستظل قابعة على الأرض بدون حركة. فالثقة هي الوقود بالنسبة لنا، فثقتنا - أي إيماننا أننا نستطيع أن ننجح - هو الذي يجعلنا نبدأ ويساعدنا لكي نكمل

أمام كل تحدي نواجهه في الحياة. أما بدون الثقة فإن المرأة تعيش في خوف لا ينجز شيئاً.

تمكّنا الثقة أن نواجه
الحياة بشجاعة وانفتاح
وأمانة، ونتخلّص من
القلق، ونحيا في أمان
فنعيش بالصدق

تمكنا الثقة أن نواجه الحياة بشجاعة وانفتاح وأمانة، وأن نتخلّص من القلق، ونحيا في أمان فنعيش بالصدق، فلا نتظاهر بغير حقيقتنا لأننا مطمئنات إلى

من نحن، حتى لو كنا مختلفات عن المحيطين بنا، فإن الثقة تسمح لنا أن نختلف عنهم وأن نكون متفردات.

فقد خلقنا الله متفردات ومع ذلك يقضي البعض منا حياتهن يحاولن تقليد الآخرين، فيصيبهنّ البؤس. فلتعلمي أن الله لن يساعدك أبداً لكي تصبحي شبه شخص آخر، لأنه يريدك كما أنت! يمكنك أن تكوني متأكدة من هذه الحقيقة!

إن صاحبات الثقة المتدنية لسن متأكدات من شيء، يعرجن بين الفرقتين، ذوات رأيين، دائمات الإحباط والخيبة. فإذا اتخذن قراراً يمزقهن الشك في صوابه، وتكون النتيجة أنهن لا يعشن الحياة بشجاعة، بل يعشن حياة ضعيفة وصغيرة ويفقدن الحياة المتسعة الفائزة المليئة بالمكافآت، تلك الحياة التي يريد الرب أن يتمتعن بها.

قد تعرفين بعض وعود الله لشعبه، وهي وعود سلام وسعادة وبركة.

فهل عرفت أن وعود الله هي لكل البشر؟ إنه لا يحابي أحداً، لكنه يضع شروطاً لبعض الوعود كما يضع أبٌ شروطاً لابنه إن أحسن الابن القيام بشيء محدد.

يطلب الله أن نتقدم إليه واثقات أنه أمين في تحقيق وعوده، وهو يحبك ويريدك أن تطمئني وترتاحي في محبته، وأن تختبري سلام الفكر الذي يمنحه لمحبيه فلا يعذبهم الخوف والشك. وهناك نساء يرتعبن من ذكر اسم الله لأنهن يعتقدن أنه جالس في عليائه ينتظر غلطة ليصب غضبه على مرتكبتها. وأنا لا أقول إننا لا نتحمل نتائج أفعالنا، ولكن الله لا يسعد بمعاقتنا، فهو يبغى لنا النجاح والبركة. وهو رحيم، فإن كنا نقدر أن نقبل رحمته يعطينا بركة بينما نحن نستحق العقاب. والحمد لله أنه لا يرى فقط أفعالنا، بل يرى اتجاهات قلوبنا، وإيماننا بالمسيح.

عندما نضع ثقتنا في محبة الله ولطفه نتقدم في الحياة الواثقة ونتمتع بها. لاحظي أنني قلت "الثقة في الله" لا في نفوسنا، فقد اعتاد الناس عندما يسمعون عن الثقة أن يظنوا أننا نتحدث عن الثقة في الذات، وهناك "وعاظ التلفزيون" الذين يدعون مشاهديهم أن يثقوا في نفوسهم. فلنبدأ اليوم بأن نضع ثقتنا في المسيح وحده، لا في أنفسنا، ولا في الآخرين، ولا في العالم ونظمه، فإن كفايتنا من كفاية المسيح (فيلبي ٤: ١٣). ولنقل إن ثقتنا مستمدة من ثقة المسيح، وإن لنا ثقة في نفوسنا لأن يسوع يسكن فينا فنستمد الثقة منه.

والآن خمني أنك عضو في فريق كرة سلة قائدة موهوبة ومن أفضل لاعبات العالم، وهي تشجع فريقها ليكون أفضل فريق لا يهزم أبداً، وبهذا تحرك الفريق كله ليقدم أفضل ما عنده، فتلعبين معها وأنت واثقة

من النصر لأن القائدة تملك المعرفة والخبرة اللازمتين لبلوغه، فتبذلين غاية الجهد وتقومين بواجبك كاملاً. وحتى لو لم تلعبى فإنك تنالين نصيباً من فرحة النصر ومكافأته. وستجدين أن ثقة قائدتك مُعدية، وتلعبين بشجاعة لأن قائدتك تلهمك.

فإذا قلتُ إنني واثقة، وكثيراً ما أقولها، لا أعني أنني واثقة في نفسي وقدراتي، إنما في الرب قائدي، وفي ما منحه لي من مواهب ووزنات ومعرفة. إنني أعلم أنني لا أستطيع أن أعمل شيئاً بدونه (يوحنا ١٥: ٥) لكنني معه بطلّة، لأنه يُخرج أفضل ما فيّ.

.. " وَنَفْتَحِرُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، وَلَا نَتَكَلُّ عَلَى الْجَسَدِ " (فيلبي ٣: ٣)
أي أننا لا نتكل على قدراتنا الجسدية ومنظرنا الخارجي.

هل تعانيين من نقص الثقة؟

يمكن أن نعتبر نقص الثقة حالة مرضية كأي حالة مرضية أخرى، ويرجع سببها لنقص في شيء ما، وزيادة في شيء آخر. فيستلزم وجود حالة نقص الثقة وجود فائض من الخوف. والخوف فيروس عاطفي يبدأ كفكرة في عقلك، ثم يؤثر على مشاعرك وسلوكك - وهذا يشبه داء الأنفلونزا الذي ربما يهاجم جسدك نتيجة مصافحة أو عطسة، فتشعرين بالبوّس.

والخوف فيروس خطير، لأن الخائفة غير واثقة وعاجزة عن تحقيق قدراتها الكامنة، ولا تخرج من المكان الذي تعتبره آمناً لتقوم بأي شيء، فالخوف سيدٌ قاسٍ يقيد ضحاياها في عذاب دائم. وينكسر قلبي كلما رأيت امرأة خائفة فاقدة الثقة لأنها لن تعرف الفرحة أو تختبره، فالروح القدس نفسه يحزن، لأنه انسكب في قلوبنا لكي يساعدنا على

تحقيق الخطة التي وضعها الرب لحياتنا، ولكنك لا تستطيعين أن تعيشي هذه الخطة عندما تسمحين للخوف أن يغلق باب حياتك وأنتِ تظلين مسجونة خلف هذا الباب تعانين من الإحساس بالخوف وقد ملأتك كراهية الذات وإدانته، وأنتِ خائفة من رفض الآخرين ومن الفشل. فمعظم ضحايا الخوف ينتهي بهم الحال إلى "مُرضيات للناس" فيحكمهن الآخرون ويتلاعبون بهن، فهن يتنازلن عن حقهن في أن يعشن حقيقتهن، ويقضين حياتهن في محاولات لكي يصبحن كما يريدن الآخرون. ومن المؤسف أنه عندما نرغب أن نكون غير ذواتنا الحقيقية فإننا نقيدها ونقيد قوة الله عن العمل فينا. فإن لم تكن واثقات فلن نحقق أبسط الإنجازات. أما إن كانت عندنا ثقة فإننا نقدر أن نصل إلى ارتفاعات مذهلة.

ربما بعد أن قرأت الفقرة السابقة والقول "ارتفاعات مذهلة" تقولين لي: "أنا عاجزة عن القيام بأي أمر مدهل، وأنا أخاف من المرتفعات". إن كانت هذه حالتك فأرجوك ألا تيأسي، فقد استخدم الله أشخاصاً عاديين ليقوموا بأعمال غير عادية، بعد أن خطوا أولاً خطوة إيمان في اتجاه المجهول وغير المعتاد، وكان يجب أن يؤمنوا أنهم قادرون أن ينجزوا ما يقومون به.. إن كلمة "أنجز" (لأنها تبدأ بحرف "أ") تجيء في القاموس قبل كلمة "وثق". لكن في حياتنا اليومية تجيء الثقة قبل الإنجاز.

ومن المهم أن نلاحظ أنه في حالات كثيرة حاول الناجحون مراراً أن ينجحوا ففشلوا، ولكنهم بدأوا من جديد ولم يفقدوا ثقتهم عندما كان كل شيء من حولهم يصرخ "فاشل! فاشل! فاشل!" تصرخ في وجوههم.

قال المخترع إديسون: "لا أبالغ إن قلت إنني أنشأت ثلاثة آلاف نظرية بخصوص الضوء الكهربائي، كل نظرية منها معقولة ومن المحتمل أن تكون صحيحة. وفي حالتين فقط برهنت تجاربي صحة نظريتي!".

هذا يعني أن إديسون وهو يسعى إلى النجاح طَوَّر ٢٩٩٨ نظرية فاشلة، فقصة الضوء الكهربائي طويلة ومُتعبة. وتخيلّي معي إديسون وهو يفشل مرة بعد مرة ولكنه يعاود المحاولة لأن ثقته في نظريته ثبتتته في عزمه. ولا يعني هذا أن الأشخاص العاديين الذين ينجزون أعمالاً فوق عادية لا يشعرون بالخوف، فأعتقد أن الملكة أستير شعرت بالخوف عندما طُلب منها أن تترك المكان الذي اعتادت الإقامة فيه لتدخل القصر الملكي ليستخدمها الله لتنقذ شعبها؛ وأعتقد أن الخوف استولى على يشوع بعد موت موسى وهو يتلقّى التكليف أن يقود شعبه إلى أرض الموعد؛ وقد خُفتُ لما دعاني الله لأترك وظيفتي وأستعد للخدمة فارتعشت ركبتي وكدتُ أسقط على الأرض. وإن أذكر خوفي هذا أخاف أكثر وأنا أفكر في كيف كانت ستكون حياتي لو لم أواجه خوفي وأناضل لأطيع دعوة الله. فلا تخافي من المضي في القيام بما يجب أن تقومي به بالرغم من خوفك من ذلك.

وأني أتساءل: أين كنت سأكون اليوم، وماذا كنت سأفعل لو أنني أعطيتُ الخوف فرصة ليعطلني عن طاعة دعوة الله؟ هل كنتُ سأكون سعيدة؟

هل كنت سأحقق نفسي؟ هل كنت سأكتب كتاباً عن "المرأة الواثقة"؟
أو: هل كنت سأكون جالسة في بيتي مكتئبة أتساءل: لماذا أنا مُحِبطة؟..
إن الذين يسمحون للخوف أن يسيطر عليهم يُتعمسون أنفسهم.

عزيزتي القارئة، هل تؤيدن ما تعتقدن أنه ما يجب أن تقومي به

ليست الشجاعة غياب
الخوف، لكنها العمل بالرغم
من وجود الخوف،
والشجعان هم الذين يعرفون
ما يجب أن يفعلوه .
لا ما يشعرون أنهم يحبون
أن يفعلوه

في هذه المرحلة من حياتك؟ أو هل سمحت للخوف ونقص الثقة أن يعطلاك عن الانطلاق في عمل جديد، أو لمستوى أعلى من العمل القديم؟.. إن كانت إجابتك غير مرضية لك فاسمحي لي أن أقدم لك أخباراً سعيدة: لا زالت أمامك فرصة لتبدئي من جديد. لا تبقي يوماً واحداً في ذات المكان مع مخاوفك. اعزمي الآن أن تعيشي بشجاعة وثقة، ولا تسمحي للخوف أن يستمر مسيطراً عليك. لا تستمري جالسة في مكانك تنتظرين أن يرحل الخوف عنك، بل عليك أن تبدأي في التحرك بالرغم من شعورك بالخوف. فالشجاعة ليست غياب الخوف، لكنها التحرك بالرغم من وجود الخوف. والشجعان هم الذين يفعلون ما يعلمون أنه يجب عليهم فعله، لا ما يشعرون أنهم يحبون أن يفعلوه.

إني سعيدة بكتابة هذا الكتاب، وأعتقد أنه سيغير كثيرات من قارئاته وينقلهن إلى طريق حياة جديدة كانت تنتظرهن منذ وقت طويل، وربما لم يحصلن عليها بسبب خوفهن أو تخويفهن. الشيطان هو سيد الخوف ومصدره.

ولكن حينما تدركين أن هو سبب تردُّك تستطيعين أن تمارسي سلطانك عليه بأن تضعي ثقتك في المسيح، وتتقدَّمي لتكوني ما يجب أن تكوني عليه.

قال الله ليشوع: "تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ! لَا تَرْهَبْ وَلَا تَرْتَعِبْ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكَ مَعَكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ" (يشوع ١: ٩). وهو يرسل لك نفس الرسالة اليوم: لا تخافي! الرب معك وهو لن يتركك ولن يهملك. وقيل لإبراهيم: "اللَّهُ مَعَكَ فِي كُلِّ مَا أَنْتَ صَانِعٌ" (تكوين ٢١: ٢٢). هذا يبدو لي أنه دعوة لحياة كبيرة وامتسعة. فهل أنت مستعدة لأن تعيشي حياة أكثر اتساعاً، حياة تملأك بإحساس عميق بالشعب والاكتفاء؟ أنا أثق أنك مستعدة، وسأبذل

كل جهدي لمساعدتك في رحلتك .
 أنا أعرف جيداً ماذا يعني أن تعيش في خوف، فالخوف قد يصل إلى درجة الشعور بغصة في أحشائك ويجعلك متوترة وعصبية حتى يدرك جميع من حولك أن هناك خطأ ما بك لأن تعبيرات وجهك وجسدك تعلن ذلك! وفوق ذلك فإن نقص الثقة الذي فيك يُعدي غيرك من المحيطين بك، ويُنقص ثقتهم فيك. تخيلي لاعبة كرة سلة واقفة في ركن الملعب مكتوفة اليدين من الخوف- هل تتصورين أن أحداً سيمرر الكرة لها؟

عندما نظن أن الناس يرفضوننا نشعر بالألم. قد تظن لاعبة كرة السلة التي ذكرناها أن زميلاتها يكرهنها، ولكن، بالنسبة للذين يعانون من الخوف وعدم الثقة، يكمن جذر المشكلة في رفضهم لأنفسهم، فهم يرفضون الشخصية التي أرادهم الله عليها.

حالة ثقة نموذجية

كما أن هناك أعراض لعدم الثقة، هناك أيضاً أعراض للثقة، فالمرأة الواثقة تشعر بالأمان تصدق أنها محبوبة وذات قيمة، تلقى الاعتناء اللازم، مطمئنة في ما يريد الله لها. وعندما نشعر بالأمان فمن السهل أن نتحرك وأن نجرب أموراً جديدة . في بداية بناء كوبري (جسر) "جولدن بريدج" لم تُعمل له أدوات سلامة فسقط منه ٢٣ عاملاً وماتوا. ولكن قبيل المرحلة النهائية للبناء مدّوا شبكة كبيرة لسلامة العاملين وقد وقع في هذه الشبكة نحو عشرة عمال ولكنهم نجوا جميعاً من الموت. ولكن ما هو ملفت للنظر هو أنه بعد مد الشبكة زاد إنجاز العمال للعمل ٢٥٪ أكثر من قبلها. لماذا؟ لأنهم كانوا يشعرون بالأمان والطمأنينة على سلامتهم، لذلك كان لديهم الحرية لأن يعطوا أنفسهم أكثر للعمل بإخلاص.

عندما يشعر الناس بالأمان يجازفون بحياتهم وهم يحاولون أن ينجحوا. وعندما نعرف أننا محبوبات بغضّ النظر عن إنجازاتنا وإنتاجنا لا نعود خائفات من الفشل، لأننا متأكدات أن فشلنا في أمرٍ ما لا يعني أننا سنفشل في كل شيء، فنجرّب أن نقوم بما نحسن القيام به متأكدين أننا سنحتل موضعنا اللائق في الحياة. إن التجربة والخطأ طريقٌ للنجاح، ولن تصلي إلى غايتك في سيارة متوقفة، فتحرّكي إلى حيث يشير الله لك، فإن الواثقات يحاولن ويعاودن المحاولة حتى يجدن طريقاً للنجاح في العمل الذي دعاهن الله إليه.

صحيحٌ أن الحياة تجعلنا أحياناً نشعر أننا خاسرون، لكن الحقيقة هي أننا بدون الرب نخسر دائماً. فمثلاً شعرت الصغيرة ذات الثلاث سنوات باطمئنان بين ذراعي أبيها الواقف في حمام السباحة، ولكن أباهما اتجه ببطء نحو العمق وهو يغني برفق "إلى العمق.. إلى العمق.. إلى العمق". وكلما ارتفع الماء فوق الصغيرة أخذت علامات الرعب تبدو على وجهها وتمسكت بيدي أبيها وقدماه ثابتتان على أرضية حمام السباحة. ولو أن الصبية كانت قادرة على تحليل الموقف لتأكدت أنه لا داعي لخوفها المتزايد، فعمق المياه في أي مكان في حمام السباحة هو أكبر منها، ولكن أن سلامتها في حمام السباحة تعتمد على قوة وجودها بين ذراعي أبيها.

في أدوار خاصة من حياتنا نشعر أن المياه تطفو فوق رؤوسنا وأن المشاكل تحيط بنا. فقد نخسر وظيفة، وقد يموت عزيز علينا، وقد يحدث نزاع في البيت، وقد يجيئنا خبر سيء من طبيبنا. في مثل هذه الحالات يصيبنا الهلع لأننا نشعر أننا فقدنا السيطرة. لكن فكري في الطفلة في حمام السباحة، فالحقيقة أننا في المواقف الصعبة لا نسيطر على شيء،

ولكن نعمة الله هي التي ترفعنا، فالله هو أبونا الذي لا يتغير أبداً، ولا يصعب عليه أمر، ومعه نحن في أمان، مهما كنا صغاراً، ومهما كانت المياه عميقة حولنا.

الثقة التقيّة تقودنا إلى العمق

تزن "كاتي براون" ٩٥ رطلاً، وطولها أكبر قليلاً من خمسة أقدام، لكنها تقف أطول من هذا كثيراً عندما تتسلق حائطاً ارتفاعه مئة قدم، وهو ما يساوي ارتفاع مبنى من عشرة طوابق. ولا غرابة، فهي بطلة عالمية في "تسلق الارتفاعات الصعبة" وقد أذاع التلفزيون أخبار تسلقاتها. ويمكنك أن تخمّن كم هو مرعب أن تتسلق فتاة حوائط وجروفاً تبلغ ضعف طولها عشرين مرة! وتقول "كاتي" إن ثقتها القوية تعطيها السلام وهي تواجه أقسى التحديات. وقالت: "أعلم أنني ما كنت أبغ ما بلغته بدون ثقتي في المسيح. ولا يمنعي إيماني بالله من أن أكون خائفة وحذرة وأنا أتسلق إلى أعلى، فالخوف والحذر يساعداني على التعامل مع التسلق، ويخففان عني الكثير من الضغط لأنني أعلم أن الله لن يدينني إن كنت لا أفوز، وإنني أتساءل: كيف أحرز الميدالية الذهبية لو لم تكن لي ثقة بالله؟"

قد تكون الحوائط التي تقوم في طريقك طبيعية، وقد تكون نفسية أو عاطفية أو فكرية، وليس خطأ أن تشعر بالخوف أمامها، فليس من الحكمة أن تستهين بالتحديات الكبيرة، ولكنك يجب أن ترتاح في حقيقة أن الله لن يدينك إن فشلت في بلوغ القمة، كما قالت كاتي، حتى لو حاولت مئات المرات، فإن الله يهتم بمحاولاتك الأمانة المبنية على ثقته في أنه يحبك.

إن لم تنجحي عاودي المحاولة

أعتقد أن الفشل جزء من كل محاولة نجاح، كما قال جون مكسويل "يمكن أن نسقط للأمام" فالتاريخ عامر بأسماء أشخاص مشهورين قاموا بإنجازات عظيمة. ولكن إذا درسنا حياتهم سنجد أنهم فشلوا فشلاً ذريعاً قبل أن ينجحوا بل أن بعضهم فشل عدة مرات قبل أن ينجح في النهاية، ولم تكن مواهبهم سر نجاحهم بل كان تشبُّثهم وعنادهم. وكل من يرفض أن ييأس ينجح في النهاية. فكري في الأمثلة التالية:

■ فشل هنري فورد وأفلس خمس مرات قبل أن ينجح

■ طُرد بطل كرة السلة الأمريكي ميكيل جوردان مرة من فريق كرة

السلة بمدرسته

■ قِيمَ رَيْسُ الممتحنين بطلَ الشاشة فريد أستير بقوله "لا يقدر أن

يمثّل لأن شجاعته محدودة، ولكنه يمكن أن يرقص قليلاً".

■ رفض ١٤ ناشراً أول كتاب كتبه ماكس لوكادو، وأخيراً أعطاه أحد

الناشرين فرصة، فصارت كتبه أكثر الكتب مبيعاً

■ قال شخصٌ يدَّعي أنه خبير في كرة القدم عن فنس لومباردي

المدرّب الشهير إنه "يملك معلومات متواضعة عن كرة القدم، وينقصه

"الحماس"

■ طُرد والت دزني من العمل في جريدة بحُجة أنه غير مبدع، وأفلس

عدة مرات قبل أن يبني مؤسسة والت دزني

■ عند انتخاب إبراهيم لنكلن رئيساً للولايات المتحدة كتبت إحدى

جرائد ولاية إلينوي عنه إنه "قرد، ومن الأفضل قتله"

■ قيل للممثل الشاب برت رينولدز إنه عاجز عن التمثيل، وقيل عن زميله كلنت إيستوود إنه لن يُقبَل في التمثيل لأن تفاحة آدم عنده كبيرة جداً!

الأشخاص الذين ذكرناهم أعلاه نجحوا في مساعٍ كثيرة، ولكنهم متشابهون في أنهم جميعاً كانوا مثابرين.

ويقف جون وسلي عملاقاً في مثابرتة، نقرأ في مذكراته:

الأحد ٥ مايو صباحاً

وعظت في كنيسة القديسة حنة وطلب مني ألا أعود للوعظ عندهم مرة أخرى

الأحد ٥ مايو مساءً

وعظت في كنيسة القديس يهوذا. لا أقدر أن أعود للوعظ فيها أيضاً

الأحد ١٩ مايو صباحاً

وعظت في كنيسة القديس الآخر. عقد الشماسة اجتماعاً خاصاً وقالوا لي ألا أعود لكنيستهم

الأحد ١٩ مايو مساءً

وعظت في الشارع، وطُردت من الشارع

الأحد ٢٦ مايو صباحاً

وعظت في أحد المروج، وطُردت منها لأن الأهالي أطلقوا ثوراً هائجاً علينا أثناء وعظي

الأحد ٢ يونيو صباحاً

وعظت على أطراف المدينة، وطُردت من هناك

الأحد ٢ يونيو مساءً

وعظت في مكان لرعي الماشية وجاء عشرة آلاف شخص ليسمعوني
ومن هذا يتضح أن وسلي كان مثابراً، ويواجه الرفض والفشل بروح
مرحة. الاستسلام للفشل من إمارات الثقة، فأشجعك أن تستمري في
المحاولة، فإذا لم تنجحي في البداية عاودي المحاولة.

الفصل الثاني

فلاوفي الطبع

لم يقصد الله للنساء أبداً أن يكنَّ أقلَّ من الرجال في تقدير أي شخص، كما أنهن لسن فوق الرجال، وعلى الجنسين أن يعملوا معاً لمصلحتهما معاً. وما أغبى المنافسة بين الجنسين، فعندما عرفت النساء أنهن يجب أن يحاربن للحصول على حقوقهن تطرّفت بعضهن. ويبدو أن البشر الناقصين يعيشون في أحد جانبي خندق، وكسائق سيارة مبتدئ نبدأ نتجه إلى جانب من الطريق، ثم نحاول أن نصلح الأمور فنتجه بسرعة خطيرة إلى الجانب الآخر لنكتشف أننا خرجنا من الطريق! إن مفتاح السلام بين الجنسين هو الاتزان، فدعونا نرى ما يقوله الله عن هذا.

رؤية المرأة من وجهة نظر الله

خلق الله المرأة ثم قال إن ما خلقه حسنٌ جداً، فصدّقي ما يقوله الله عنك لا ما يقوله عنك البشر. لقد خلقك الله وقال "رائع!" فأنت من صنَع إلهي. ويقول مزمور ١٣٩ إن أعمال الله عجبٌ، فلا بد أنك عجيبة.

لكن لما كانت حواء قد عصت الله أولاً، وشجعت زوجها على العصيان، صارت للمرأة من وقتها سُمعة سيئة. وكان يجب على آدم أن يرفض تجربة حواء له بدل أن يلقي باللوم عليها باعتبارها سبب الكارثة، مع أن الله خلق آدم أولاً، وأوصاه هو بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر.

وإني متأكدة أن آدم أخبر حواء بوصية الله، كما أنني متأكدة أن آدم لم يكن منضبياً عندما جاءت التجربة، فيقول الكتاب إنه "بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتْ الخُطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ" (رومية ٥: ١٢ وانظري ١ كورنثوس ١٥: ٢١، ٢٢). ولست أعفي حواء من المسؤولية، فقد أساءت الاختيار وكان عليها أن تحمل الوزر، ولكنها لم تكن المسؤولة الوحيدة، فقد كان الخطأ "خطأ فريق".

وتعرفين القصة، فقد بدأ الشيطان بإغواء حواء، واستخدمها لتغوي آدم، فكلاهما مسؤول. ومن المؤسف أنه من وقتها يلوم كل منهما الآخر منذ وجودهما في جنة عدن.. وقد حان وقت التغيير!

هل فكرت في سبب اتجاه إبليس لحواء أولاً لا لآدم؟ أعتقد أنه ظن أن اللعب بعواطفها أسهل من لعبه بعواطف آدم. وفي العادة (ولكن ليس دائماً) تنساق المرأة لعاطفتها وينساق الرجل لمنطقه. ونجح إبليس أن يجعل حواء تفعل ما كانت تعلم أنها لا يجب أن تفعله، وخدعها كما يفعل حتى اليوم مع كل من يسمع له.

وبعد السقوط تعامل الله مع آدم ومع حواء، ومع إبليس أيضاً، فقال له: "أَضَعُ عداوةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ" (تكوين ٣: ١٥). وعلق لورن كنجهام ودافيد هاملتون في كتابهما "لماذا ليس النساء؟": "منذ قال الله للشيطان في جنة عدن إن نسل المرأة سيسحق رأس الحية بدأ الشيطان يهاجم كل امرأة على وجه الأرض".

يوضح تكوين ٣ أن الشيطان والمرأة ضدان، ومنذ البدء كره الشيطان المرأة، لأن المسيح سيولد من امرأة، وسيهزم الشيطان وكل أعماله الشريرة ويسحق رأسه.

نظرة إلى الوراء

كثيراً ما وُصفت المرأة في الأساطير والكتابات اليونانية القديمة بأنها لعنة شريرة، على الرجال أن يحتملوها، فقال أفلاطون إنه لا يوجد جحيم، وإن العقوبة الحقيقية للرجال أن يحتملوا السيدات (ألا تظنين أن "أوبرا" يجب أن تسأل أفلاطون بخصوص قوله هذا وهي تحاوره في برنامجها التلفزيوني الشهير!) وقال إن الرجال لا يدخلون العالم إلا بالسيدات، ولكن الرجال بعد ذلك عجزوا عن معرفة كيف يتعاملون معهن. ويعتقد كثيرون أن أفلاطون فيلسوف عظيم، وقد أثرت أفكاره على حضارتنا تأثيراً كبيراً. فهل يمكن أن بعض الأفكار السائدة عن المرأة تعود إلى عام ٤٠٠ ق م؟

وفي إلياذة هوميروس، هذه الوثيقة القديمة في الأدب الأوربي، نقرأ أن المرأة هي سبب كل نزاع ومعاناة وبؤس، وأن النساء أشياء يجب امتلاكهن، ولكن لا فائدة فيهن.

وقال الشاعر هسيود إن زيوس كبير آلهة اليونان يكره النساء، وقد خلقهن من عشرة مصادر: من أنثى خنزير طويلة الشعر، وثعلب شرير، وكلب، وتراب الأرض، والبحر، وحمار عنيد متعثر، وابن عرس، وشعر طويل من عنق فرس، وقرد ونحلة. ويزيد الأمر سوءاً قال هسيود إن النساء سبب كل تجربة وشر.

ومختصر الكلام:

إن النساء

يحتجن للرجال

ويحتاج الرجال

للنساء

من الاقتباسات الثلاثة أعلاه ترين أن لكراهية النساء جذوراً عميقة، وأعتقد أن الشيطان قضى قرناً يزور بذور الأفكار الخاطئة عن المرأة

في كل المجتمعات، مما أدى إلى سوء معاملة المرأة، فضعفت ثققتها بنفسها، وكان رد فعلها إما ضياع الثقة؛ أو الانضمام للحركات النسوية المتطرفة التي تحاول أن تحل مشكلة حقيقية بتطرف يخلق مشاكل أكثر مما يحلها.

وباختصار: إن النساء يحتجن للرجال، كما يحتاج الرجال للنساء، وهذا لا يعني زواج كل الرجال والنساء، بل أن يسير الجنس معاً أمور الحياة بلطف، فقد خلقهما الله ليحتاجا لبعضهما. وتخطى منظمات تحرير المرأة وهي تعبر عن كراهيتها لجنس الرجال، شاعرة أن المرأة يمكن أن تعيش أفضل بدون الرجل.

صحيح أنه أسوء للنساء وافتري عليهن وعملن باحتقار عبر العصور، لكن أفكار المرارة والانتقام من جانبهن لا تصح خطأً، فالشر لا يصلح الشر.

ودعوني أتحدث عن نفسي: فقد أساء أبي إليّ جنسياً لسنوات طويلة، كما عانيتُ من سوء معاملات الرجال لي حتى بلغت الخامسة والعشرين من عمري، فتميتُ داخلي كراهية لكل الرجال، ولعبت أدواراً مختلفة لأنني كنت خائفة جداً من أن يُساء إليّ من جديد، فكنتُ أمثل دور من لا تحتاج إلى أحد.

وأعرف أنه قد أسوء لنساء كثيرات منعاملات في تحرير المرأة، وقد نالهن الأذى والجروح من أجساد الرجال التي طالما ضغطت أجسادهن، فملأهن الخوف من تكرار الضرر. وأنا أفهم مشاعر هؤلاء النساء، ولكني أريد أن يعرف الجميع من كلمة الله بمساعدة الروح القدس أنني قد شفيتُ روحاً ومشاعر وعقلاً وإرادة وشخصية، واستغرق ذلك عدة سنوات. ومن اختباري أقول إن عند الله طرقاً للتعويض

والشفاء تختلف عن طرق العالم، ومن الأفضل جداً أن تطلبي من الله أن يشفيك من أن تقضي حياتك مرة النفس بسبب الماضي.

إحصائيات فظيعة

في كل يوم تُرتكب في عالمنا جرائم فظيعة ضد النساء والأطفال العاجزين عن ردها، وقد زادت أخيراً تجارة الجنس، إذ يُخطف البشر ويُباعون للاستخدام الجنسي. ويقول المسؤولون في أمريكا إنه في عام ٢٠٠٤ تم تهريب نحو ٦٠٠ ألفاً إلى ٨٠٠ ألف رجلاً وامرأة وطفلاً، ٨٠٪ منهم تقريباً من النساء والبنات، و ٥٠٪ منهم أحداث.

من هؤلاء فتاة اسمها "نيري" من كمبوديا، مات والداها وهي صغيرة

فزوّجتها أختها وهي في السابعة عشرة من عمرها. وبعد ثلاثة شهور من الزواج أخذها زوجها لتزور إحدى قرى الصيادين، استأجر فيها الزوج غرفة ظنت نيري أنها دار ضيافة. وفي الصباح لم تجد زوجها، وقال لها صاحب الغرفة إنه اشتراها من زوجها بثلاثمئة دولار، وإنها الآن في ماخور. ولمدة خمس سنوات كان تغتصب يومياً خمس إلى سبع مرات، علاوة على الضرب والإهانة. وأصابها داء الإيدز، فتخلص منها صاحب الماخور وطردها. وماتت وهي في الثالثة والعشرين من العمر.

وتزداد الحالة سوءاً، ففي العالم يُقدَّر أن ما بين ١١٤ و ١٣٠ مليون امرأة يُختنّ، وختان الإناث عادة قديمة لا تزال تُمارس لحفظ "طهارة" البنات، وهذا يجعل العلاقة الحميمة بين الزوجين والولادة مؤلمتين للغاية. ويُمارس ختان البنات في أفريقيا والشرق الأوسط.

أما في أمريكا، ففي كل دقيقتين ونصف يُهاجم شخصٌ مهاجمة

جنسية. وسُدس نساء أمريكا كُنَّ ضحايا محاولة اغتصاب جنسي أو ضحايا اغتصاب كامل، ٦٦٪. منهن ضحايا أشخاص يعرفونهن. وفي عام ٢٠٠٣ ارتكب ١٠٪ من جرائم العنف أشخاصٌ يعرفون المجني عليهم معرفة وثيقة، ٧٩٪. من الضحايا من النساء. وفي ذات العام كان القاتل شريك الحياة أو الصديق الحميم. ومعروفٌ أن كل من أصابته أضرار العنف شخصية عزيزة مخلوقة على صورة الله. فلا نعتبر الضحايا مجرد أرقام في إحصائيات، بل أفراداً ذوي قيمة.

في زيارة قمتُ بها حديثاً لأفريقيا زرتُ ملجأً (ميتماً) لأطفال مصابين بالإيدز، ولاحظتُ صفاً من الأكواخ فسألتُ عنها، فقال لي مضيئاً إنها مخصصة للفتيات اللاتي لا يجدن طعاماً أو مأوى، فيذهبن إلى كوخ منها ليجدن طعاماً ومكاناً للمبيت مقابل تقديم أجسادهن للزنا، وكثيرات منهن في الثامنة أو التاسعة من العمر.

إن انحطاط قيمة النساء مشكلة عالمية، ولكنها تزيد في البلاد ذات التراث غير المسيحي، فقد قال الإنجيل إن الرجال والنساء واحد في المسيح (غلاطية ٣: ٢٨) وتتوقف قيمتنا على علاقتنا بالمسيح، فإن جنسنا لا يحدد قيمتنا، بل الله هو الذي يحدد.

حركات حقوق المرأة

علينا أن نقدّر ونشكر النساء اللاتي حاربن في سبيل حقوق المرأة، فحدثت منذ عام ١٨٤٨ تغييرات رائعة. وقد بدأت حركات الدفاع عن حقوق المرأة عندما اجتمعت خمس سيدات معاً لاحتساء الشاي، وقادهن الحديث إلى حالة النساء، فأبدت إحداهن (وهي إليزابيث ستانتون) عدم رضاها على الحدود المفروضة على الأمريكيات في الديمقراطية

الحديثة، وتساءلت: ألم تستمر حرب الثورة الأمريكية سبعين سنة لتضع أسس الحرية من الاستبداد؟ وألم تجاهد النساء في هذه الحرب كما جاهد الرجال؟ فلماذا لا نحتل مكانتنا في مجتمعنا الجديد؟

وهكذا قررت خمس نسوة أن يبدأن المؤتمر الأول لحقوق المرأة، الذي انعقد في مدينة سنيكا فولز بولاية نيويورك، في كنيسة وِسلِيَّة، يومي ١٩، ٢٠ يوليو ١٨٤٨. وفي هذا الاجتماع عدّدت ستانتون ميادين الحياة التي تُظلم فيها المرأة، مستخدمةً نفس أسلوب وثيقة الاستقلال، فقالت: "نتمسك بهذه الحقائق التي لا تحتاج إلى برهان، وهي أن الله خلق الرجال والنساء متساوين، ومنح الجنسين حقوقاً لا تتغير، منها الحياة والحرية والسعي وراء السعادة. ولكن تاريخ البشر مليء بالأذى المتكرر والحكم الاستبدادي من الرجال على السيدات. ونقدم للعالم النزيه هذه البراهين:

يعتبر القانون المرأة المتزوجة أنها ميتة

لا حق للنساء أن يصوّتن في الانتخابات

تطالب النساء بالخضوع لقوانين لا يشتركن في وضعها

ليس للمتزوجات حق في الميراث

للأزواج حقوق قانونية على النساء، حتى أنهم يحبسونهن

ويضربونهن، ويفلتون بدون عقاب

تحابي قوانين الطلاق والحق في حضانة الأطفال الرجال، ولا تعطي

النساء مثل هذه الحقوق

يوجب القانون على المرأة أن تدفع الضرائب دون أن يشركها في

وضع قوانين الضرائب

هناك ميادين عمل قاصرة على الرجال، وعندما تشتغل المرأة فيها تأخذ أجراً أقل من الرجل كثيراً

يُمنع على النساء العمل في ميادين الطب والقانون

المرأة محرومة من التعليم العالي، وترفض الجامعات التحاقها بها، في استثناءات قليلة يُسمح للمرأة أن تقوم بعمل كنسي

وهذا يعني حرمان المرأة من أن تثق بنفسها أو تحترم نفسها، ويجعلها معتمدة تماماً على زوجها

على أن النساء رأين التغيير قادماً، وكانت ستانتون وزميلاتها يأملن في أن مستقبل المرأة يمكن وسيكون لامعاً.

ويقول التاريخ إن معركة المرأة لتحصل على حقوقها كانت طويلة وقاسية، ففي أول الأمر صُدم الرجال وملاً قلوبهم الغيظ لأن النساء يطالبن بحق التصويت في الانتخابات، واشتركت معهم بعض النساء، ونشرت الصحف مقالات تعارض الحركة، لكنها استمرت ونمت بسرعة.

أين نحن اليوم؟

نعلم أن مكانة المرأة تقدمت، وإني أقدرّ جهادها الحسن الذي مهدّ للحرية التي أتمتع بها اليوم، ولو أنه للأسف لا زال هناك تعصب ضد المرأة في بعض الميادين، وقرأت مؤخراً أن الأمريكية تتقاضى ٧٧٪ من المرتب الذي يتقاضاه الرجل لتقوم بنفس العمل الذي يقوم هو به.

وكواعظة انتقدتُ لسببٍ وحيد هو أنني امرأة، لأن كثيرين يظنون أنه ليس للمرأة أن تعظ أو تعلم كلمة الله خصوصاً في وجود الرجال. وسأعالج هذا الموضوع فيما بعد لأثبت أن الله استخدم النساء في

الخدمة حسب القول "الرَّبُّ يُعْطِي كَلِمَةً. الْمُبَشِّرَاتُ بِهَا جُنْدٌ كَثِيرٌ" (مزمو ٦٨: ١١).

وبسبب هذا التمييز تشعر نساء كثيرات بعدم الثقة، ويخفن من الخطو إلى ما وراء خطوط المحظور عليهن. وأذكر أنني كنت أشعر أنني لست "طبيعية" لأنني كنت عدوانية، صاحبة أحلام وأهداف، أطلب القيام بعضائم. وحاولت أن أكون امرأة "طبيعية" ولكني فشلت. وإني سعيدة لأنني استطعت أن أقوم بأمر متطرف حقق أحلامي.

لقد جاء الوقت الذي فيه ننادي بأن الذي يهاجم النساء تابعٌ للشيطان الذي يسخر البشر لتنفيذ مخططاته الشريرة في تحقير النساء. يقول الكتاب المقدس:

"فَخَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. وَبَارَكَهُمْ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: "اَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَاَمَلُوا الْأَرْضَ وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ، وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ، وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانَ يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ" (تكوين ١: ٢٧، ٢٨).

أعتقد أن الله يخاطب الرجال والنساء في هاتين الآيتين على السواء، معطياً لهما ذات الحقوق والسلطان والحياة المثمرة. ونتعلم من الوحي أن السلطان لله، ويعطيه للرجل ثم للمرأة، وأن الرجل رأس المرأة كما أن المسيح رأس الكنيسة، وأن خضوع المرأة لزوجها أمرٌ لائق في الرب. وهذا لا يعني الإساءة والضرر والتسلط، بل بالعكس، على الرجل أن يحب امرأته كما يحب جسده ويطعمه وينمّيها (أفسس ٥: ٢١-٣٣).

والله إله نظام، وقد وضع نظاماً يضمن انسياب السلطة في هدوء وسلام، وهو يريدنا أن نخضع لبعضنا وأن نحترم بعضنا. فلو أن

زوجين نظماً حياتهما كما يريد الله، ستكون علاقتهما رائعة ومثمرة. على أن الكبرياء تدمر أهم العلاقات، فالأناني الذي يهتم بذاته فقط يفعل ما يشاء لتمضي الأمور كما يشتهي، بما في ذلك ظلم الآخرين واستغلالهم والإساءة لهم، بينما يريده الله أن يقوت شريكه ويربيه.

فإن كان صاحب السلطان يمارس سلطانه بالتقوى فإنه يحمي الذين تحت سلطته. لكن إن مارس سلطانه لخدمة ذاته فإن الذين تحت سلطانه يثورون ويقاومون، وفي أحسن الفروض تمتلئ نفوسهم بالمرارة. إن لي سلطاناً كبيراً وتعلمت أن "الرئيس لا يحتاج أن يتراًس" لأن الناس يحترمون الرئاسة ويطلبون رئيساً يتطلعون إليه باحترام، ما دام يُحسن معاملتهم.

وواضح أن كثيرين لا يعرفون كيف يمارسون رئاستهم بمسؤولية ومحبة، فما أكثر إيقاع الأذى بالأطفال، وهذا الشر في تزايد. ونسأل أنفسنا "كيف يجرو أحد أن يؤذي طفلاً بريئاً لا حول له ولا قوة؟" ومع ذلك فإن هذا يحدث في عالمنا كل يوم لأن بعض الكبار أنانيون. لقد أوقع بي أبي الأذى جنسياً ليُشبع رغباته الجنسية الأنانية، فقد كان في موقع السلطة، ولم يكن هناك من يوقفه عند حدّه، فتصرّف كما حلا له، ولم يحسب حساب الأذى البالغ الذي سبّبه لابنته، فقد كان كل تفكيره في ما أرادته في اللحظة التي يريدها.

وهناك أنواع أخرى من الأذى، إذ يحمل بعض الآباء خيبتهم على أولادهم بالقول والفعل، فيحرمونهم من النمو العاطفي الذي يحتاجونه، ويلومونهم ويتهمونهم ويكرهونهم ويعتبرونهم إزعاجاً، فيلسعونهم ويضربونهم ويحبسونهم ويجوعونهم، ويعاملونهم بطرق قاسية لا تخطر على بال. وليس من هدف هذا الكتاب أن يحكي قصص أطفال

تكسر القلوب، لكن أن أشجع كل امرأة لتحتل مكانها الواجب في العائلة والمجتمع، فقد آن الأوان ليكون لك رصيدك الطيب من احترام الذات، ومحبة نفسك باتزان، وثقتك التي لا تتزعزع في الرب وفي عطاياه لك من وزنات وقدرات أودعها داخلك. إنك امرأة يحبها الرب، وأنت مساوية للرجل، ولك قيمتك، فتأكدي من هذا. =

الفصل الثالث

هل يستخدم الله المرأة في الخدمة؟

يدور اليوم جدال حول استخدام الرب المرأة في الخدمة، فهل يمكن أن تكون المرأة قسيصة في كنيسة؟

وفي إثارتي لهذا الموضوع لا أقصد أن أجادل كل الرجال، فبعضهم يعتقدون أن للمرأة حقاً في أن يستخدمها الله، وقد بنوا اعتقادهم هذا على دراسة عميقة لما يقوله الكتاب المقدس في هذا الشأن، ورأوا أنه استخدم النساء وسيستخدمهن في أدوار قيادية أساسية، وأعرف رجالاً يحاربون في سبيل استعادة المرأة حقوقها الواجبة في الكنيسة.

على أن هناك رجالاً، بل وطوائف، يقاومون أن تشغل المرأة مكاناً قيادياً في الكنيسة، ويمنعون أن تقوم المرأة بالوعظ أو التعليم. ويقبلون فقط أن تعلم الأطفال في مدرسة الأحد.

فإذا رجعنا للتاريخ وجدنا أن المرأة قامت بمعظم الصلوات وأعمال الخدمة، بينما كان الرجال الذين منعوها من الوعظ والتعليم مستريحين في بيوتهم. فإذا زرتَ كنيسةً أمريكية ستجد النساء اللواتي يعلمن فصول مدارس الأحد أكثر من الرجال. ولو فسرنا قول الرسول بولس إن النساء يجب أن يصمتن في الكنيسة تفسيراً حرفياً لوجب أن تُوقف النساء من التعليم في مدارس الأحد، ولو جِب أن يؤدي الرجال وحدهم هذا العمل.

وقد وجدتُ أن معظم النساء اللاتي تحدثتُ معهن عن هذا الموضوع محتارات، خصوصاً اللواتي منهن يؤمنن أن الله يدعوهن لخدمته، ولكن يُقال لهنَّ إن هذا يناقض الكتاب المقدس. ومما يزيد حيرة الجميع أن النساء يشكلن أغلبية الحاضرين في اجتماعات الكنائس واجتماعات الصلاة. وكثيراً ما يقول القسوس إن الكنائس لن تبقى حيّة لو توقفت النساء عن حضورها وعن القيام بالخدمة فيها.

كثيراً ما يقول القسوس
إن الكنائس لن تبقى حيّة
لو توقفت النساء عن
حضورها وعن القيام
بالخدمة فيها

وأكرر القول إني مقدّرة وشاكرة للرجال المدافعين عن حقوق المرأة، محاولين فهم دورها في الكنيسة فهماً متّزناً، وهم كثيرون، وقد قابلت آلافاً منهم أظهروا لي كل إكرام واحترام. لكن هناك رجال في مواقع السلطة يمنعون النساء من القيام

بدورهن الصحيح. وإني أتساءل بحزن: لماذا يمنعون النساء من تحقيق ما يريده الله منهن، ويرفضون أن ينتبهوا لكل ما قاله الله عن المرأة؟ إن كان بعض الرجال يريدون أن يأخذوا كل السلطان، فلماذا لا يحتملون كل المسؤولية، فإن مع كل امتياز واجباً! من المؤسف أن نساء كثيرات يقمن بدور الرأس الروحي في بيوتهن، ويردّن أن يقوم أزواجهن بهذا الدور، فيطلبون وجه الله بانتظام ويقودون عائلاتهم في سبيل التقوى والبر. وأعرف رجالاً كثيرين يقومون بهذا، ومنهم زوجي، ولكني أرجو أن أرى رجالاً أكثر يفعلون هذا.

وإني أدعو النساء أن يصلين من أجل أزواجهن ليحتلوا مكانهم الواجب كرؤوس لعائلاتهم، كما أدعوهم ليشجعوهم على هذا ولا

يقاومونهم. وأعرف نساءً يقلن إن الزوج هو الرأس الروحي للعائلة، ولكن عندما يحاول الزوج أن يقود يقاومنه!

ما مقدار العمل الذي يؤديه المنتقدون؟

معظم الذين ينتقدون من يعملون هم عادةً الذين لا يعملون! ومن المؤسف أن ترى شخصاً لا عمل له إلا انتقاد من يعملون ليجعلوا العالم أفضل.

كنت عضواً في كنيسة كان راعيها يشعر أن النساء يُستخدَمن في دوائر محدودة بالكنيسة، وأن كل امرأة تحاول أن تعمل أكثر من المسموح به (وهو الصلاة وتنظيف المكان والعمل في الحضانة) يجب أن تمثل أمام مجلس الكنيسة (العُمدة) لتطلب التصريح لها به. وكنت قبل انضمامي لعضوية تلك الكنيسة أعلم بنجاح فصلاً لدرس الكتاب بمنزلي. وذات يوم أحدٍ قبل أن نغادر مبنى الكنيسة نادى ذلك الراعي زوجي وقال له "يا أخ دافيد، يجب أن تقوم أنت بتعليم درس الكتاب في منزلك، لا زوجتك". وكنتُ وزوجي نرغب في الخضوع لمن أعطاه الله مسؤولية القيادة، فبدأ زوجي يعلم وصمّتُ أنا. ولم يجد كلانا سروراً في ما حدث، كما كان هذا نفس شعور الدارسين في بيتنا. كان عند الراعي قوانين، لكن المشكلة كانت أن الرب دعاني أنا أن أعلم، ولم يدعُ زوجي الذي يتمتع بمواهب أخرى رائعة وهامة لخدمتنا، وليس التعليم من ضمنها. ولو لم يكن الله يريدني أن أعلم لحرمني من موهبة التعليم ومن الرغبة في القيام به - وأعرف أن الله لا يريد أن يحبط شعبه ويجعل الأمور تختلط في أذهانهم.

جاء ذلك الراعي من خلفية لا تؤمن برسامة المرأة قسيصة، وأن لا تحتل مركزاً قيادياً، ولا أن تعظ أو تعلم. ومن الغريب أن الكنائس التي

تؤمن بهذا ترسل مرسلات إلى البلاد الأجنبية. ولا أدري كيف تكون المرسلة فاعلة إن لم تعلم، إذ يستحيل عليها أن تقود شعب الرب دون أن تعظم بالإنجيل! قد يُقال إنها "تكرز". لكن المبدأ هو المبدأ! وقد يقول قائل إن المرأة يمكن أن تعلم خارج الكنيسة. ولكن هل الكنيسة بناء من أحجار، أم هل هي الشعب الذي دعاه الله من العالم ليتبع المسيح؟ إن الكنيسة أكثر من أحجار وأخشاب وزجاج ملون وبيانو!

وأثناء وجودي عضواً في تلك الكنيسة دعوت بعض السيدات للخروج معي مرة أسبوعياً لتوزيع نبيذ كرازية، فأعطينا المارة والذين في الأسواق، وبلغ عدد ما وزعناه في بضعة أسابيع عشرة آلاف نبيذة بهدف وحيد هو أن نخدم الله. واستدعاني مجلس الكنيسة ووبّخني لأنني قمتُ بشيء لم أحصل منهم على إذن مسبق للقيام به.

هؤلاء الذين انتقدوني لم يريدوا أن أوزع النبيذ، بل أوقفوني عن التوزيع. ويوسفني أن أقول إن عدم رضاهم عما قمتُ به تصرف استعلاءٍ ذكوري من جانبهم، فقد منعوني من عمل لا يريدون هم أن يقوموا به، فلوموني ليريحوا ضمائرهم المعذبة بالإحساس بالذنب.

المرأة في الخدمة: تقليد رسمه الله

عندما نتأمل في العهد القديم نجد مريم ودبورة وراعوث وأستير؛ وفي العهد الجديد نجد العذراء مريم، ومريم المجدلية وبريسكلا، فقد استخدم الله النساء في خدمته، فدعا أستير لتنقذ شعبه من مؤامرة الشرير هامان (أستير ٤: ١٤). فلو أن الله لا يستخدم النساء لدعا رجلاً ليقوم بهذه المهمة. وتركت أستير مكانها العادي المريح ودخلت القصر الملكي كواحدة من الحريم لتدافع في الوقت المناسب عن شعبها. وبسبب

طاعتها للرب منحها نعمة في عيني الملك فظهرت المؤامرة. وفي موقعها كملكة احتلت مكاناً قيادياً في الأرض واهتمت بالفقراء.

أما دبورة فقد كانت نبية وقاضية، وكنبية كانت تعلن أقوال الله، وكقاضية كانت تحكم باسمه الكريم (قضاة ٤: ٥).

لو أن الله لم يُرد
أن يستخدم النساء
في خدمته،
لما أدخلهنَّ ضمن أهم
أحداث حياة المسيح

أما مريم المجدلية وبعض النساء فكُنَّ أول من زرن القبر صباح أحد القيامة (يوحنا ٢٠: ١) فوجدن القبر

فارغاً، وقال لهن ملاكٌ "أذهباً سريعاً قولاً لتلاميذه إنه قد قام من الأموات". و"القول" المقصود هنا بمثابة الوعظ. ووجدت مريم والنساء سائر التلاميذ فأخبرنهم بالقيامة. ولم يصدق الرجال! وأتساءل: لماذا ذهب النساء للقبر، ولماذا لم يذهب الرجال؟

لقد وُلد يسوع من امرأة، ونساءً خدمن يسوع من أموالهن ورافقنه وهو يخدم، وكنَّ معه وهو يُصلب، وكنَّ أول من رآه مُقاماً. لو أن الله لم يُرد أن يستخدم النساء في خدمته لما أدخلهنَّ ضمن أهم أحداث حياة المسيح. يبدو لي أن الله أعطى المرأة مكانة مشرّفة، ولم يستبعداها كما يريد بعض الرجال أن يفعلوا.

هل تريدين مثلاً آخر؟ إليك بريسكلا وزوجها أكيلال الذين كانت لهما كنيسة في بيتهما، ولا بد أن بريسكلا قامت بدور إلى جانب زوجها في رعاية الكنيسة، لأن الوحي يذكرهما بالتساوي (أعمال ١٨: ٢-٢٦). ومن الملاحظ أن الوحي يذكر اسمها قبل اسم زوجها، مما جعل البعض يعتقد أن دورها في رعاية الكنيسة كان أكبر من دور زوجها.

وقد خدمت النساء مع المسيح، وخدمته أيضاً، ويستخدم الوحي الكلمة اليونانية المترجمة "شماس" عن الشامسة السبعة للنساء السبع وهن: حماة بطرس، مريم المجدلية، مريم أم يعقوب ويوسي، وسالومة أم ابني زبدي، ويونا زوجة خوزي، وسوسنة، ومرثا أخت لعازر.

وعندما يذكر لوقا سفريات يسوع يذكر أن الرجال الاثني عشر كانوا معه، وكذلك بعض النسوة، فهل يمكن أن هاتيك النسوة كان لهن دور مشابه لدور الرجال؟ هناك أكثر من عالم لاهوت على الأقل يؤمن بهذا. "وَأَخْرَجَ كَثِيرَاتٍ كُنَّ يَخْدُمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ" (لوقا ٨: ٣).

وعندما اجتمع ١٢٠ شخصاً في العلية يوم الخمسين كان النساء مع الرجال (أعمال ١: ١٤، ١٥).

فلو لم تكن النساء محتاجات لقوة يكرزن بها، لماذا ذكرهن الوحي بين من انسكب عليهم الروح القدس، فيقول عن النساء والرجال بوضوح: "سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَنَى حَلِّ الرُّوحِ الْقُدُسِ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهَدَاءَ فِي أُورُشَلِيمَ، وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ، وَالسَّامِرَةِ، وَإِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ" (أعمال ١: ٨).

وعندما تنبأ يوثيل عن حلول الروح القدس أعلن قول الله "أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بِنُوكُمْ وَبِنَاتِكُمْ، وَيَحْلُمُ شَيْوُخَكُمْ أَحْلَاماً، وَيَرَى شَبَابَكُمْ رُؤَى. وَعَلَى الْعَبِيدِ أَيْضاً وَعَلَى الْإِمَاءِ أَسْكُبُ رُوحِي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ" (يوثيل ٢: ٢٨، ٢٩).

ومن هذا نرى أن الإناث والذكور يتمتعون بهذا السكيب، وأن البنين والبنات يتنبأون أي يعظون بكلمات الوحي الإلهي.

ذكر الرسول بولس في رسائله ٣٩ شخصاً باعتبارهم خداماً، رُبِعَهُمْ عَلَى الْأَقْلَى مِنَ السَّيِّدَاتِ. وَقَالَ عَنْ اثْنَتَيْنِ مِنْهُنَّ "أَفُودِيَّةَ وَسَيْثِيخِي.."

اللَّيْنِ جَاهِدَتَا مَعِي فِي الْإِنْجِيلِ" (فيلبي ٤: ٢) فقد عملتا على نشر أخبار الإنجيل المفرحة.

والى جوار هذه السحابة من الشهود هناك كثيرات خدمن الرب خدمات كبيرة بنجاح، مثل سيدة جايون، وجان دارك، وكاترين بوث من جيش الخلاص، والأم تريزا..

لكن ماذا قال الرسول بولس؟

"لِتَتَعَلَّمِ الْمَرْأَةُ بِسُكُوتٍ فِي كُلِّ خُضُوعٍ.
وَلَكِنْ لَسْتُ أَدْنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَعَلَّمَ وَلَا تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ
بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ" (١ تيموثاوس ٢: ١١، ١٢)

في كل مناقشة تقريبا يسألونني عن رأيي في ما قاله بولس عن صمت المرأة في الكنيسة ومنعها من التعليم. والحمد لله أنه بعد كتابة هذا الكتاب سأطلب ممن يناقشونني أن يقرأوه قبل المناقشة.

وأقول أولاً إن في الكتاب المقدس حقائق مطلقة، كما أن هناك حقائق تناسب الزمن الذي كتبت فيه، ففي ١ كورنثوس ١٤ حين طلب من النساء أن يصمتن، كما طلب الطلب نفسه من فئتين من الناس، هم المتكلمون بالسنة والذين يعظون (١ كورنثوس ١٤: ٢٨، ٣٢، ٣٤) بهدف تنظيم العبادة، وليس للصمت عن الوعظ والتعليم بالإنجيل. ولا أظن أن الله يمنع راجباً في الوعظ بالإنجيل من المناداة به، فقد علمنا المسيح أن نصلي ليرسل الرب فعلة للحصاد، فالحقول جاهزة ولكن الفعلة قليلون (لوقا ١٠: ٢). ولم يقل المسيح "صلوا ليرسل الله فعلة من الرجال ليحصدوا".

ويبدو أن الذين طالبهم بولس بالسكوت كانوا من المتكلمين باللسنة، والذين وعظوا، وبعض النساء، الذين أوقعوا الخدمة في فوضى بأهداف مختلفة. فبعضهم كان يعوزهم ضبط النفس، وتنقصهم الحكمة ليتكلموا في الوقت المناسب. أما النساء فلم يكن متعلمات فأثرن أسئلة ليفهمن، لكن في غير الوقت المناسب.. وكان كثيرون من المؤمنين قد جاءوا من خلفيات وثنية كانت عبادتهم القديمة تتضمن رفع أصوات النساء. ويقول بعض المفسرين إن بعض النسوة من الخلفيات الوثنية رجعن إلى عاداتهن القديمة من صراخ وصون عال. فدعونا نتأمل ما قاله بولس في نور هذه الحقائق:

”لِتَصْمُتْ نِسَاؤُكُمْ فِي الْكَنَائِسِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مَأْذُونًا لِهِنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ بَلْ يَخْضَعْنَ كَمَا يَقُولُ النَّامُوسُ أَيْضًا.

وَلَكِنْ إِنْ كُنَّ يَرِدْنَ أَنْ يَتَعَلَّمْنَ شَيْئًا فَلْيَسْأَلْنَ رِجَالَهُنَّ فِي الْبَيْتِ، لِأَنَّهُ قَبِيحٌ بِالنِّسَاءِ أَنْ تَتَكَلَّمْنَ فِي كَنِيسَةٍ.

أَمْ مِنْكُمْ خَرَجَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ؟ أَمْ إِلَيْكُمْ وَحَدِّكُمْ انْتَهَتْ؟” (١ كورنثوس ١٤: ٣٤-٣٦).

كتب بولس لكنيسة كورنثوس رسالتين أو أكثر جاوب فيها على أسئلة وجَّهوها له. ويقول بعض علماء اللاهوت إنه يبدو أن بولس أعاد كتابة سؤالهم في آيتي ٣٤، ٣٥ ثم أجاب عليه في آية ٣٦ يقول ما معناه ”ماذا تقولون أيها الكورنثيون؟ هل نشأت كلمة الله في بلدكم؟ وهل لم تصل إلا إليكم؟“.. لاحظ التساؤل والدهشة في كلمة ”أم؟“.

يبدو أن بولس اندهش من سؤالهم، فقال إن كلمة الله جاءت لكل الناس. وأنا أميل لهذا التفسير الذي بدونه لا يكون للتساؤل ”أم؟“ معنى.

ويمضي بولس ليؤكد لقرائه أنهم يجب أن يهتموا بالوعظ والتكلم بالسنة وترجمتها، وأن لا يرفضوا هذه المواهب. ويختم حديثه بقوله "وَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ بِلِيَاقَةٍ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ".

ربما لاحظت أن بولس طالب النساء ألا يغتصبن سلطة الرجال، لأن بعض النساء اللواتي يعلمن ويعظن يملن إلى التسلط على سامعيهن. ولست في موقف الدفاع عنهن، لكنني شخصياً أعظ بكلمة الله، ولا أرى أنني أتسلط على الرجال ولا على النساء، لكنني أستخدم موهبة التواصل التي منحها الله لي لأحقق دعوة الله لي أن أعظ وأعلم، وهدفي أن أساعد شعب الله ليفهموا كلمة الله ويطبقونها على حياتهم. وعندما أعظ في اجتماع عام أرى الاجتماع تحت سلطاني وأني مسؤولة عن حفظ النظام فيه، ولكنني لم أشعر مطلقاً أنني أتسلط على البشر الحاضرين.

وربما كانت كنيسة كورنثوس تعاني من سيدة أو أكثر لا يلتفتن للمبادئ الكتابية، ولكن هذا لا يعني أن نعاقب كل النساء في كل الأجيال بسبب سوء تصرف قلة قليلة في زمن سابق لزماننا بقرون!

ويصعب علينا أن نعرف بالضبط ما جرى في كورنثوس عندما كتب بولس رسالته للكورنثيين. لكننا لا يجب أن نفسر هذه الآية بأن كل النساء ممنوعات من التكلم في الكنيسة، فإن الكتاب يحدثنا عن كثيرات قمن بالوعظ والتعليم.

وأراد بولس للنساء الراغبات في المعرفة أن يسألن أزواجهن في بيوتهن. وأكرر: إن الأمر للنساء بالصمت في الكنائس كان يهدف إلى حفظ النظام، والخضوع للسلطان القائم، لا لمنعهن من التعليم مطلقاً، فيتصرف كل من يحضر الكنيسة بلياقة وترتيب.

وقد أمر بولس النساء بتغطية رؤوسهن عندما يصلين أو يتنبأن والتنبؤ هو الوعظ الذي يدحض ويوبخ وينصح ويشجع (١كورنثوس ١١: ٥). فلماذا أمر بولس السيدات بهذا؟.. كيف يتنبأن وفي ذات الوقت يصمتن؟.. لا تنسي أن عادة تلك الأيام كانت أن تغطي المرأة شعرها علامة على احترام السلطة والخضوع لها، ونحن اليوم لا نمارس هذه العادة.

والخلاصة أقول: في ١ تيموثاوس ٢ يأمر بولس المرأة أن تتعلم بسكوت. وقد منع هذا الأمر آلاف السيدات من القيام بما قصده الله لهن. لقد عملت بريسكلا إلى جانب زوجها أكيللا في زرع كنيسة كتب لها بولس رسالة- فهل قصد بولس أن بريسكلا وسائر النساء لا يعظن؟ وهل قصد ألا يكن قائدات في كنائسهن، وهو الذي طلب من كنيسة روما أن تقبل الأخت فيبي خادمة في الكنيسة؟ (رومية ١٦: ١، ٢).

نحن لا نعرف بالضبط ما هو الموضوع الذي جعل بولس يكتب بهذا الأسلوب وهو يعالج هذا الأمر المثير للجدل. لكن من الواضح أنه كان يعالج حالة خاصة في زمن خاص، وليس وضع قانون عام لكل العصور.

ولا ننسى أن بولس في ١ تيموثاوس ٢: ٩ أمر "النساء أن يُزِينَ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ الْحِشْمَةِ.. لَا بِضَفَائِرٍ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لَالِيٍّ أَوْ مَلَابِسٍ كَثِيرَةٍ الثَّمَنِ". فهل تخطئ سيدة اليوم لو تزينت بذهب أو لآلي؟ قطعاً لا! فقد كان بولس يعالج حالة خاصة في زمن خاص، ولم يكن يريد للمؤمنات أن يتشبهن بأهل العالم، فقد كانت أفسس (حيث كان تيموثاوس يخدم) مدينة خاطئة، واعتبر بولس المؤمنة التي تزين باللالئ الباطلة تهتم بكل ما هو باطل، وطالبها بالتركيز على الجمال الداخلي لا على المظاهر الخارجية.

وعلينا أن نحذر من التورط في كل العادات التي سادت يوم كتب بولس رسائله، وإلا لزم الرجال أن يلبسوا أرواباً وسترة طويلة، لأن "البنطلونات" لم تكن معروفة زمن الرسول بولس. إن الملابس والعادات تتغير، وما كتبه بولس لنساء عصره يناسب زمناً خاصاً قد ولى ومضى.

ويعتقد بعض المفسرين أن بولس كان يخاطب سيدة انحرف سلوكها، وأرادها أن تُصلح من أمرها بأن تبقى في بيتها إلى أن تتعلم أنها ممنوعة من الكلام والتعليم في الكنيسة. وأنا لستُ عالمة لاهوت لأناقش هذه المشكلة بالتمام، ولكنني قرأت أفكار كثيرين من العارفين أفضل مني، وأكتب بعض ما أظن أنني عرفتُه منهم، وهو أن الله استخدم عبر التاريخ (ولا يزال) نساءً كقائدات ومعلمات وواعظات وقسيسات ومرسلات وموَلِّفات ومبشرات، وهكذا.

ولا تنسي أن الله يحبك ويريد أن يستخدمك بقوة لتساعدى الآخرين، ولا تصدقي من يقولون لك إن الله لا يريد أن يستخدمك لأنك امرأة، فإن المرأة مبدعة ومشجعة وحساسة، وتقدرين أن تكوني بركة كبيرة، وتأتي بثمر كثير ويدوم

لا تصدقي من يقولون لك
إن الله لا يريد
أن يستخدمك
لأنك امرأة

ثمرك. ولا يوجد ما يدعو أن تعبري هذه الحياة دون أن يلاحظك أحد لأنك في الخلفية. فإذا دعاك الرب للقيادة فقومي بالدور الذي يكلفك به. لو دعاك للخدمة فاخذي. ولو دعاك للعمل في حقل الأعمال فانخرطي فيه، ولو دعاك لخدمة بيتك فقومي بهذه الخدمة التي دعاك إليها.

الفصل الرابع

سبعة أسرار للمرأة الواثقة

لكل سبب نتيجة، فإن كانت بعض النساء غير واثقات فلا بد أن لهذا أسباباً، سأعالج بعضها لأعاونك لتعيشي حياة واثقة شجاعة.

السر الأول: المرأة الواثقة تعرف أنها محبوبة

إنها لا تخشى من أن لا تحب لأنها تعرف أولاً وقبل كل شيء أن الله يحبها محبة غير مشروطة، وسيكمل فرحك لو عرفت أنك محبوبة. وجميعنا نحتاج ونرغب في أن نكون مطلوبين محبوبين من الله والبشر. ومع أننا لا نجد الحب من كل الناس، لكننا سنجده من كثيرين، فأوصيك أن تركز في تفكيرك على من يحبونك، وأن تنسى سيئات من لا يحبونك. ولا شك أن الله يحبك، وإن تطلعت إليه وأحسن اختيار صديقاتك سيجعل كثيرين يحبونك. وأعتقد أننا يجب أن نصلي من أجل صديقاتنا. ولا يجب أن تقرر بمفردك من هن الصديقات اللواتي ترغبين أن تنضمي إليهن، لكن وأنت تختارين دائرة الصديقات الحميمات اطلبي إرشاد الروح القدس.

هناك سيدات ينظرن لذواتهن باحتقار فيتورطن مع رجال يؤذونهن، لأنهن يعتقدن أنهن غير مستحقات لأكثر من هذا. لكنك تستحقين أشخاصاً أفاضل يحيطون بك ولا يجرحونك. فليساعدك الله لتجدي الأفاضل إن كنت تقبلين الحكمة السماوية، والإرشاد الإلهي.

المحبة هي اللسان
الذي يحتاجه العالم،
والله يهبها مجاناً
وباستمرار

فإن كانت تنقصك المحبة ابدئي مع الله، فهو الآب الذي يريد أن يغمرك بالبركات. فإن كنت لم تنالي المحبة المناسبة من أبيك الأرضي فإن أباك السماوي يعوّضك، لأن المحبة هي اللسان الذي يحتاجه العالم، والله يهبها مجاناً وباستمرار وبغير شروط. وهو لا يحبنا لأننا نستحق، لكن لأن المحبة طبيعته، وهو يريد أن يحب.

"اخْتَارَنَا فِيهِ (في المسيح) قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قَدِيسِينَ (مُخَصَّصِينَ) وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ،

إِذْ سَبَقَ (منذ البدء) فَعَيَّنَّا لِلنَّبِيِّ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسْرَّةِ مَشِيئَتِهِ" (أفسس ١: ٤، ٥).

في كل كتاب أكتبه أنبّر على محبة الله وأهمية قبولها بالتمام لأنني أوّمن أن في قبول هذه المحبة المجانية بداية شفائنا وأساس حياتنا الجديدة في المسيح. ولا نقدر أن نحب نفوسنا إلا إذا أدركنا مقدار محبة الله لنا. وإن لم نحب نفوسنا لا نقدر أن نحب البشر من حولنا. ولا يمكن أن تكون لنا علاقات اجتماعية صالحة وسليمة بدون بناء المحبة داخلنا.

تفشل زيجات كثيرة لأن أصحابها لا يحبون أنفسهم، وفاقده المحبة لا يقدر أن يعطيها. وهم يحاولون أن يحصلوا من شريك الحياة على ما لا يمكن أن يعطيه إلا الله الذي وحده يعطينا قيمةً.

لقد نشأتُ في بيت أوقع بي الأذى وأساء إليّ فامتلاتُ بالخجل والعار

وتلوييم الذات منذ كنت في الثامنة عشرة من العمر. وتزوجت مبكراً خوفاً من ألا أجد من يقبلني، فعندما أبدى شاب في التاسعة عشرة من عمره اهتماماً بي تزوجته لأنني كنت يائسة، ولم أكن أفهم معنى المحبة. وكان يعاني من مشاكل كثيرة في حياته فلم يعرف كيف يعبر عن حبه لي، فاستمرت معاناتي وأوذيت في زواجي الذي انتهى بالطلاق بعد خمس سنوات.

وبعد وقت التقيت بزوجي الحالي وتزوجنا عام ١٩٦٧، وكنت أتوق للحب ولكني لم أكن أعرف كيف أقبله. كان دافيد (زوجي) يحبني بالحق لكنني وجدت نفسي أنحي حبه باستمرار بسبب مشاعري السلبية من نحو نفسي.. ولكن عندما بدأت الدخول في علاقة جادة عميقة بالرب بيسوع بدأت أختبر محبة الله، واستغرقت وقتاً طويلاً في قبولها بالكامل، لأنك عندما تشعرين أنك غير محبوبة يصعب عليك أن تنقلي محبة الله الكاملة لك من عقلك إلى قلبك، مع أنك لن تكوني كاملة ما دمت على الأرض.

هناك شيء واحد مناسب تقدرين أن تردّي به على هدية مجانية تُقدّم لك، هو أن تقبليها بالشكر. وأدعوك أن تتخذي خطوة إيمان الآن وتقولِي بصوت مرتفع "الله يحبني محبة غير مشروطة، وأنا أفتح قلبي لقبول هذه المحبة". وقد ترددين هذه العبارة مئات المرات يومياً قبل أن تعمّر قلبك، فقد استغرقتني هذا شهوراً. وعندما تختبرين هذا سيكون اليوم أروع يوم في حياتك. إن أروع أمر مريح للمشاعر في العالم هو معرفتك بشخص تثقين فيه أنه يحبك. ثقي أن الله يحبك، وسيعطيك الأشخاص الذين يحبونك حقاً، فلا تنسي أن تشكري هؤلاء المحبين، فإن أثنى هدية في العالم أن يكون لك صديقات يحبنك بصدق، فالمحبة الكاملة تطرح

الخوف إلى خارج (١ يوحنا ٤: ١٨). وعندما يفقد الخوف سيطرته علينا
نصبح أحراراً شجعاناً واثقين.

الله يحبك.. الله يحبك.. الله يحبك.. صدقي هذا واقبليه.

السر الثاني: المرأة الواثقة ترفض أن تحيا في خوف

أفضل ما نواجهه به الخوف هو قولنا "أنا لست خائفة". هذا لا يعني
أننا لن نشعر بالخوف، لكن معناه أننا لن ندع الخوف يسيطر على
قراراتنا وأفعالنا، فإن الله لم يعطنا روح الخوف (٢ تيموثاوس ١: ٧).
ليس الخوف من عند الله، لكنه من عند العدو الشرير الذي يحرمانا من
التمتع بحياتنا ويوقفنا عن التقدم، ويجبرنا أن نتقهقر وننكمش
ونهرب، فإننا بالإيمان نحيا ولا نرتد أو نرجع للوراء. وارتدادنا يجعل
الله غير مسرور بنا (عبرانيين ١٠: ٣٨) ولو أنه لا يجعل الله يكرهنا،
فهو يريدنا أن نختبر كل صلاح دبّره لنا منذ الأزل، وننال بالإيمان.

دعونا نجاهد في عمل كل شيء بروح الإيمان الذي هو الثقة في الرب
وتصديق وعوده. وعندما يحاول شخص أن يسير بالإيمان يسرع إبليس
ليحاول منعه بوسائل عديدة، منها الخوف.. يجعلنا الإيمان نجازف ونتقدم
ونقوم بأشياء لم يسبق لنا أن قمنا بمثلها.

واعتقد أن الخوف هو سلاح إبليس الرئيسي ضد البشر، لأن الخوف يجعل
الناس يدفنون مواهبهم خوفاً من الفشل أو الانتقاد، فينسحبون في بؤس
ويعيشون في عذاب.

لن نتخلص من قوة الخوف إلا إن قررنا أن لا نخاف، فأشجعك أن
تقولي في حزم "سأقوم بما أحتاج أن أقوم به حتى وأنا خائفة" فكل ما
يعوزك هو أن تخافي الله وحده وتتقييه.

الشیطان كذاب، وهو يرسم للإنسان صورة مزيفة عن نفسه ملؤها الهزيمة والخجل. لهذا نحتاج أن نتمسك بمواعيد الله في كلمته لنرمي أكاذيب الشيطان ونرفض أن نعيده سمعنا.

لقد صار الخوف في أيامنا وباءً. فهل تخافين من شيء مثل: الرفض. الفشل. الماضي. المستقبل. الوحدة. قيادة السيارة. الشخوخة. الظلام. الأماكن العالية. الحياة. الموت؟ لا نهاية لقائمة ما يخيفنا، ويضيف إبليس إليها جديداً كل يوم. ولن يتوقف إلا عندما تعزمين أن تعيشي بدون خوف. تعلّمي أن تعيشي على مستوى أعلى من مشاعرك، فإن المشاعر متقلبة ومتغيرة، الرديء منها هو ما تتمنين أن لا يكون، والصالح منها يختفي وقت الحاجة إليه.

يريدنا الله أن نسلك في الروح لا في الجسد، والمشاعر من الجسد، فلا يمكن أن نسلك في أباطيل عقولنا، وفي مشاعرنا وإرادتنا الشخصية ونحن ننتظر أن نحيا منتصرين، فقد أمر الله "لا تخافوا" وعلينا أن نقرر ونعزم أن نطيعه. قد يُظهر الخوف نفسه كشعور، فإن رفضنا الانحناء أمامه سيكون مجرد فكر عارض.

فهل تسمحين للخوف أن يسيطر عليك؟ سأعالج موضوع الخوف في

فصل تالٍ.

السر الثالث: المرأة الواثقة إيجابية

لا يمكن أن تتعايش الثقة مع السلبي فإنهما كالماء والزيت. ولقد اعتدت أن أكون سلبية، ولكني أشكر الله الذي علّمني أخيراً أن أكون إيجابية، فالحياة الإيجابية عامرة بالمرح والثمر، وفي وسعك أن تختاري أن تكوني سلبية أو إيجابية، وهما أسلوب تفكير وكلام وعمل،

وكلاهما نتيجة ما اعتدناه بالترار. وربما كنت مثلي، فقد بدأت بداية رديئة في جو سلبي بين أشخاص سلبيين كانوا نموذجاً سيئاً لي، سلكت مثلهم. ولم أكتشف أنني سلبية حتى تزوجت ديفيد عام ١٩٦٧ وكان إيجابياً، فسألني "لماذا أنت سلبية؟" ولم يكن هذا السؤال قد خطر ببالي، ولكنني بدأت التفكير فيه فاكتشفت أنني كنت دائماً سلبية، وعرفت أنني لم أكن أتوقع شيئاً صالحاً، وحصلت على الرديء الذي كنت أتوقعه!

ولما كان الناس لا يحبون أن يجاوروا شخصاً سلبياً فقد رفضوني، الأمر الذي زاد مخاوفي وفقداني ثقتي، وفتح عليّ أبواب مشاكل وإحباطات زادت ما عندي من سلبية.

وقد استغرق تغييرتي وقتاً طويلاً، ولكنني كنت أعرف أن تغييرتي ممكن كما أنه ممكن لكل شخص، فالخوف غرفة مظلمة تنمو فيها سلبياتنا، فلماذا لا ننظر إلى الجانب المشرق؟ لماذا لا نتوقع شيئاً صالحاً؟ لو أنك ظننت أنك عندما لا تنتظرين شيئاً صالحاً تحمين نفسك من خيبة الأمل، فأنت مخطئة وتحبطين نفسك. فإن كانت انتظاراتك سلبية ستمتليّ أيامك بالإحباط. انظري إلى الشمس لا إلى الغيوم.. انظري إلى نصف الكوب المليء لا الفارغ.

عندما يتشجع الناس ليفكروا بإيجابية كثيراً ما يقولون "هذه ليست حقيقية" لكن التفكير الإيجابي يغيّر واقعك الحالي. الله إيجابي، وهذه حقيقة، فهو يفكر إيجابياً ويشجعنا أن نكون مثله "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعَا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوعُونَ حَسَبَ قَصْدِهِ" (رومية ٨: ٢٨). وهو يعلمنا أن المحبة "تُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ" (١كورنثوس ١٣: ٧).

يقولون إن ٩٠٪ مما يزعجك ويقلقك لا يحدث. فلماذا يظن الناس أن السلبي أقرب حدوثاً من الإيجابي؟ ببساطة، يتوقف الأمر على إن كانت نظرتنا للأمور من وجهة نظر الله أو من وجهة نظر الشيطان. ترى من يفكر لك؟ هل تفكرين لنفسك وتختارين ما تفكرين فيه بعناية، أو هل تتركين عقلك مفتوحاً لكل ما هبَّ ودبَّ من أفكار تخطر ببالك؟ من أين تنبع أفكارك؟ هل تتفقين مع أفكار الكتاب المقدس؟ لو لم تتفق فإن أفكارك لا تكون نابعة من عند الله.

لا يُعتبر الإنسان فاشلاً
إن حاول أموراً
لم يُوفِّقَ فيها،
إنما يفشل فقط عندما
يتوقف عن المحاولة

تفكيرك السلبي يملأ حياتك
بالبوأس. فلماذا تختارين البوأس
وترفضين السعادة.

تفكيرك السلبي يحرمك من
المجازفة والشجاعة والثقة - فلماذا لا
تعيشين بإيجابية وتسلكين بثقة؟

السر الرابع: المرأة الواثقة تتعافى من الهزائم

لا يسعى أحد وراء هزائم وفشل. ولا يُعتبر الإنسان فاشلاً إن حاول أموراً لم يُوفِّقَ فيها، إنما يفشل فقط عندما يتوقف عن المحاولة، فمعظم الذين حققوا نجاحات عظيمة فشلوا قبلها، فاطلبي نصيحتهم. وعندما أحاول وأفشل تزيد نفسي معرفة، فلا أعود أحاول عمل ذات الشيء.

تختلط الأمور على كثيرين فلا يعرفون ماذا يفعلونه بحياتهم، ولا ما يريد الله منهم، فيتخطبون على غير هدى. وكنت أنا ضمن هؤلاء، ولكنني اكتشفت قدرتي عندما التحقتُ ببضعة وظائف. فقد عملت في حضانة الكنيسة لكنني اكتشفت أن الله لم يدعني لخدمة أطفال الحضانة.

وحاولت أن أعمل سكرتيرة لراعي كنيسةنا ولكني فقدت هذه الوظيفة بعد يوم واحد من شغلها دون أن أعرف السبب. وأصابني الهلع وأنا أشعر بالظلم إلى أن طلب مني أن أقوم بتعليم فصل درس كتاب مقدس كل يوم خميس صباحاً، فوجدت نفسي بسرعة. كان يمكن أن أقضي حياتي في تشويش، ولكني أشكر الله الذي وهبني الثقة لأسعى حتى أجد ما يناسبني بطريقة "استبعاد ما لا يناسب". ومع أن هذا الأسلوب أصابني باليأس، لكن كل شيء عمل لخيري في النهاية.

إن كنت لا تنجزين شيئاً لأنك لست متأكدة مما يجب أن تقومي به، فأنصحك أن تصلي ثم تبدئين في محاولة القيام ببعض الأشياء، وسرعان ما ستجدين شيئاً يناسبك. هذه الأسلوب في الحياة يشبه ذهابك لشراء فستان: تجربين بعضها إلى أن تجدي ما يناسب مقياسك، ويريحك، ويعجبك. هناك فستان لا تريدينه لأن ثمنه لا يتفق مع قدراتك المالية.. هكذا الحياة: هناك أمور لا تتفق معك، كأن تكونين رئيسة للولايات المتحدة، أو تقودين سيارة متوقفة في مكان انتظار سيارات. فاخرجي من مكان انتظار السيارات وتحركي نحو جهة أخرى! لا أنصحك أن تغرق في الديون لتبدئي مشروعاً، لكن يمكن أن تبدئي مشروعاً صغيراً يكبر معك. ونحن نتخذ خطوة إيمان يعلن لنا الله ما يريدنا. والمرأة الواثقة لا تخاف من ارتكاب خطأ. وإن أخطأت فإنها تنهض وتتقدم للأمام.

من الأمور المشجعة أن الله يعطينا فرصة أخرى، فإن مراحمه لا تزول، وهي جديدة في كل صباح (مراثي ٣: ٢٢، ٢٣). وقد اختار المسيح تلاميذه ضعفاء يخطئون، فعمل فيهم وساعدهم ليكونوا في أفضل أحوالهم، وسيفعل الشيء نفسه معك لو سمحت له بذلك، فتنسين ما هو

وراء وتمتدين إلى ما هو للأمام (فيلبي ٣: ١٣). لا تخافي من ماضيك، فلا سلطان له عليك إلا بقدر ما تسمحين أنت به. فلكي تكوني واثقة لا تسمحى لماضيك أن يصوغ مستقبلك.

إن الشفاء من الألم والإحباط يحدث للبعض ولا يحدث للبعض الآخر، فأنت تقررين ما يحدث، وتختارين التقدم للأمام، وتتعلمين من أخطائك، وتجمعين الكسر وتقدمينها ليسوع وهو لا يضيع شيئاً (يوحنا ٦: ١٢). ارفضي أن تفكري في ما ضاع منك، واعلمي قائمة بما تركته وابدئي في استعماله، وهذا سيسيفيك ويجعلك تساعدن آخرين ليتعافوا. كوني مثلاً حياً للمرأة الواثقة التي تنهض من كبوتها مهما كانت صعوبتها وتكرارها. احذري من أن تقولي "لا أقدر أن أستمر" بل قولي "أستطيع أن أقوم بكل ما يجب أن أقوم به بمساعدة المسيح الذي يقويني. لن أتوقف لأن الله بجانبى".

السر الخامس: المرأة الواثقة تتحاشى المقارنات

لا يمكن أن تثقي في نفسك وأنت تقارنين نفسك بالأخريات، فمهما كان جمالك وذكاؤك ومواهبك ونجاحك، ستقابلين من هن أفضل منك. وأعتقد أننا نجد الثقة عندما نفعل أفضل ما نستطيع، مستخدمين أحسن ما عندنا، دون مقارنة ومنافسة مع الأخريات. ولا نجد فرحنا في أننا أفضل من غيرنا، بل في أننا نبذل غاية جهدنا، فإن صراعنا لنصبح أول المجاهدين عملٌ صعب، بل هو مستحيل.

ونلاحظ أن الإعلانات تحضُّ الناس على أن يسعوا ليكونوا الأفضل مظهرًا ومنظرًا، وليملكوا الأكثر، فمثلاً تقول الإعلانات "لو اشتريت هذه السيارة ستكون الأول..". "لو لبست هذه الماركة من الثياب ستنال إعجاب

الناس.. "جرب هذه الوجبة وستفقد عدة كيلوجرامات من وزنك" فتجذب انتباهنا.. العالم يجربنا أن نتظاهر ونكون غير ما نحن عليه، ويخبرنا عن وصفة أو برنامج أو رويشة تساعدنا في ذلك. وكسائر الناس بذلت كل جهدي لأكون مثل جارتين لي، ومثل زوجي، ومثل زوجة راعي كنيستنا، ومثل صديقتي.. وهلم جراً. كانت جارتني مبدعة في الديكور والخياطة وأمور أخرى، بينما كان صعباً عليّ أن أثبت زرار قميص أملهً ألا يسقط بسرعة! وأخذت دروساً في الخياطة لكني كرهتها.

وزوجي (بعكسي) هادئ يسهل التعامل معه، فحاولت أن أقلده، ولكني لم أوفق. وكانت زوجة قسيسنا حلوة الملامح، تهتم بأعمال الرحمة، صغيرة الحجم، ذهبية الشعر.. بينما كنت أنا عدوانية، شجاعة، عالية الصوت، لست صغيرة الحجم، أصبغ شعري.

وجدت أنني أقارن نفسي بأخريات وأرفض الشخصية التي خلقتني الله لأكونها. وبعد سنوات من البؤس فهمت أن الله لا يخطئ، وأنه يخلقنا مختلفين، وأن الاختلاف ليس رديئاً، بل إن الله يُظهر به إبداعه. ويقول مزمور ١٣٩ إن الله نسج أعضاء كل واحد منا في بطن أمه، وكتبت كلها في سفره يوم تصوّرت، فعلينا أن نقبل أنفسنا لأنها من صنع إلهنا، فكل شخص منا متفردٌ وعظيم القيمة.. وهكذا أرادنا الله.

تبدأ الثقة بقبول الذات، وهذا ممكن إن آمنا إيماناً قوياً بحبة الله لنا، وعرفنا خطته لحياتنا. وأعتقد أننا نُهين الله ونحن نقارن أنفسنا بغيرنا، ونتمنى لو كنا مثلهم. قدري ما في سواك من جمال وتمتعي بالشخص الرائع الذي هو أنت.

تقول الوصية العاشرة "لا تشته" (خروج ٢٠: ١٧). فلا يجب أن نشتهي

ما عند الآخرين من منظر ومواهب وشخصية الخ. والشهوة هي أن نطلب شيئاً بشدة حتى أننا لا نسعد بدونه. ومن الممكن أن نكره شخصاً لأنه يملك ما لا نملكه نحن، الأمر الذي يُغضب الله. قد يكون أن سيدة ما نموذج لنا، لكن لا يجب أن يكون مستواها هو المستوى الذي نصبو إليه، فقد عيّننا الله لنكون مشابهين للمسيح مثالنا ونمذجنا الوحيد (رومية ٨: ٢٩) فنقول إن لنا فكر المسيح (١ كورنثوس ٢: ١٦). فعلينا أن نفكر ونتكلم ونسلك كما فعل المسيح. وواضح أنه لم يقارن نفسه بغيره، ولم يطلب أن يكون على غير ما أراد له الآب أن يكون، فعاش يفعل إرادة أبيه (يوحنا ٥: ٣٠) لم يقارن نفسه بغيره، ولا نافس غيره.

أدعوك لترضي بما أنت عليه.. ولا أقصد أن لا تتقدمي وتحسني، بل أقصد أن لا تتخذي أية سيدة أخرى نموذجاً لك في كل شيء، فإن هذا سيحبطك دوماً، ولن يساعدك الله لتكوني غير ما خلقك عليه. لا تنسي أنه لا غبار عليك وأنت مختلفة عن سواك، فاحتفلي بتفردك، وافرحي بالمستقبل الذي رتبّه الله لك. كوني واثقة وابدئي أن تتمتعِي بذلك.

السر السادس: المرأة الواثقة تتخذ القرارات

قيل إن هناك نوعين من البشر: الذين ينتظرون حدوث الأمور؛ والذين يُحدثون الأمور. البعض بطبيعتهم يخلون والبعض بطبيعتهم يتجرأون. ولما يكون الله معنا نحيا حياة فوق طبيعية.

وتعترضنا جميعاً صعوبات يجب أن ننتصر عليها، فصاحبة الطبيعة الشجاعة يجب أن تقاوم الكبرياء والعدوانية والثقة الزائدة؛ بينما صاحبة الطبيعة الخجولة يجب أن تقاوم القلق والجبن والثقة الناقصة والانسحاب أمام التحديات.

الشجاعة تميل إلى تأكيد ذاتها بدرجة تعوزها الكياسة. وأنا أحب الشجعان الذين لا يخافونني، ولكني لا أفضل سيئي الذوق الذين لا يحترمونني. فما يظنه بعض الناس شجاعة هو كبرياء يبغضها الله. وأنا بطبيعتي شجاعة وكان عليّ أن أقف ضد الكبرياء. ويبدو أن الشجعان يعتبرون أنفسهم في معظم الأحوال على صواب. وبينما الثقة شيء صالح فإن الغرور شيء رديء. ونشكر الله الذي يعطينا الاتزان فنستفيد من نواحي القوة فينا ونتغلب على الضعفات، بالمعونة الإلهية لنا.

الخبول ينكمش أمام أشياء كثيرة كان يجب أن يواجهها، فهناك الكثير الذي يجب أن يقوله ويفعله، ولكن الخوف يصيبه بالشلل. وأعتقد أننا يجب أن نخطو لعمل أشياء لنكتشف ما زخره الله لنا. صحيح أن التحرك الخبول يحفظنا من مواجهة مواقف نخطئ فيها، لكنه يتركنا دوماً ونحن نتساءل: "هل كان هناك عملٌ غير ما عملت؟". بينما الشجاع يرتكب أخطاءً أكثر يفيق منها، ويصل إلى الصحيح ويفعله.

يعمل الله من خلال إيماننا .. لا من خلال مخاوفنا

لا ينتهي العالم إن أخطأنا، فيمكن أن نفيق من أخطائنا، وربما تكون الخطية التي لا نفيق منها هي أننا لا نريد أن نرتكب أي أخطاء! إن الله يعمل من خلال إيماننا لا من خلال مخاوفنا. فلا تجلسي على هامش الحياة تراقبين من ينجزون، وتتمنين لو أنجزت أنت شيئاً. فهيا قومي للعمل وتمتعي بالحياة!

إن كانت سيدة بطبيعتها انبساطيةً أو انطوائيةً فإنها ستميل نحو اعتبار نفسها "غير مخطئة". ولما كان الله قد خلقنا مختلفين، ويمكننا

أن نعيش الحياة التي نريدها دون أن نرفض ما خلقنا الله عليه، فافحصي قلبك واسألني نفسك عما يريدك الله أن تقومي به، وافعليه. وهو يدبر لنا ما نحتاجه في كل موقف يرشدنا إليه. فإن طلب منك القيام بعمل غير مريح، وخطوت خطوة إيمان للقيام به، ستجدينه يسير إلى جوارك.

عندما تريد أن تقومي بشيء، لا تفكري في ما قد ترتكبينه من أخطاء أثناء القيام به، بل كوني إيجابية وفكري في الأمور الرائعة القادمة.

كوني إيجابية مغامرة فاعلة فتتمتع بالحياة أكثر. قد يكون الأمر صعباً في البداية، لكنه في النهاية يستحق التعب الذي بُذل فيه.

أعتقد أن انتصار الشجاع على الكبرياء أصعب من انتصار الخجول على خجله. فإن كنت خجولة اذكري أن أمورك كان يمكن أن تكون أسوأ. اطلبي معونة الله ليجعلك على الصورة التي يريدها لك، واحصلي على الحياة التي يريدها أن تحييها.

الله يكرم الإيمان

الإيمان يكرم الله، والله يكرم الإيمان.

هناك قصة من حياة المرسلين روبرت موفات وزوجته ماري تصوّر هذه الحقيقة. عمل هذان المرسلان عشر سنوات في "بوتسوانا" دون رؤية شعاع واحد من النور يضيء طريقهما، كما لم يربحا متجدداً واحداً. وأخيراً تساءل مجلس الإرساليات الذي يتبعانه عن حكمة استمرارهما في عملهما، الأمر الذي أحزنهما لأنهما كانا يعلمان أن الله يريد أن يستمر، وأن ثمر العمل سيظهر في الوقت المناسب.

واستمررا. وساد سلطان الظلمة سنة أو سنتين بعد هذا. وذات يوم أرسل لهما صديق من بريطانيا رسالة يقول فيها إنه يريد أن يرسل لهما هدية ويسألهما عما يريدان، وقال إنه واثق أن الرب سيبارك عملهما. فكتبت له ماري موفات تقول: "أرسل لنا كؤوس لتناول العشاء الرباني لأني متأكدة أننا سنحتاج إليها في وقت قريب". وأكرم الرب إيمان ماري، فقد تحرك الروح القدس في البلد وقبل المسيح مخلصاً ستة أشخاص. وتأخر وصول الكؤوس من بريطانيا بسبب البريد. ولكنها وصلت قبل ممارسة الفريضة في بوتسوانا، لأول مرة، بيوم واحد.

السر السابع: المرأة الواثقة لا تقول "لو أن.. و" ماذا لو..؟"

عالمنا ممتلئ بأشخاص لم يحققوا ما يريدون لأنهم جلسوا يندبون حظهم على ما ليس عندهم بدل أن يستخدموا ما عندهم، فلا تعيشي تندبين حظك قائلة "لو كنت متعلمة.. لو أن عندي مالاً.. لو أنني أُعطيَت الفرصة.. لو أنني وجدت من يساعدني.. لو أنني بدأت حياتي بداية أفضل.. لو أنني لم أعاني.. لو كنت أطول.. لو أنني.. لو أنني..".

من أكبر أخطاء الحياة أن نبطلق في ما ينقصنا أو ما ضاع منا، دون أن نجهز قائمة بما عندنا. عندما أراد يسوع أن يطعم خمسة آلاف بالإضافة إلى النساء والأطفال، قال التلاميذ إن عندهم غداء صبي عبارة عن خمس خبزات صغيرة وسمكتين، وأضافوا إن هذا لا شيء بالنسبة لحاجة الجمهور. وبارك يسوع غداء الصبي وأكل الجميع وفاضت ١٢ قفة (متى ١٤: ١٥-٢١). فلو أعطينا الله ما عندنا سيستخدمه ويرد لنا أضعاف ما أعطينا له، فإنه لم يخلق ما يرى مما هو ظاهر (عب ١١: ٣) فهو قادر أن يفعل بالقليل الذي عندي، مهما كان حقيراً.

عندما طلب الله من موسى أن يُخرج شعبه من مصر شعر موسى بضعفه وجعل يقدم الأعذار، فسأله الله عما بيده، فقال "عصا". وهي عصا عادية يستخدمها الرعاة في رعاية أغنامهم، فطلب الله منه أن يلقيها على الأرض رمزاً لأنه يسلمها لله. وعندما أعادها الله لموسى استُخدمت لعمل المعجزات حتى شقَّ بها موسى مياه البحر الأحمر، وأجرى بها معجزات أخرى كثيرة.. فلو سلَّمت ما عندك لله مهما كان قليلاً وضعيفاً، سيستخدمه، ويردّه لك أضعافاً.

لا يطلب الله مقدراتنا، لكنه يطلب استعدادنا. ولا يريدنا أن ننظر إلى المشاكل بل إلى الإمكانيات. لا تصرفي حياتك تبكين قائلة "لو أن عندي.." فإن القول "لو أن.." لص يسرق ما يمكنك القيام به.

"ماذا لو.." مدمرة مثل "لو أن.." لو أننا استخدمنا "ماذا لو" بطريقة سلبية، فإن توقع المستقبل بطريقة سلبية يدمرنا أكثر من وقوعنا في مصيبة الألم.

لي صديقة جلست ذات يوم في مقهى وهي تبكي. فبالرغم من قدراتها الكثيرة المتنوعة كانت أسيرة الخوف الذي سرق منها حياتها، فكانت بئسة معظم الوقت لأن للخوف عذاباً، والله لا يريدنا أن نحيا في خوف. كان عند صديقتي هذه سبب جديد للخوف كل يوم.

وكان بكاؤها في المقهى لأن أمها وخالتها ماتتا بداء القلب، وكانت يومها خائفة من أن يكون مصيرها كمصيرهما. كانت خائفة على أطفالها الثلاثة لئلا تموت قبل أن يكبروا. وسألتهُ إن كانت عندها أعراض مرض في القلب، فقالت إنها تشعر بضيق في صدرها، وإنها ذهبت لزيارة طبيب قال لها إن سبب هذا الضيق أنها مضغوطة من

الخوف على قلبها، فشجعتها ببعض الآيات المناسبة ولكنها استمرت تسأل "ماذا يحدث لو متُ وكان على زوجي وحده أن يعتني بالصغار؟". وأعترف أن صبري بدأ ينفد، لا لأني غير متعاطفة معها، لكن لأن لقاءنا الأخير كان يشبه اللقاء السابق له تماماً، يوم كانت خائفة من الوظيفة الجديدة التي التحق بها زوجها والتي تتطلب سفره ومبיתה خارج البيت كثيراً. وتساءلت: "ماذا لو التقى بفتاة وهو خارج البيت وتورط معها في علاقة عاطفية؟.. آه! لو أن وظيفته الجديدة لا تتطلب السفر الكثير!".

لقد خلقت صديقتي هذه المشاكل لنفسها بتساؤلها "لو أن.. و"ماذا لو..؟". وكل من يفكر هكذا يصيب نفسه بالتعاسة. كان بوسعها أن تغيّر طريقة تفكيرها، لكنها جعلت نفسها أسيرة خوفها، فلم يتجدد عقلها بعمل كلمة الله التي كان يمكن أن تتأملها. يرجو الناس اختفاء مشاكلهم، لكنهم لا يقومون بما يجب القيام به ليساعدوا أنفسهم. كانت عندي مخاوف كثيرة، لا زال بعضها يظهر من وقت لآخر، ولكني أهرب منها بأن أجري إلى كلمة الله التي تقويني فأخطو خطوات الإيمان مهما كانت مشاعري.

يتبع الإنسان المكان الذي ذهب إليه عقله، فإن انتبهت أكثر إلى أفكارك واخترت أن تركزي على الأمور التي تساعدك، لا الأمور التي تعطلك، فإن الأفكار الكتابية الإيجابية ستمنحك قوة تساعدك لتكوني المرأة الواثقة التي يريد الله. فكري بثقة تصبحين واثقة.

ستساعدك هذه الأسرار السبعة لتحقيقي لنفسك الثقة الكاملة. وهناك الكثير لتتعلمه، وهذه الأسرار مجرد نقاط للبداية.

الفصل الخامس

المرأة التي لم أحبها

من ممّا تقدر أن تنافس المرأة الموصوفة في سفر الأمثال ٣١؟ لقد جمعت في نفسها كل الفضائل، فهي زوجة عظيمة، وأم عظيمة، تدير شؤون بيتها، وتشرف على أعمالها.. تطبخ وتخيظ. هناك شيء واحد لا تفعله: إنها لا تتعب! إنها قريبة من الكمال في كل شيء. وربما كان هذا سبب انطباعي الأول عنها: إني لا أحبها!.. فهل كان هذا شعورك نحوها بعد أن قرأت هذا الأصحاح؟ لقد تحدّاني أسلوب حياتها في نواحي كثيرة حتى فضّلتُ ألا أعرفها بالمرّة.. كان هذا شعوري نحوها منذ ثلاثين سنة مضت عندما بدأت أدرس الكتاب المقدس بجدّية.

والمرأة التي أتحدث عنها مشهورة، واثقة بنفسها، ولكن الوحي لا يذكر اسمها. وأعتقد أن الله لم يذكره لتستطيع كل سيدة أن تضع اسمها على هذه الصفات. فأطلب منك أن تقرّئي عنها، بعدها أشاركك في بعض الأمور التي أعتقد أنها ستساعدك لتكوني المرأة الواثقة التي تريدينها.

أمثال ٣١: ١٠-٣١

١٠ امْرَأَةٌ فَاضِلَةٌ مَنْ يَجِدُهَا؟ لِأَنَّ ثَمَنَهَا يَفُوقُ اللَّالِيَّ.

١١ بِهَا يَثِقُ قَلْبُ زَوْجِهَا، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى غَنِيمَةٍ.

١٢ تَصْنَعُ لَهُ خَيْرًا لَا شَرًّا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهَا.

- ١٣ تَطْلُبُ صَوْفًا وَكَتَانًا وَتَشْتَغِلُ بِيَدَيْنِ رَاضِيَتَيْنِ.
- ١٤ هِيَ كَسْفَنُ التَّاجِرِ، تَجْلِبُ طَعَامَهَا مِنْ بَعِيدٍ،
- ١٥ وَتَقُومُ إِذَ اللَّيْلِ بَعْدَ وَتُعْطِي أَكْلًا لِأَهْلِ بَيْتِهَا وَفَرِيضَةً لِفَتَيَاتِهَا.
- ١٦ تَتَأَمَّلُ حَقْلًا فَنَأْخُذُهُ، وَبِثْمَرِ يَدَيْهَا تَغْرَسُ كَرْمًا.
- ١٧ تَنْطِقُ حَقْوِيهَا بِالْقُوَّةِ وَتَشْدُدُ ذِرَاعَيْهَا.
- ١٨ تَشْعُرُ أَنَّ تِجَارَتَهَا جَيِّدَةٌ. سِرَاجُهَا لَا يَنْطَفِئُ فِي اللَّيْلِ.
- ١٩ تَمُدُّ يَدَيْهَا إِلَى الْمَغْرَلِ، وَتُمْسِكُ كَفَّاهَا بِالْفَلَكَةِ.
- ٢٠ تَبْسُطُ كَفَّيْهَا لِلْفَقِيرِ وَتَمُدُّ يَدَيْهَا إِلَى الْمَسْكِينِ.
- ٢١ لَا تَخْشَى عَلَى بَيْتِهَا مِنَ الثَّلْجِ، لِأَنَّ كُلَّ أَهْلِ بَيْتِهَا لِابْسُونَ حَلَالًا.
- ٢٢ تَعْمَلُ لِنَفْسِهَا مَوْشِيَّاتٍ. لِبِسُهَا بَوْصٌ وَأَرْجَوَانٌ.
- ٢٣ زَوْجُهَا مَعْرُوفٌ فِي الْأَبْوَابِ حِينَ يَجْلِسُ بَيْنَ مَشَايخِ الْأَرْضِ.
- ٢٤ تَصْنَعُ قُمْصَانًا وَتَبِيعُهَا، وَتَعْرِضُ مَنَاطِقَ عَلَى الْكُعَاعَانِيِّ.
- ٢٥ الْعُرُ وَالْبِهَاءُ لِبَاسُهَا، وَتَضْحَكُ عَلَى الرُّمَنِ الْآتِي.
- ٢٦ تَفْتَحُ فَمَهَا بِالْحِكْمَةِ، وَفِي لِسَانِهَا سُنَّةُ الْمَعْرُوفِ.
- ٢٧ تَرَأَقِبُ طُرُقَ أَهْلِ بَيْتِهَا، وَلَا تَأْكُلُ خُبْرَ الْكَسَلِ.
- ٢٨ يَقُومُ أَوْلَادُهَا وَيَطُوبُونَهَا، زَوْجُهَا أَيْضًا فَيَمْدَحُهَا.
- ٢٩ بَنَاتٌ كَثِيرَاتٌ عَمَلْنَ فَضْلًا، أَمَّا أَنْتَ فَفَقُتِ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا.
- ٣٠ الْحُسْنُ غِشٌّ وَالْجَمَالُ بَاطِلٌ، أَمَّا الْمَرْأَةُ الْمُتَّقِيَةُ الرَّبِّ فَهِيَ تُمْدَحُ.
- ٣١ أَعْطَوْهَا مِنْ ثَمَرِ يَدَيْهَا، وَلِتَمْدَحُهَا أَعْمَالُهَا فِي الْأَبْوَابِ.

دعونا نفحص هذه الآيات بعمق، لنرى صفات المرأة الفاضلة:

آية ١٠

من الصعب أن نجد امرأة فاضلة، فقيمتها تفوق قيمة اللآلئ. ومن الأمور الأساسية أنها تبني زوجها بإثارة الأسئلة والتعليقات البناءة، لأننا لا نجد امرأة فاضلة ذكية بسهولة. وعلى الزوج الذي يتزوج بامرأة مثل هذه أن يقدرها ويعتزّ بها جداً.

وهناك آيات أخرى في سفر الأمثال توضح أهمية دور المرأة كزوجة، فيقول إنها تاج لزوجها، بينما المرأة المخزية نخرٌ في عظامه (أمثال ١٢: ٤). ويقول إن الزوجة المتعقلة عطية من عند الرب (أمثال ١٩: ١٤).

آية ١١

الثقة هي الغراء الذي يحفظ للزواج دوامه، والزوج يثق في زوجته الفاضلة، ويعتمد عليها، ويطمئن إلى صدقها. ولما كنا نعيش في مجتمع تنقصه هذه الفضيلة فإننا نقدّرها جداً عند وجودها. فعندما نثق في شريك الحياة، ويثق الشريك فينا تزيد طمأنينتنا، ونحيا آمنين، وتطمئن نفوسنا. وأنا أثق في زوجي وأشعر بالأمن معه، وأتمتع بهذه الصفة فيه، وأعتقد أن عنده ذات الأحاسيس من نحوي، ولو أنه مرّ وقت لم يكن يستطيع أن يقول هذا عني كنتُ فيه متقلبة، ولكني أشكر الله الذي يغيّرنا ونحن ندرس كلمته، فنعتمد على وعده في ٢كورنثوس ٣: ١٨ "وَنَحْنُ جَمِيعاً نَاطِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهِ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مَرَاةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ". ولا يكون هذا التغيير فورياً بل تدريجياً.

لقد كرهتُ المرأةُ الموصوفة في أمثال ٣١ حتى عرفت أنها النموذج لي الذي يجب أن أهدف لأن أكونه بمعونة الرب، إن كنتُ راغبة ومستعدة لأن أتغير. وبعد بضعة سنوات صارت صورة المرأة التي كرهتها صديقة حياتي. وكثيراً ما ألجأ إليها عندما أعزم أن أتخذ قرارات هامة لأعرف ما كانت تعمله لو كانت مكاني.

آية ١٢

تريح هذه المرأة زوجها وتصنع له الخير ما دامت على قيد الحياة. ويمكن أن نتلافى كثيراً من حالات الطلاق لو أن الزوجة كانت البائدة في إراحة زوجها وإطرائه. وعلى الزوج أن يبادئ زوجته بالأمر نفسه. فإذا لم يبدأ، على الزوجة أن تأخذ الخطوة الأولى نحو الاتجاه الصحيح.

ولا نجد في أمثال ٣١: ١٠-٣١ ذكراً لعمل يقوم به الزوج إلا مدح زوجته، وأنه معروف في مدينته بسبب زوجته الرائعة. فإذا خطت الزوجة نحو الاتجاه السليم، طاعةً لكلمة الله، فإن الله سيتعامل مع زوجها فتري تغييرات إيجابية فيه، كما سيزيد ثقته في نفسها. وعندما نمدح الآخرين سنرى نفوسنا في نور أفضل.

والزوجة الناضجة روحياً هي التي تبدأ بعمل الصالح حتى لو لم يقم أي شخص بمثله، فإننا نعيش للرب لا للإنسان، ونهدف لإرضاء الله لا لإرضاء البشر. "وَكُلُّ مَا فَعَلْتُمْ فاعْمَلُوا مِنَ الْقَلْبِ، كَمَا لِلرَّبِّ، لَيْسَ لِلنَّاسِ، عَالِمِينَ أَنَّكُمْ مِنَ الرَّبِّ سَتَأْخُذُونَ جَزَاءَ الْمِيرَاثِ، لِأَنَّكُمْ تَخْدُمُونَ الرَّبَّ الْمَسِيحَ" (كولوسي ٣: ٢٣، ٢٤).

ويقدم لنا الوحي تعليمات بخصوص الحياة اليومية، فيقول في كولوسي ٣: ١٨-٢٢

”أَيُّهَا النِّسَاءُ، اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا يَلِيقُ فِي الرَّبِّ.
 أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ، وَلَا تَكُونُوا قَسَاةً عَلَيْهِنَّ.
 أَيُّهَا الْأَوْلَادُ، أَطِيعُوا وَالِدَيْكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ لِأَنَّ هَذَا مَرْضِيٌّ فِي الرَّبِّ.
 أَيُّهَا الْآبَاءُ، لَا تَغِيظُوا أَوْلَادَكُمْ لِيَلَّا يَفْشَلُوا.
 أَيُّهَا الْعَبِيدُ، أَطِيعُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ، لَا بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ
 كَمَا يَرْضِي النَّاسَ، بَلْ بِبِسَاطَةِ الْقَلْبِ، خَائِفِينَ الرَّبِّ.”

في هذه الآيات نرى نصيحة لكل فرد في العائلة يطيعها كما للرب،
 وليس للناس. في هذه الحالة تخيلي مقدار السلام والفرح اللذين يعمران
 بيوتنا، فينتفي الطلاق.

آية ١٣

المرأة الفاضلة لا تعرف الكسل، لكنها تطلب الصوف والكتان لتشتغل
 منهما ما يدفع أفراد عائلتها، بيدين راضيتين. وسواء كان ما تنسجه
 لاستعمال عائلتها، أو لبيعه في السوق، فإنها تنسجه بحماس وبدون
 تدمير أو ضجر، لأنها تعتبر أن ما عمله جزء من خدمتها لعائلتها، تقوم
 به بإيجابية.

أرجو أن تلاحظي أن كل فرد في الأسرة يقوم بواجبه بغض النظر إن
 قام غيره بواجبه نحوه أو لم يقم، فإن كل واحد مسؤول يؤدي مسؤوليته
 برضا لأنه سيؤدي حساباً لله عما يفعله (رومية ١٤: ١٢). لن نسأل عن
 غيرنا، لكن كل واحد سيسأل عن نفسه، لذا يجاهد ليقوم بواجبه حتى لو
 كان الوحيد الذي يفعل هذا، فيتمجد الله ويكافئ العامل الأمين في
 الموعد المناسب.

آية ١٤

تجهّز المرأة الفاضلة طعاماً صحياً متنوعاً. وتستورد الطعام من بلاد بعيدة حتى لا يصيب الملل أهل بيتها إن كررت تقديم نفس الطعام لهم.

وقد أذهلتني هذه المرأة الفاضلة! لقد أطعمت أفراد عائلتي سندوتشات الهامبورجر ألف مرة ومرّة، لأنني لم أكن أعرف إبداع التنويع! وقد التمست لِنفسي الأعذار بأن دخلنا قليل. ولكن المرأة الفاضلة تحدّثني لأسير الميل الثاني وأحسّن نوعية ما أطعم به أسرتي. وواضح أن بذل الجهد لتحسين الأمور يزيد ثقتي بنفسي.

آية ١٥

تستيقظ هذه المرأة مبكرة لتصرف وقتاً تختلي فيه بالله، لأنها تعرف أنها لن تكون زوجة أو أماً فاضلة ما لم تطعم أفراد عائلتها طعاماً روحياً. وأثق أنها قرأت كلمة الله، وصلت، وتعبّدت، ورنمت، وجهّزت نفسها روحياً ليوم جديد.

المرأة الفاضلة تخطط ليومها، فمن المهم ألا تكون مهملة أو مُبهمّة، تقوم بردود أفعال ولا تفعل. إن التي لا تخطط يندر أن تنجز شيئاً، كما أنها تكون مُحبّطة لأنها غير مثمرة. فخططي ليومك، والتزمي بما خططته، إلا إن وجهك الله لشيء آخر يريدك أن تقومي به، فليست خططنا قوانين جامدة لا تتغير ولا تتعدل. لكن يجب أن يكون لكل يوم من حياتنا هدف واضح أمامنا.

خططي ليومك،
والتزمي بما خططته،
إلا إن وجهك الله لشيء
آخر يريدك أن تقومي به

ويقول أمثال ٣١ إن المرأة الفاضلة تجد معونة من عاملات في بيتها. وأظن سيدات كثيرات سيقُلن: "لو كانت عندي خادِمات لاستطعتُ إنجاز الكثير". فحذار أن تلتمسي لنفسك الأعذار. أعرف سيدة متفرغة مع زوجها في خدمة الرب كانت

تتذمر دوماً لأنه ليس عندها عاملة تخدم في بيتها، وتود لو كان عندها خادِمة ومديرة بيت. وكلما اقتربتُ من هذه السيدة عرفتُ أن الرب لم يعطها ما تطلب لأنها كانت كسولة غير منظمة، نادراً ما تكمل عملاً تبدأه، وكان الواجب عليها أن تكون أمينة في القليل.

لكنها كانت تلقي اللوم في كسلها وعدم تنظيمها على حاجتها لمن تساعدنا مع أن هذا لم يكن السبب. وكان الواجب عليها أن تقوم بالقليل وبأمانة فيساعدنا الله لتنجز الكثير نتيجة لإعطائها من يقوم بمساعدتها، فإن قمنا بما نستطيعه يقوم الله دائماً بما لا نستطيعه.

لن تتمكن معظم النساء من أن يحصلن على خادِمات، لكن هناك طرق تساعدنا على إنجاز المطلوب منا إنجازاً جيداً، منها أن نعلّم أولادنا أن يقوموا بمساعدتنا، ومنها ترك بعض الأعمال الأقل أهمية لنوفر الوقت لما هو أكثر أهمية.

وأنا أطلبك أن تكون أمور حياتك تحت سيطرتك، فلا تسود عليك بل تسودين أنت عليها، فحددي ما ستقومين به ونفّذيها، ولا تلتمسي لنفسك الأعذار التي تُفقدك السيطرة على ما يجب عليك القيام به، وستزيد ثققتك بنفسك وأنت تدركين أن حياتك تسير كما ترغبين لها أن تسير، فلا تكونين مبهمّة وغير منظمة.

فكري في الآيات التالية:

”فَانظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالنَّدَقِيقِ، لَا كَجُهْلَاءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ،
مُفَنِّدِينَ الْوَقْتَ لِأَنَّ الْأَيَّامَ شَرِيرَةٌ.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَا تَكُونُوا أَغْبِيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ” (أفسس
٥: ١٥-١٧).

آية ١٦

هذه الآية هامة جداً لي، لأنني شخصية مغامرة أورط نفسي في أمور كثيرة، وقد دفعت ثمناً غالياً لأتعلم أن هذا غير حكيم، بل ومستحيل، فنحن لا نقدر أن نعمل كل شيء وأي شيء حسناً، فالنوعية أهم من الكمية. والمرأة التي يكلمنا عنها أمثال ٣١ سيدة أعمال ناجحة بالإضافة إلى أنها زوجة وأم ناجحة. تبدأ آية ١٦ بكلمة ”تأمل” حقلاً قبل أن تشتريه، فهي تؤدي واجباتها الحاضرة بنجاح ولا تنسى واجباتها المستقبلية. إنها تفكر في مسؤوليات ما ستقوم به ولا تتصرف بمشاعرها، وبدون تروّي.

كم ستكون حياتنا أفضل لو أننا صرفنا وقتاً ”لنتأمل” ما سنقوم به قبل القيام به، فكم من مرة اشتريت شيئاً ما كنت لأشتريه لو أنني رجعت للبيت وفكرت قبل شرائه! إن قضاء ليلة في نوم مريح تجعلنا نغيّر فكرنا، فما شدّ انتباهنا بالأمس قد يبدو لنا عديم القيمة غداً. إن مشاعرنا تخدعنا مع أنها ليست كلها رديئة، لأنها تعطينا سروراً، لكننا لا يجب أن نعتمد عليها لأنها غير ثابتة، بل هي متقلّبة ودائمة التغيّر، ومن الخطورة أن نعتمد على المشاعر وحدها بدون أن نقضي وقتاً كافياً في ما سنورط أنفسنا فيه.

ولما كانت المشاعر لا تجرف المرأة الفاضلة فإنها توفر وقتها وجهدها لتخطط لزرع كرمة في حديقة بيتها! فليس كل ما نراه صالحاً يكون فعلاً صالحاً، والحكيمة هي التي "تتأمل" كل شيء وتمتحنه لأن الحسن عدو الأحسن. قد تكون لك في كنيستك فرص للخدمة، لكن ليس معنى هذا أن كل فرصة منها نافعة لك.

يجب أن نختار الأمور الممتازة لا مجرد الأمور الحسنة. وأنا أتلقى يومياً فرصاً حسنة كثيرة أعتذر عن الاشتراك في معظمها لأنني أعرف ما دعاني الرب لأعمله، ولأنني أثبت في دعوته. وإليك مثلاً:

دُعيت للوعظ خارج الولايات المتحدة، وبعد تجهيز برنامج سفري تلقّيت دعوة من برلمان تلك الدولة لأكلّم أعضاءه. وشجعني الفريق العامل معي أن أنتهز هذه الفرصة. ولكن شيئاً داخلي لم يكن مستريحاً لقبول الدعوة، فلم أجاب فوراً لأنني لم أحب أن أفعل شيئاً لست مستريحة له. ووضع الله تساؤلاً في قلبي لأسأله: هل سيكلف كل أعضاء البرلمان بالاستماع إليّ أم هل سيحضر من يريد؟ فجاءني الجواب أن البرلمان ليس في دورة انعقاد، وأن حضور الأعضاء اختياري، فقد يحضر اثنان أو خمسة. كما أن الوقت المَعطى لي للكلام مدته خمس دقائق.. وأنا لا أستهيئ بخمس دقائق، ولا باثنين يحضران، ولكن عندما أخذت في الاعتبار ما يجب أن أقوم به في ذلك اليوم قررت أن أعتذر عن عدم قبول الدعوة. وأنا أشجعك أن تصرفي وقتاً في التفكير قبل التنفيذ فالمستعجل ينتهي دوماً بالندم.

توسّعت المرأة الفاضلة الموصوفة في أمثال ٣١ بحكمة، والحكمة تقود إلى حُسن استخدام الموارد، وعند جميعنا رصيد محدود من موارد الطاقة والوقت، فعلينا أن نستثمره بحرص، فإن الاستعجال يؤدي إلى

الارتباك، والذين تحكّمهم مشاعرهم لا يصبرون ويتروّون قبل القيام بما يعجبهم، لأنهم يبحثون عن نتائج فورية. فإذا لم يحققوها من مشروع ما يسرعون بالبداية بمشروع جديد، لا بد ينتهي بالفشل. فإن كنت تريدان نجاح مشروعك (إن كان تجارياً، أو خدمة روحية، أو زواجاً) تحلّي بالصبر والتأني. لقد استغرق تمتعي بخدمة دولية ناجحة مدة ثلاثين سنة قبل أن يتحقق.

أرجوك أن "تأملّي" قبل أن تتخذي قراراً أو تقومي بمشتريات، أو تقرري اختيارات. تأكدي أنك تتوسعين بحكمة، فلا تتركي ما بيدك ناقصاً لأنك ستبدئين مشروعاً جديداً، إلا إن كلّفت شخصاً آخر ليكمل غير المكمل بذلك، فتتفرّغين للمشروع الجديد. هناك طريقة أكيدة لفقدان الثقة: أن تشتركي في عدة مشروعات لا تكملين ولو واحداً منها أبداً!

آية ١٧

المرأة الفاضلة تمارس الرياضة، فتُنطقُ حقويها بالقوة الروحية والعقلية. رأينا أنها تجهّز نفسها لتتحمّل مسؤوليات اليوم القادم عليها، ولعلها تستمد القوة العقلية من تأملها في كلمة الله اليوم كله. ولعلها قارئة نهمة تقرأ في موضوعات متنوعة لتعرف أحدث الأخبار فتستطيع أن تحادث أشخاصاً من خلفيات متنوعة بذكاء. وتظل مستعدة جسدياً لتقوم بما دعاها الله إليه، وهذا يعني أن تكون رياضية. وربما تمارس الرياضة كجزء من عملها اليومي، أو تخصص وقتاً لهذا لتظل متزوّدة بالقوة.

شغل موضوع أجسادنا تفكيرِي، فكتبتُ كتاباً صدر عام ٢٠٠٦ عنوانه "مظهر عظيم، وإحساسٌ عظيم - ١٢ مفتاحاً لتمتع بحياة صحيّة

الآن!". وجسدك كمسيحية هيكل للروح القدس يجب أن تحافظي عليه في صحة ليستخدمه الله بالطريقة التي ترضيه. إن الإرهاق يؤثر على حياتنا الروحية ويفقدنا اليقظة التعبودية فيسهل خداعنا، وتنقص أوقات اختلاؤنا بالرب، وتضعف شهادتنا، ويزيد تدمرنا فينقص ثمر الروح فينا.

لهذا أدعوك أن تخصصي وقتاً للرياضة البدنية. ربما تقولين إنك لا تحبينها، أو أن وقتك لا يسمح بممارستها. وأنا أعرف هذه الأعذار لأنني احتميت وراءها لسنوات طويلة. ولم أصل بعد إلى ما أريده ولكني أتقدم نحوه، وقد اكتشفت أن قيامي بما أستطيعه أفضل من عدم قيامي بشيء، فقومي بعملك الذي تحبينه ولا تتركي ممارسة الرياضة. جربي المشي أو مارسي لعبة تتحركين فيها، أو اختاري رياضة تمارسينها مع أخريات. كما أن قراءتك عن الرياضة ستشجعك على أن تمارسيها. واذكري أن الشعب يهلك نتيجة عدم المعرفة.

وكل من يمارس الرياضة يميل إلى الثقة بالنفس، فبها تشعرين بالنشاط والقوة، وتنتجين أكثر وتتمتعين بذلك، وتظهرين بمنظر أفضل، وتتخلصين من التوتر والتعب. ولا داعي للتفكير في كل هذا، إذ تبدئين رياضتك البدنية اليوم.

آية ١٨

نختبر جميعاً رغبةً في التوقف، وتشترك المرأة الفاضلة في ذلك. على أن آية ١٨ تبدأ بالقول "تشر أن تجارتها جيدة" فهي تربح مع الله وهي تخدمه. كما أن مصباحها لا ينطفئ في ليل الحزن والمشاكل والحرمان، فتستمر في إيمانها الذي يطرد الخوف والشك وعدم الثقة.

أصرفي وقتاً تتمتعين فيه بثمره جهادك فتنصيري متى جاءت عليك
أزمة صعبة.

لقد كَلَّفَ الله نساءً ورجالاً ليقوموا بأعمال صعبة، ولكنه وعدهم
دوماً بالجزاء، فالتأمل في المكافأة يُنسِننا المتاعب. ويقول عبرانيين
١٢: ٢ إن المسيح "احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِالْخُرْبِيِّ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ
عَرْشِ اللهِ".

فكّر في إبراهيم الذي طلب الله منه أن يترك بلده وأهله ليذهب إلى بلد
بعيدة لا يعرفها، فأطاع هذا الأمر الصعب، وباركه الله وجعله بركة
لكثيرين.

أشجعك على تحويل نظرك عن عملك لتركزي على وعد الله بمجازاتك.
أصرفي وقتاً تتأملين فيه ثمار عملك، واثقة أن الله سيقوّيك لتُنهي العمل
الذي تقومين به، فتزيد ثقتك لأنك تستحقين أن تتمتعين بمجازاة عملك
الذي هو ما يريده الله لك.

آية ١٩

لا زالت المرأة الفاضلة تعمل لتنتج ملابس يلبسها أهل بيتها، وتبيع
الفائض في السوق. وهي لا تقضي دقيقة واحدة بدون إنتاج.

عندما يثمر الإنسان يمتلئ بالثقة، فلم يخلقنا الله لنبدد شيئاً، بل
أعطانا الوقت لنُحسن استخدامه، فهو من أهم الهبات.

ونحصل كلنا على حصة متساوية من الوقت، يُنتج البعض فيها
الكثير، بينما لا ينتج البعض الآخر فيها شيئاً. ولن تثقي في نفسك لو
أسأت التصرف في وقتك.

آية ٢٠

سيدة "أمثال ٣١" معطاءة، تفتح يديها للفقير لتملاً يديه بما يحتاجه جسداً وفكراً وروحاً

تأمل كيف تبادر بالعطاء فتفتح يديها، بل إنها تتطلع إلى الفرصة التي فيها تعطي. قال أيوب "أَبُّ أَنَا لِلْفُقَرَاءِ" (أيوب ٢٩: ١٦) وقال "إِنْ كُنْتُ قَدْ هَزَزْتُ يَدِي عَلَى الْيَتِيمِ... فَلَنْسُقُطَ عَضُدِي مِنْ كَتْفِي، وَلَتُنْكَسِرَ ذِرَاعِي مِنْ قَصَبَتِهَا" (أيوب ٣١: ٢١، ٢٢).

المعطاءة هي القوية السعيدة التي تحقق نفسها. لقد عشتُ سنوات عيشة أنانية ركزت فيها على نفسي فكنت بئسة طول الوقت، ولكني تعلمت أن أبادر بالعطاء، وأنتهز الفرص لذلك، فامتلات حياتي بالسعادة والشُّبع، فليس في الحياة أفضل من أن تجعلي غيرك يسعد. ولا تنسي أن الله سيفعل معك ما تفعلينه مع الآخرين. ارسمي ابتسامة على وجه إنسان، تمتلئ حياتك بالفرح.

المرأة الفاضلة تفتح يديها للمسكين، فيعطيها الرب بذوراً لتزرع. فإن لم يكن عندك مالٌ تعطينه، فإن لديك أشياء أخرى تقدمينها. انظري في بيتك وستجدين أشياء كثيرة لم تستعملها مند وقت طويل.. أعطيها لمحتاجة إليها. إن وجدت شيئاً لم تستعمله منذ سنة فهو يستحق التوزيع، وسيعطيك الرب جديداً بدل القديم الذي أعطيته. وسيكون فرحك بالعطاء أكثر من فرحك بالأخذ.

لا غرابة أني كرهت سيدة "أمثال ٣١" عندما بدأت أقرأ عنها، فقد كان عندها كل ما ليس عندي، والذي كنت أعتقد أنه يجب أن يكون عندي. فعندما يكون عند الآخرين أفضل مما عندنا لا يجب أن نرفضهم، بل

ليكن لنا نكاء فنتعلم منهم. لا أقول إنك تقلدين الغير، بل تتعلمين منهم وتتخذينهم نموذجاً.

آية ٢١

لا تخاف المرأة الفاضلة على أفراد أسرتها من برد الشتاء لأنها أعدت لهم حللاً. فهل يعني هذا أنها غطتهم بالثياب، وصلت لتسترهم بدم المسيح الفادي الذي تنتظر مجيئه؟.. هناك شاهدان في العهد القديم يشرحان هذه الحقيقة، أولهما في يشوع ٢: ١٨ حيث نجد راحاب ذات الماضي المخزي تضع خيوط القرمز في النافذة بينما أريحا تُخرب. فقد استضافت الجاسوسين وطلبت جزاء ذلك حمايتها وعائلتها. وكانت خيوط القرمز رمزاً للمسيح الآتي.. كما دلّ الدم على الأبواب ليلة عيد الفصح على الأمر نفسه (خروج ١٢: ١٣).

ونقرأ في عبرانيين ٩: ١٩-٢٢ أن موسى رشّ دم عجول وتيوس على كتاب الشريعة وعلى كل الشعب، وعلى المسكن وكل آنية الخدمة، وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم للخلاص من الخطية وعقابها. ونشكر الله أن عندنا عهداً أفضل بدم المسيح.

ولماذا الدم؟ لأن الدم هو الحياة التي تقهر الموت. والخطية موت في جرعات صغيرة، وكلنا نخطئ ونحتاج إلى تطهير مستمر بدم المسيح عندما نضع ثقتنا فيه.

لا بد أن المرأة الفاضلة كانت تعرف عن قوة الدم، فسترت أهل بيتها بالثياب وبالدم.

وهناك شيء هام يجب أن تفعله لأهل بيتك: غطيهم بدم يسوع. وأنا

أفعل هذا باستمرار، فأعطي حياتي وعقلي ومشاعري وجسدي وإرادتي وضميري وروحي وميزانيتي وعلاقاتي وسيري مع الله، وزوجي وأولادي وعائلاتهم، والعاملين معي، وذلك بالصلاة التي تثق أن في دم المسيح قوة للتطهير والحماية.

وأنا أتوب عن خطاياي باستمرار وأحفظ ضميري مستوراً بدم الحمل، فأمتلئ بالثقة في محضر الله وأنا أصلي يومياً، فإن الذين يشعرون بالذنب لا يؤدون عملهم كما يجب، فهم خائفون مكتئبون. ولا يوجد ما يدعوك للخوف والكآبة، فإن اعترفت بخطاياك وطلبت الغفران الإلهي سيمحو كغيمة ذنوبك ويطهرك بدم يسوع. وعندما تضعين ثقتك في كلماته تزداد ثقتك.

آية ٢٢

تعجبني هذه الآية لأنها تخبرني عن شيء لطيف في المرأة الفاضلة، فهي تعيش حياة متزنة، إذ بعد ما قدّمته للآخرين فعلت شيئاً لنفسها. كثيرات يحترقن لأنهن لا يأخذن وقتاً لإنعاش أنفسهن، فيعطين كل اهتمامهن لغيرهن ويهملن ذواتهن، بل أحياناً يشعرن بالذنب لأنهن فكرن في نفوسهن. ونحن محتاجات إلى من يخدمنا روحياً وفكرياً وعاطفياً وجسدياً، فكل دائرة من هذه هامة عند الله، فقد خلق هذه فينا ويريدنا أن نطمئن في كل واحدة منهن، بما في ذلك من أجسادنا ومشاعرنا. مدام "أمثال ٣١" عملت لنفسها وسائد وسجاجيد وفساتين. وكانت فساتينها من نوع قماش ملابس رئيس الكهنة - أي أنها لبست الأفضل.

يخطئ كثيرون عندما يظنون أن المسيحية تعلم التضحية من أجل

الآخرين، مع إهمال النفس. وأنا لا أومن بهذا. صحيح أنه يلزم أن تكون في حياتنا تضحيات عندما يطالبنا الله بهذا فنضحى عن طيب خاطر. لكن لا يجب أن نبذل الجهد لنعرف حجم التضحية التي نبذلها لنُسرَّ الله، فقد قال المسيح "أَتَيْتُ لِيَتَّكُونَ لَهُمْ حَيَاةً، وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلٌ" (يوحنا ١٠:١٠).

عملت المرأة الفاضلة لنفسها ثياباً. فإن لم تكوني قد عملت لنفسك شيئاً فقد جاء الوقت الذي تفكرين فيه في ما يعجبك، وتمتعي بإسعاد نفسك كما أسعدت غيرك. لست أقصد أن تصرفي مالا على نفسك ببذخ وبلا داعٍ، لكن إهمال نفسك وعدم إسعادها خطأ كبير، ولا يُرضي الله. أعتقد أن ثقتنا ستزيد عندما نهتم بمظهرنا وبذواتنا. لا تنسي أنك تستحقين أن تنالي عناية، فأنت ذات قيمة كبيرة ويجب أن تستثمري في ذاتك.

آية ٢٣

زوج المرأة الفاضلة مشهور لأن زوجته رائعة، وياله من إطراءٍ لها! تخيّلني أن زوجك حضر مناسبة هامة، فاجتمع الناس من حوله يتحدثون عن زوجته العظيمة.. أو أنه يكون سائراً في الطريق بينما يقف رجلان على الرصيف المقابل يتسامران ويقولان: انظر إلى السيد "أمثال ٣١". إن زوجته عظيمة أنجزت الكثير في حياتها، ليس فقط في العناية بالآخرين، بل في العناية بنفسها أيضاً. إنه رجلٌ مبارك رضي الله عليه بأن أعطاه هذه المرأة الفاضلة!

قرري أن تكوني الزوجة التي تُقنع الآخرين أن البركة جاءت لزوجك بسببك.

آية ٢٤

الآن نجد المرأة الفاضلة ذات المواهب المتعددة تصنع قمصاناً ومناطق (أحزمة) لتصدرها. فيالها من امرأة! إنها تزيد دخل الأسرة باستخدام إمكانياتها التي تخدم بها بيتها لتكون بركة للآخرين، فهي تصنع بضاعة لازمة ومطلوبة في السوق. فإن كنت تريدين أن تكوني سيدة أعمال فادرسى احتياجات السوق وجدوى ما تريدين أن تنتجيه.

آية ٢٥

معرفتك أنك مستعدة
لكل ما يأتي عليك
يزيد ثقتك
بطريقة مذهلة

تقول آية ٢٥ إن المرأة الفاضلة تكسو نفسها بقوتها وبهائها، فتحتل مركزاً قوياً وأمناً، الأمر الذي يزيد بها ثقة فلا تخاف من فقدان مكانتها، ولا تخشى من أن يصيبها مكروه.

واجهت المرأة الفاضلة المستقبل بثقة لأنها تعلم أنها أعدت كل شيء له. إن نقص التجهيز أحد الأسباب التي تُضعف الثقة بالنفس، ولهذا خصصتُ له فصلاً كاملاً في هذا الكتاب (فصل ٧). والاستعداد يتطلب عملاً مسبقاً لا ينتظر حتى الدقيقة الأخيرة. نقرأ في متى ٢٥ عن عشر عذارى، خمس حكيماً وخمس جاهلات. أخذت الحكيماً مزيداً من الزيت وهن ينتظرن مجيء العريس الذي قد يتأخر. أما الجاهلات فاكتمفن بالزيت الذي في مصابيحهن، ولم يجهزن أنفسهن لاحتمال تأخير العريس. وسرعان ما احتاجت الجاهلات للزيت، فحاولن أن يستعرن من الحكيما اللواتي قلن إن ما معهن من زيت "لا يكفي لنا ولكن". فضاعت من الجاهلات فرصة حضور حفل العرس.

ويتكرر هذا المشهد مع كثيرين: لا يستعدون، ويتركون الأمور لآخر لحظة فتضيع منهم الفرصة ويخسرون البركة.

إن معرفتك أنك مستعدة لكل ما يأتي عليك يزيد ثقتك جداً. فإن كنت ممن يؤجلون الاستعداد حتى اللحظة الأخيرة، فلا تؤجلي، وابدئي الاستعداد الآن.

آية ٢٦

تدرك المرأة الفاضلة أهمية الكلمات، فتتكلم بحكمة إلهية ولا تنطق إلا باللطف. والحكمة في الكلام اللطيف صفة رائعة يجب أن تتحلى المرأة التقية بها. إننا نحتاج إلى اللطف، وسنحصد ما نزرعه. فإذا كنت محتاجة لسماع كلمات لطيفة ابدئي بإسماعها لغيرك. فكري في ما ستقولينه قبل أن تنطقي به فيخرج من فمك حكمةً تبني غيرك. جاء في أمثال ١٨: ٢٠، ٢١: "مَنْ ثَمَرَ فَمِ الْإِنْسَانِ يَشْبَعُ بَطْنُهُ، مِنْ غَلَّةِ شَفَتَيْهِ يَشْبَعُ الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ فِي يَدِ اللِّسَانِ، وَأَحْبَابُهُ يَأْكُلُونَ ثَمَرَهُ".

نقدر أن نكلم الناس بموت أو حياة، ونقدر أن نكلم أنفسنا بالطريقة نفسها، فيمكن أن كلماتنا تبني ثقتنا في نفوسنا ونفوس غيرنا، كما يمكن أن تهدمنا وتهدم غيرنا. وأدعوك اليوم أن تزيدي ثقتك بواسطة ما تقولينه. كوني حذرةً وأنت تتحاورين مع نفسك داخل نفسك، فأنت عادةً تكلمين نفسك أكثر مما تكلمين غيرك، فتأكدي أنك تقولين شيئاً تريدان أن يبقى معك.

آية ٢٧

المرأة الفاضلة تحمل المسؤولية، وتراقب طرق أهل بيتها، وترفض أن

تستسلم للكسل، ولا تصرف وقتها في النسيمة أو في الولولة على سوء حالها، وهي لا تتذمر بل تقدّر الحياة حقّ قدرها وتحترف بها في مطلع كل نهار. إنها تعرف أن الكسل والإسراف ورثاء الذات والنسيمة وعدم الرضا لصوص يسلبون منها الحياة العظيمة التي مات يسوع ليهبها لها. فلا تسمح لشيء من هذه أن تحكم حياتك. وعندما تحتفظين باتجاهات إيجابية تتمتعين بثقة أكبر.

آيتا ٢٨ ، ٢٩

تتمتع المرأة الفاضلة بمدح أولادها وزوجها وتطويبهم لها، ويقول زوجها إن هناك بنات كثيرات فضليات، لكن زوجته فاقتهن جميعهن، فهي أعظم زوجة يلتقي بها إنسان. وهو يحتفل بقوة شخصيتها وصلاحها.

حدث أن عيد ميلادي جاء أثناء أحد مؤتمراتنا، فوقف زوجي وقرأ لي أمثال ٣١ على مسمع من جميع الحاضرين، ثم وقف أولادي وقال كل منهم عني شيئاً لطيفاً يبيني. ولا يوجد أجمل من أن تقضي سنوات تربي أولادك، فيقولون لك إنهم يحترمونك ويقدرّونك ويحبونك، وإنهم مديونون لأحسن أم، ويقف زوجك ليقول إنك أفضل زوجة في العالم. وقد زادت هذه الكلمات ثقتي بنفسي.

آيتا ٣٠ ، ٣١

يمكن أن ننخدع بالجمال والحسن والجاذبية لأنها لا تستمر، لكن المرأة الفاضلة المتعبدة التقيّة الخائفة الله هي التي تستحق المدح، فتأكل من تعب يديها وتمدحها أعمالها.

عندما تفعلين ما تعلمين أنه صواب تزدادين ثقة. وعندما تجعلين الرب أمامك في كل حين لا تضلّين. اتبعي نموذج المرأة الفاضلة كما تقرئين عنها في أمثال ٣١ فتستنير بصيرتك وتصبحين أفضل ربة بيت وزوجة وأم واثقة.

الفصل السادس

الانتصار على الشك في الذات

لو أن "س" لبس "جاكيت" وربط "ص" "رسغِي" "س" معاً، فلن يقدر "س" أن يخلع الجاكيت مهما حاول.. هذا نفس ما يحدث عندما تجاهدين أن تثقي في ذاتك بينما يربطك الخوف والشك في ذاتك، فهناك تنافر وعدم لقاء بين الثقة من جانب والشك في الذات من جانب آخر، بل إن الشك في الذات يدمر الثقة، ولو أن الثقة تدمر الشك في الذات.

والشك في الذات له عذاب، والتي تشك في قدراتها تفقد اتزانها في كل شيء تعمله أو تعزم على عمله، وتحيا في ارتباك معظم الوقت، وتصارع في اتخاذ القرارات والثبات فيها لأنها تغير رأيها كثيراً خوفاً من أن تكون قد اتخذت القرار الخاطيء. أما المرأة الواثقة فلا تخشى من الخطأ لأنها تعرف كيف تتخلص من آثار خطئها، وترفض أن تصبح سجيناً هذا الخطأ، ولا تسمح له أن يقيدها.

يعلمنا الكتاب في يعقوب ١: ٥-٨ أن الله لا يستجيب صلاة المرتاب، فهو يستجيب لإيماننا لا لمخاوفنا، والشك في الذات نوع من الخوف من أن نخطئ وتكون النتيجة أننا نخطئ، وقد يصل بنا الأمر إلى أن نشك في نفوسنا، فنمتلئ بالخجل منها ونرفضها، وتضيع منا الثقة في القدرة على اتخاذ قرار.

وقد تقولين لي "أنا عاجزة عن السيطرة على مشاعري. أتمنى أن أشعر بالثقة، لكن هيهات أن تتحقق أمييتي". ما سأقوله لك الآن هو من أهم ما

سمعت في حياتك: "لا يحتاج الأمر إلى شعورك بالثقة لتكوني واثقة". فلكي نحيا الحياة المنتصرة يجب أن نتعلم أن نخطو إلى ما هو أعمق من مشاعرنا. وقد تعلمت أنه يمكن أن أشعر أنني مخطئة ومع هذا أختار ما هو صحيح؛ كما تعلمت أنني لا أحتاج لأن أشعر بالثقة حتى أقدم نفسي بأسلوب الواثقة. فلو أخذت قراراً أعتقد وقت أخذه أنه صحيح، فلا يوجد ما يدعو لأن أغير رأيي بعد ذلك لمجرد أنني بدأت أفكر أنني ربما أخطأت الاختيار.. طبعاً لو أن الله كشف لي أنني أخذت القرار الخطأ فيجب أن أغير قرارتي.. لكن لا يجب أن أنحني أمام كل فكرة طارئة أو مشاعر تواجهني.. وعندما يهاجم الشيطان أفكارني أفتح فمي وأقول بصوت مسموع ما تملنه كلمة الله لك ولي: "لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد" (أعمال ١٧: ٢٨).

لا خطأ في أن تقولي أشياء طيبة عن نفسك، مثلاً: "حكمة الله فيّ، وأنا أتخذ قرارات صائبة". نحتاج أن نصدق كلمة الله أكثر مما نصدق مشاعرنا التي يمكن أن تكون خادعة، ومتغيرة، فلا يمكن أن نضع ثقتنا فيها كأساس لاتخاذ القرارات الهامة في حياتنا. ليست المشاعر شريرة، لكنها يمكن أن تقودنا إلى الضلال لأنها تقدم لنا معلومات صائبة أحياناً وخاطئة أحياناً أخرى. فلنحيا بما هو أعمق من مشاعرنا. وتعلمنا كلمة الله أن نطلب السلام (مزمو ٣٤: ١٤، ٢ تيموثاوس ٢: ٢٢، عبرانيين ١٢: ١٤، ١ بطرس ٣: ١١).

نحتاج أن نصدق
كلمة الله
أكثر مما نصدق
مشاعرنا

لقد مرّت بي أوقات شعرتُ فيها بسلام قلبي بخصوص أمر ما، لكن فكري لم يسترح إلى مشاعري. ونتعلم من يعقوب ١: ٢٢ أن الحجج والبراهين تقود أحياناً إلى الخداع والخيانة. فعندما نغير فكرنا في قرار

اتخذناه يجب أن يكون سبب هذا أننا فقدنا راحتنا له، أو أننا حصلنا على حكمة وبصيرة روحية لم تكن عندنا عندما أخذنا هذا القرار.

لا تنكشي

يجعلنا الشك في ذواتنا ننكمش خوفاً، فنقرأ في عبرانيين ١٠: ٣٨ أن البار بالإيمان يحيا، وإن ارتدَّ لا يُسر الله به. فالله لا يغضب منه لكنه يحزن عليه لأنه يحيا في مستوى أقل جداً مما جهَّزه له في المسيح.

الإيمان هو الثقة بالله وبكلمته، وربما تتمتعين بعلاقة طيبة في الرب، وليست لديك مشاكل في إيمانك به. ولكن عندما يحين وقت الثقة في نفسك لتقومي بأمر لازمة تنكشين وتعطين الخوف فرصة ليمتلكك ويجرِّك للخلف.

ذات مرة قال الله لي إنني لو لم أثق في نفسي، فهذا يعني أنني لا أثق فيه، لأنه يحيا فيَّ يقودني ويرشدني ويمتلكني لأني طلبت هذا منه، وأردت أن أصدق مواعيد الله لا مشاعري وأفكاري. ويمكن لأي واحدة منا أن تبتعد عن الله وترتكب أخطاء، وقد نزن أننا في الطريق الصائب وسرعان ما نكتشف أننا أخطأنا.

فلا يجب أن نقيم الدنيا ونقعدها، ولا يجب أن نياس ونكتئب. فإن كانت قلوبنا مخلصمة، وإن كنا نطلب مشيئة الله بإخلاص، فإنه سيتدخَّل ليهدينا إلى سبُل البر. وكثيراً ما يفعل هذا دون أن يُشعرنا بأنه قد عمل.

أدعوك لتتقي أنك تحت القيادة الإلهية، إلا إن أعلن هو لك أنك لست كذلك. هذا أفضل من افتراض أنك دوماً مخطئة، فتعيشين في أسى وعدم رضى. اقرئي يوحنا ١٦: ١٣ وثقي أنه يقودك بالروح القدس إلى جميع

الحق. فإن كنا على خطأ يقودنا للصواب.

عندما شغل "جيم بيورك" رئاسة إنتاج منتج جديد في أحد فروع شركة "جونسون وجونسون" كان إنتاج دهان لصدر الأطفال من أوائل ما كلف به. وفشل المنتج فشلاً ذريعاً، وتوقع بيورك أنه سيُطرد من عمله. ولكن عندما دُعي ليقابل المدير العام وجد عكس ما توقعه، فقد بادره بالسؤال: "هل أنت من كلّفنا كل هذه الخسارة المالية؟ أود أن أهنيك، فإن ارتكابك للخطأ يعني أنك تخاطر. ولا يمكن أن تنمو شركتنا بدون القيام بمخاطرات". وبعد بضعة سنوات عندما صار بيورك مدير عام شركة جونسون وجونسون جعل ينشر هذه الفكرة.

لا تخافي من ارتكاب الأخطاء، فلن تنجحي إلا إن ارتكبت الكثير منها.. وأعتقد أن الناس يعطون أخطاءهم أهمية أكثر من اللازم. لكن علينا الاعتراف بها والتوبة عنها، ونطلب من الله غفرانه. وعلينا أن نتعلم من أخطائنا لتتقدّم حياتنا، فبدل أن نجعلها تُشعرنا بالذنب نجعلها تعلمنا أننا خطأ في خطأ لمجرد أننا ارتكبنا خطأً.

تعلّمي أن تفصلي بين "من أنت؟" و"ماذا تفعلين؟" فإننا نحن البشر نخطئ، ومع هذا فنحن أبناء وبنات الله الذين يتمتعون بأنه رسم خطة لحياتنا، وهو بطيء الغضب وكثير الرحمة.

زوجي وأنا عندنا أربعة أبناء بالغين ارتكبوا أخطاء، لكنهم لا زالوا أبنائِي، أحبهم كأنهم لم يخطئوا أبداً.

وأعرف آباء وأمهات يبالغون في حماية أبنائهم من ارتكاب أي أخطاء فلا يسمحون لهم أن يتخذوا أي قرارات لئلا يخطئوا، وهذه أكبر أخطاء الآباء. إننا ننمو ونحن نخطو للأمام، ونحن نجرب أشياء جديدة،

فنعرف الصالح ونميز الطالح. وتعلمنا من اختباراتنا أهم من تعلمنا من الكتب.

إزالة خطية الشك

نعرف الشك بأنه الخوف من ارتكاب الخطأ. ولم يعطنا الرب روح العبودية لنصير أسرى الخوف (رومية ٨: ١٥) فهو لا يريدنا أن نحيا في خوف نشك فيه ونشك في أنفسنا.

الشك في حقيقته خطية لأننا نقرأ في رومية ١٤: ٢٣ أن كل ما ليس من الإيمان فهو خطية. فإذا استسلمنا للخوف والشك تبدأ بركات الله لنا في النقصان، فلا تسمحي لهذا أن يظهر في حياتك.

الشك هو الخوف من حدوث أمور سلبية، بينما الثقة تتوقع أموراً إيجابية. ويستهلك الشك جهدنا بينما لا تتطلب الثقة إلا القليل من الجهد. كما أن الواثقات الإيجابيات أفضل صحة من الخائفات السلبيات. والإيجابيات تصيبهنَّ الشيوخوخة متأخراً ويعشن أطول من السلبيات. لقد سبق وذكرت أنني نشأت في بيت سيئ، وكان والدي سريع الغضب ومستعبداً للخمر، وكان إرضاءه من المستحيلات، وكان يعتدي على أمي بالضرب، ويغتصبني جنسياً وعاطفياً وعقلياً وجسدياً، ومنذ عمر الثامنة عشرة اختبرت اليأس والشك والإحباط، وكنت أتوقع السوء ظناً مني أن هذا الظن سيخفف عني السوء عندما يجيء. ويمكنني أن أقول إنني في تلك الفترة لم أختبر في حياتي أي شيء يرضيني.

تركت البيت وأنا في الثامنة عشرة وحصلت على وظيفة وبدأت الاعتماد على نفسي. وظننت أنني خرجت من المشاكل لأنني تركت البيت، ولم أكن أعلم أنني حملت متاعبي معي داخل نفسي، فقد تدمر عقلي

ومشاعري وصارا محتاجين للشفاء، وكنت عنيدة ثائرة لأنني لم أكن أريد أن يؤذيني أحد بعد اليوم.

كانت روحي منكسرة وكل مشاعري سلبية مع أنني كنت مؤمنة بالله وأصلي طالبة العون، لكنني كنت أجهل كل شيء عن الإيمان، فقد وجدت أن الصلاة والشك معاً لا يفيدانني، كما أنه لا فائدة من الصلاة والخوف معاً.

كنت محتاجة إلى مزيد من تعليم، وكان الله أميناً صبوراً ومحباً لي، فغيّرني وشفاني وأعطاني فرصة مساعدة المجروحين، وأقامني من الرماد ووهبني الحياة الجديرة بأن نحياها.

لقد تحررت من الخوف والشك والسلبية، وهذا لا يعني أن هذه الثلاثة لا تزورني بين آن وآخر، ولكنني تعلمت أن أرفضها، ووجدت أن رفضها سهل كسهولة ممارستها. فعندما يقرع الخوف على قلبي أطلب من الثقة أن ترد عليه.

وعندما يقرع الشك في الذات بابي أدع الإيجابية تجاوبه. وعندما تغزو السلبيات والنميمة كلامي أطلب من الروح القدس (وأحياناً من زوجي) أن يذكرني أن السلبيات لن تساعد أحداً، فأقرر أن أتغيّر.

قوة اتخاذ القرار

خلقنا الله بإرادة حرة تختار ما تشاء، ولكن الشيطان يضع علينا ضغوطاً من خارجنا ليجبرنا على القيام بأشياء، بينما الله يقودنا بروحه القدوس من داخل قلوبنا، حيث يسكن. وليس يسوع قاسياً ولا خشناً، فهو وديع ومتواضع القلب (متى ١١: ٢٩، ٣٠).

ونحن البشر مخلوقات معقدة، يفكر عقلنا في شيء بينما مشاعرنا

عندما تتجدد إرادتنا
بفعل كلمة الله
ونعرف أن نختار الصواب
ونرفض الخطأ
نصبح خطرين على
لشيطان ومملكة الظلمة

تفكر في ضده، بينما تفكر إرادتنا في شيء ثالث! وعندما تتجدد إرادتنا بفعل كلمة الله ونعرف أن نختار الصواب ونرفض الخطأ نصبح خطرين على الشيطان ومملكة الظلمة، إذ نرفض السلبيات التي يخطط لها الشيطان، ونفعل قوة الإرادة لتتوافق مع الله وكلمته.

وقد اكتشفت أن الشك فكرة يزرعها الشيطان في رأسي ليحرمني من الاستمتاع بالحياة والتقدم في تنفيذ ما خططه الله لحياتي.. كما اكتشفت أنه مهما شعرت بالشك أقدر أن أعزم على التقدم بالإيمان، فإن مشاعري ليست "أنا" فأنا أعظم من مشاعري. ومهما كانت مشاعري فإنني أقدر أن أختار الصواب، ولو أن المضاد للمشاعر ليس سهلاً، لأن مشاعرنا كثيراً ما تكون قوية- غير أن وقفتك ضد مشاعرك إلى أن تتمتع بالحريّة أفضل من الاستمرار في الخضوع لها.

اتخذ يشوع قراراً فقال: "اخْتَارُوا لَأَنْفُسِكُمْ الْيَوْمَ مَنْ تَعْبُدُونَ.. وَأَمَّا أَنَا وَبَيْتِي فَتَعْبُدُ الرَّبَّ" (يشوع ٢٤: ١٥). كان قد قرر ولم يسمح لأحد أن يغيّر هذا القرار. لم يبين قراره على ما يمليه الآخرون عليه فلم يخف من البشر. فإن عزمته على أمر ما، لا تسمح لي للشك أن يعطلك لمجرد أن سيدة أخرى تفعل غير ما تفعلين. لا تفترضين أنك مخطئة ويجب أن تغيّري ما تفعلين. وربما كان كلاهما على صواب، فإن الله يقود أشخاصاً مختلفين ليقوموا بأعمال مختلفة، لأسباب لا يعلمها إلا هو.

الممارسة تؤدي إلى المثالية

أشجعك أن تمارسي كونك شخصية إيجابية، وهذا يتطلب إبطال عادة وتشكيل عادة جديدة. وقد كنت سلبية في فترة من حياتي حتى فكرت في القيام بأمرين إيجابيين، الواحد بعد الآخر، حتى تشج عقلي! وأنا الآن امرأة إيجابية ولا أطيق أن أبقى مع أشخاص سلبيين. ولكي تكوني عادة جديدة تحتاجين للانضباط. ربما تحتاجين أن تكتبي عبارة "كوني إيجابية" تعلقينها في أماكن ظاهرة، لتتذكري. كما قد تحتاجين لصديقة (أو لزوجك) ليلفت نظرك عندما تكونين سلبية.

مارسي أن تثقي في نفسك أكثر مما تشكين فيها، ولا تنسي أن هناك احتمالين: أنت على صواب؛ أو أنت مخطئة - فلماذا لا تبدئين بالتفكير أنك على صواب؟ فإذا كانت هناك فرصة ترقية لك في وظيفتك، لا تفكري قائلة: "غالباً لن أرتقي".

صلي أن يعطيك الرب نعمة في عيني رئيسك، ثم قولي: "أثق أنني سأحصل على الترقية". ربما تسألين: "وماذا يحدث لو لم أحصل على الترقية؟". فأسألك: ماذا يحدث إن كنت لا تحاولين؟.. غالباً لا شيء!.. فإذا حاولت ولم تحصلي على ما تريدين قولي لنفسك "لو كانت الترقية لي لأعطانيها أبي السماوي. ولا بد أنه اختار لي ما هو أفضل".

وبهذا تدربين نفسك أن تفكري بإيجابية حتى عندما تبدو المواقف غير ذلك. لا تسمحى للشيطان أن يغلبك، فمنذ البدء بذر بذور الشك والخوف والسلبية، وقد آن أوان وقفه عند حده فلا نكون أواني في يده.

توقفي الإكرام

يريد الله أن يكرمك ويعمل معك معروفاً ورحمةً دون أن تستحقني. ويخبرنا الكتاب المقدس عن كثيرين أكرمهم الله. وفي يومنا هذا لا زال يكرم، وسيكرمك. فتعلمي أن تثقي أن الله سيعمل معك معروفاً. قولي لنفسك عدة مرات يومياً إن لديك نعمة عند الله والناس، وستندهشين من روعة ما سيحدث لك لو تلوت كلمة الله عوضاً عن كلام الشكوى والتذمر. وينعم الله علينا بمعرفه بطرق متنوعة. قد تحصلين على الوظيفة التي كنت ترغبينها لكن مؤهلاتك لم تكن تسمح لك بالحصول عليها.. الناس يحبونك لغير شيء متميز فيك.. يأتونك بهدايا بدون مناسبة.

الحياة بإكرام إلهي حياة مذهلة. عامل إخوة يوسف أخاهم بقسوة شديدة وباعوه عبداً، لكن الله أكرمه حيثما توجه. أكرمه فوطيفار وعينه رئيساً على بيته؛ وأكرمه السجن عندما أُلقي به في السجن لغير ذنب جناه؛ وأكرمه فرعون عندما جعله الرجل الثاني بعده في مصر..

إن الحياة في كرم الله رائعة حقاً.. ومن الذين عمل الله معهم معروفاً راعوث وأستير وإبراهيم ودانيال وغيرهم، فقاومي الشك ولا تقولي إن الله لن يكرمك كما أكرم هؤلاء. اطلبي إكرام الله لك، وسيفعل.

”لَوْلَا أَنَّنِي آمَنْتُ بِأَنَّ أَرَى جُودَ الرَّبِّ فِي أَرْضِ الْأَحْيَاءِ - اِنْتَظِرِ الرَّبَّ. لِيَتَشَدَّدَ وَلِيَتَشَجَّعَ قَلْبُكَ، وَانْتَظِرِ الرَّبَّ“ (مزمور ٢٧: ١٣، ١٤).

اطلبي مواعيد الله وأنت واثقة

”تَشَدَّدْ (ثق) وَتَشَجَّعْ“ (يشوع ١: ٦)

"الَّذِي يَجْعَلُ رِجْلِي كَالْإِيلِ (ثابته وقوية)، وَعَلَى مُرْتَفَعَاتِي يُقِيمُنِي"
(٢ صموئيل ٢٢: ٣٤)

"وَقَطْمُنْ لَأَنَّهُ يُوجَدُ رَجَاءً. تَتَجَسَّسُ حَوْلَكَ وَتَضْطَجِعُ آمِنًا" (أيوب
١٨: ١١)

"بِسَلَامَةٍ أَضْطَجِعُ بَلْ أَيْضًا أَنَامُ، لَأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ مُنْفَرِدًا فِي طُمَأْنِينَةٍ
تُسَكِّنُنِي" (مزمور ٤: ٨)

"(بمعونة) اللَّهُ أَفْتَحِرُ بِكَلَامِهِ. عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَلَا أَخَافُ. مَاذَا
يَصْنَعُهُ بِي الْبَشَرُ!" (مزمور ٥٦: ٤)

البداية في يدك

إن كنت قد قررت أن تعيشي متمتعة بأفضل ما في الحياة التي يريدنا الله لك، فيجب أن تدركي أن بداية ذلك في يدك أنت. عليك أن تثقي في ما تقوله كلمة الله عنك أكثر من ثقتك في ما يقوله الناس عنك، وأكثر مما يقوله لك قلبك وعقلك عنك.

ربما منذ طفولتك رسخت في ذهنك فكرة سلبية عن نفسك. ربما كان أبوك أو أمك مشوش الذهن فصبَّ هذا التشويش عليك. ربما كان معلمك يقلل من قيمتك أمام سائر زميلاتك. ربما كان أبوك أو أمك يقارنك بأحد إخوتك ويقول إنه لا فائدة فيك. ربما فكت خطبتك مرة أو مرتين واعتبرت أن هذا يرجع لخطأ فيك.. مهما كان سبب شكك وتفكيرك السلبي في نفسك فإن عليك أن تتغيري لتتمتعي بأفضل ما يريد الله أن يعطيك.

فكري في كيف يراك الله، لا كيف يراك البشر أو كيف ترين نفسك.

ادرسى كلمة الله وسترين كم أنت غالية، صنعك الله بنفسه وأنت في رحم أمك. أنت لست بالصدفة، حتى لو قال والداك لك إنه لم يكن مرغوباً فيك، فإن الله يرغب في وجودك وإلا ما خلقك أو سمح لك أن تعيشي. أنت ثمينة، وغالية، وموهوبة، ولك هدف في الحياة. يقول الله لك إنه يعرفك باسمك، وإنك له.

”لَا تَخَفْ لِأَنِّي فَدَيْتُكَ. دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ. أَنْتَ لِي.. صِرْتَ عَزِيزاً فِي عَيْنِي مُكْرَماً، وَأَنَا قَدْ أَحْبَبْتُكَ. أُعْطِي أَنَا سَماً عَوْضَكَ وَشَعُوباً عَوْضَ نَفْسِكَ. لَا تَخَفْ فَإِنِّي مَعَكَ“ (إشعياء ٤٣: ١، ٤، ٥).

اصرفي دقائق تفكرين في قلبك. ماذا فيه؟ كيف ترين نفسك؟ إن لم تتفق إجابتك مع كلمة الله أشجعك أن تبدئي اليوم تغيير فكرك عن نفسك. لقد كتبت عدة كتب عن هذا الموضوع، وبالطبع ستكون كلمة الله أفضل ما كتب عن هذا الموضوع.

لا يكفي أن نطلب من الله أن يعطينا ما وعدنا به، إذ يجب أن نقبله. يقول المسيح إن فرحنا يكمل حين نتناول ما يعطيه الآب لنا (يوحنا ١٦: ٢٤).

فإن كنت تشعرين أنك غير مستحقة فقد لا تطلبين. وإن كنت تشعرين أنك مستحقة فلن تأخذي إلا إن كنت مؤمنة. إن القرار قرارك. والشك سيقوم فاصلاً بينك وبين أفضل ما يريده الله لك. القرار قرارك، فلا تسمح لمشاعرك أن تسود عليك، لكن خذي خطوة إيمان وابدئي اليوم تحسين نوعية حياتك. ثقي أنك تتخذين قرارات صالحة، وأنت إنسانة غالية، وأن مستقبلاً عظيماً ينتظرك، وأنت اليوم ستريين شيئاً صالحاً يحدث معك.

الفصل السابع

قوة الإعداد والتهيئة

الإعداد والتجهيز المسبَّق يهيئنا لنتحرك بثقة. وكثير من النساء تنقصهنَّ الثقة لأنهن غير مهَيَّات بالدرجة التي تتناسب مع ما يحاولن القيام به. وهناك عدة أسباب لنقص الإعداد، منها عدم إدراك أهمية الإعداد والتهيئة، ومنها الكسل، ومنها الانشغال بأمر كثيرة لا تساعد على تحقيق الأهداف فلا يبقى وقت للقيام بما يساعدهنَّ. تخيلي طبيباً يريد أن يمارس مهنة الطب دون دراسة أو إعداد وتدريب.. وتخيلي من يريد أن يكون لاعباً مشهوراً دون أن يُعِدَّ نفسه ويتدرب..

فعلى من يدرِّس كلمة الله أن يستعد قبل أن يعلم. وأنا لا أقف على المنبر أبداً بدون استعداد كافٍ، فأنا أدرس وأصلي وأراجع نقاط حديثي مرة ومرة. وفي مرات كثيرة لا أحتاج إلى الرجوع إلى هذه النقاط وأنا أعظ، لأنني بسبب كثرة مراجعتي لها صارت جزءاً مني، فتدفَّق على شفتي بسهولة. ومعرفتي أنني بذلتُ جهدي في الإعداد تساعدي أن أخدم بثقة. هل يمكن أن تفكري في شخص تخصص في أمر ما دون أن يستعد له ويمارسه؟

أنا لا أعرف أحداً مثل هذا، فالعازف على البيانو، والرياضي، والراقص يُعدُّ نفسه ويدربها لينجح في تخصصه ويمتلئ بالثقة.

دعا الله موسى ليُخرج الشعب من عبودية مصر، فأراد أن يبدأ هذا فوراً، فقتل المصري واضطراً أن يهرب من مصر مدة ٤٠ سنة. لقد تصرَّف

موسى بدون سماح من الرب فلم يكن مستعداً. كانت له غيرة بدون معرفة، فتبع مشاعره بغير تهيئة، فقاده الرب ليقضي أربعين سنة في الصحراء جهزه أثناءها ليقوم بالخدمة المطلوبة منه.

عندما يكلفنا الله بعمل ما كثيراً ما نظن أنه سيكون سهلاً، غير أن معظم الأمور أصعب مما كنا نظن، وتستغرق وقتاً أطول مما كنا نتوقع. ولكنها تفرحنا بفرح لم يكن يخطر لنا ببال. عندما دعاني الله للخدمة ظننت أن خدمتي ستبدأ فوراً لأنني لم أكن أعرف أنني يجب أن أستعد للخدمة التي اختارني لأقوم بها، فصرفت كل ساعة عندي في دراسة الكلمة وقراءة الكتب التي تعلمني العقائد والمبادئ الكتابية التي أرادها لي، وسلّمت نفسي للدعوة الإلهية، وبدأت أرفض أية دعوة من صاحباتي تكلفني وقتاً ثميناً أستعد فيه للخدمة. ولم يفهم كثيرون من أصحابي سبب غيرتي الجديدة، وظنوا أن الشطط ركبني، ونصحوني أن أهدئ من حماستي وأرجع إلى طبيعتي الأولى، وتعجبوا أنني لم أعد أذهب معهم للتسوّق أو أحضر حفلات أعياد ميلادهم.

وأنا لا أقول إن في التسوّق أو حضور حفلات أعياد الميلاد خطأً، لكنني كنت أتبع تعليمات ربي الذي دعاني لأخص نفسي لخدمته. ولم أكن لأنجح في خدمتي لولا استعدادي لها، والإعداد يتطلب وقتاً وجهداً. ولم يكن في هذا الإعداد تضحية لأن الله جهزني برغبة قوية في الدرس، ولكن مشاعري كانت جريحة لأن أصدقائي لم يفهموني. كنت أحاول أن أرضي الله، فهجرني أصدقائي وغضبوا عليّ مني، واكتشفت أن هذا الهجران كان جزءاً من إعداد الله لي لخدمته.

بدأت بتعليم درس الكتاب المقدس لمدة خمس سنوات لنحو ٢٥ أو ٣٠ شخصاً، ولم أتقاضَ أجراً من أحد مع أن هذه السنوات الخمس كانت فترة

احتياج مادي كبير لي ولأسرتي، ولكن الله سدّد كل احتياجاتنا، أحياناً في الدقائق الأخيرة، وبطرق غير متوقّعة.

وكجزءٍ من إعداد الله لي لأخدمه قادني لأستقيل من وظيفتي لأعطي مزيداً من الوقت لإعدادي لخدمتي الجديدة. وكان عندي وقتها ثلاثة أطفال، وكنت أشغل وظيفة تحتل كل وقتي، وكنت نشيطة في كنيسة. ولم يكن ممكناً أن أجد وقتاً للدراسة إلا إن ضحيت بوظيفتي، فاعتمدت على الرب الذي يرعانا. وكان تعلّمي أن أثق في الرب في

لا تظهر الثقة فجأة
في حياتنا
ولكنها تنمو ونحن
نخطو بالإيمان
مختبرين أمانة الله

تلك الأيام امتحاناً لإيماني، وتدريباً ليجهزني لأقوم بخدمة تتسّد كل نفقاتها بالإيمان. وواضح أن الثقة لا تظهر في حياتنا فجأة، ولكنها تنمو ونحن نخطو بالإيمان مختبرين أمانة الله.

ثم اشتغلت تحت إدارة راعي كنيسة مدة خمس سنوات تعلمت فيها الكثير. كانت سنوات طيبة ولو أنها كانت صعبة، لأن العمل تحت إدارة مدير لا تعطي فرصة عمل ما أريد، فكنت مشوّشة بعض الشيء. ولكنها كانت في عمومها حسب خطة الله لحياتي وخدمتي. وأعتقد أن الناس يجب أن يتعلموا كيف يعيشون تحت سلطان قبل أن يتأهلوا ليكونوا ذوي سلطان. ولما كنت قوية الإرادة وجدت صعوبة لأخضع لسلطة لا أتفق دائماً معها، ولكنني عرفت أن هذا جزء من إعداد الرب لي.

وجاءت الفترة الثالثة من خدمتنا عام ١٩٨٥ عندما أخبرنا الله أن نقوم بخدمة نذهب فيها جنوباً وشمالاً وشرقاً وغرباً، فبدأنا نعقد اجتماعات صغيرة في أي مكان نصل إليه بسيارتنا، ولم يكن

الحاضرون يزيدون عن مئة شخص. وعند كتابة هذه السطور أكون قد قضيت ثلاثين سنة أعلم كلمة الله بعد أن تعلمتُ في مدرسة الروح القدس. ومع أنني لم أتعلم في كلية لاهوت إلا أن الله أعدني للخدمة التي أحبها. ونحن نسافر في أمريكا وخارجها، ولهيئتنا مكاتب في ١٣ دولة، ونصل إلى ثلثي الكرة الأرضية بالإذاعة المرئية خمسة أيام في الأسبوع.. لقد وصلنا، لكن بعد وقت طويل من سنوات الإعداد قبل كل مرحلة من مراحل خدمتنا.

لقد انتقدتُ عبر السنين لأنني لم أدرس في كلية لاهوت، ويسألونني "من أنت حتى تدرّسي كلمة الله؟ ما هي مؤهلاتك؟" فأجيب: أنا مؤهلة لأن الله مسحني لأعظ بالإنجيل للمساكين (إشعياء ٦١: ١). وإذا تأملنا التلاميذ الذين اختارهم المسيح لوجدنا أنهم لم يكونوا مؤهلين، فقد اختار الضعفاء والمزدرى (١ كورنثوس ١: ٢٦-٢٩).

أؤكد لك أن الله سيؤهلك بالطريقة التي يختارها، وقد تكون بالدراسة في كلية لاهوت وقد لا تكون، لكن الله سيستخدم كل ما في حياتك ليجهّزك إن كنت تستسلمين له. ومن المؤسف أن كثيرين مدعوون ولكنهم لا يصبرون للتأهيل اللازم لإعدادهم للعمل.

كان يوسف شاباً يحلم أنه سيكون رئيساً وعظيماً، ولكنه كان محتاجاً لإعداد. وأبغضه إخوته لأن أباه كان يحبه، فباعوه عبداً. واستخدم الله هذه الحالة ليختبر صبر يوسف ويدربه، وسمح له أن يُسجن مدة ١٣ سنة لغير ذنب ارتكبه. وقد جهّزته هذه الصعاب لينفذ خطة الله لحياته، وأنعم الله عليه بأن يكون الرجل الثاني في مصر بعد فرعون، وكلفه الله بإطعام الجياع مدة سبع سنوات، ومنهم أبوه وإخوته. وهكذا ترى أن مصائب يوسف كانت مفيدة للآخرين. وقد تكون

مصائبك دافعاً لك لتخدمي، إن كنتِ إيجابية المشاعر.

صرفت أستير سنة في الإعداد قبل أن تمثل في حضرة الملك، ظلت خلالها تنتظر فأظهرت نقاءها الروحي إلى جوار جمالها الجسدي، واستخدمها الله لتنجي شعبها من مؤامرة هامان الشرير.

واستعدَّ بطرس لما اجتاز اختبارات علمته التواضع، فقد كان رجلاً قوياً فخوراً بنفسه. وأراد الله أن يكسر كبريائه قبل أن يستخدمه. إن كثيرين من القادة الأقوياء يملكون العديد من المواهب الطبيعية، ولكنهم متكبرون ويحتاجون أن يتعلموا الاعتماد على الرب، فيثقون فيه لا في أنفسهم. لا تنسي قول المسيح "بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً" (يوحنا ١٥: ٥). وعندما يقول "لا تقدرون" يعني حرفياً أننا لا نقدر، فنحن كعُشب الحقل يكون اليوم ولا يوجد غداً، أو كبخار يظهر قليلاً ثم يضمحل، فلا يجب أن نظن في نفوسنا أكثر من اللازم ولا أقل من اللازم، بل لننظر إلى نفوسنا في المسيح الذي بدونه نعجز، لكن معه نستطيع كل شيء.

لا تتعلمين بدون ألم

هل وجدت نفسك في حالة لم تجدي وقتاً لتستعدي لها، سواء كان هذا في عملك أو كنيسة، والجميع ينتظرون منك أن تفعلي شيئاً؟ تزيد دقات قلبك وتتقلص معدتك فتقولين "سأفعل شيئاً دون أن يدرك أحد أنني لم أستعد". أنت غير مستعدة، لكنك تظنين أنك ستخرجين من مأزقك دون أن يلاحظ أحد.. حتى لو خدعت الآخرين فإنك ستشعرين في داخلك أنك لم تقومي بواجبك كما يجب.

قد تشعرين أنك تخففت من الحرج بحسن تصرفك، لكنك تخففت بالخوف لا بالثقة.

حتى يسوع تعلم الطاعة مما تألم به، فتأهّل واستعدّ لعمله الكهنوتي.
 "مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ.
 وَإِذْ كُمِّلَ صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ
 سَبَبَ خَلَاصِ أَبَدِيٍّ" (عبرانيين ٥: ٨، ٩).

فإن كان يسوع محتاجاً للتهيئة والإعداد ليقوم بخدمته، فهل يعترينا الشك أننا نحتاج للأمر نفسه؟

ما نوع الإعداد الذي تحتاجينه؟

ذكرتُ أن نوع الإعداد الذي تحتاجينه يتوقف على ما يدعوك الله لتقومي به، وعلى مرحلة عمرك. فبالنسبة لكثيرات يتم الإعداد أثناء الدراسة، لكن الدراسة لا تتوفر لكثيرات، فظروف الزوجة الشابة صاحبة الأطفال والتي تعمل في وظيفة لا تمكنها من الانخراط في دراسة جامعية أو في مدرسة لاهوتية. فإن لم تكن دراستك الجامعية ممكنة يمكن أن تتلقى دراسة مسائية أو عن طريق الإنترنت. فاتبعي ما يريح قلبك وسيقودك الرب للغاية الصحيحة في الوقت المناسب.

لا تيئسي إن كان قلبك مشغولاً بأمر تودين القيام به ولكنك عاجزة عن عمله الآن، فإننا كثيراً ما نتوق إلى شيء لا نحصل عليه إلا بعد سنوات، فاسمحي لحلمك أن يتطور في قلبك مصلية من أجل تحقيقه، وافعلي كل ما تستطيعينه لتكوني مستعدة للحصول عليه في الوقت المناسب.

كانت ابنتي الصغرى سندرا تعمل معنا في الخدمة مدة ١٤ سنة ثم أنجبت توأماً، فوجدت أنه من المستحيل أن تستمر في العمل معنا وتعتني بالطفلتين، فاخترت أن تعمل جزءاً من الوقت ولكنها عجزت عن هذا، وبسبب ضغوط مسؤولياتها أصابها الإرهاق البدني والعاطفي، فقررت أن تترك الخدمة لتعتني بالتوأم، مع إيمانها أنها يوماً ما ستعود للخدمة معنا كل الوقت، واعتبرت أن الوقت الحالي فرصة إعداد لها. وهي تعتبر نفسها الآن في الخدمة لأنها تشجع الناس وتباركهم حيثما تذهب. صحيح أنها لا تخدم بالكمية التي كانت تخدم بها، ولكنها تخدم قدر ما تسمح ظروفها. فلا تنسى أن التدريب والإعداد الإلهي لك لا يحتاج بالضرورة إلى دراسة منهجية في جامعة، كما لا تنسى أن الله لا يدعونا كلنا لنتفرغ للخدمة الدينية، فقد يدعوك لخدمة الدولة، أو التجارة، أو غيرهما. فإن أردت أن تعلمي عمك وأنت واثقة عليك أن تجهزي نفسك لهذا.

أعتقد أن اللاتي درسن في كلية لاهوت لا زلن محتاجات إلى خبرة، فإن المعرفة الأكاديمية لا تغني عن التعلم من الحياة، فالكتاب يقول إن يسوع "تعلم" الطاعة من الألم (عبرانيين ٥: ٨، ٩). فإن سألت خادماً ناجحاً ستلقين منه نصائح اختبارية وعملية لا تجدونها في كتب أو وأنت جالسة في مقعد الدراسة. وأنا أخشى أن يتخرج أحد من كلية لاهوت وهو يظن أنه قد "ملك" المعرفة، فإننا نحتاج إلى أصحاب الخبرة، وإلى أن نتعلم في مدرسة الحياة.

وبالنسبة لي، لم تسمح ظروفني أن ألتحق بجامعة بعد دراستي الثانوية، فقد رحبت بترك بيتنا الذي نقت فيه المهانة، ولكن الله علمني حيث ذهبت، فتعلمت دروساً رائعة في الاستقامة والأمانة والتفوق أثناء

وجودي في "السوبر ماركت". وتعلمت الرفق وأنا أقوم بوظيفة عوملت فيها بخشونة. وأحياناً يكون احتمالنا للاختبارات المرّة أفضل مدرسة لنا.

كنت أتمنى أن ألتحق بجامعة، فقد لمس مدرّسيّ فيّ قدرة على التأليف، وشجعوني أن أدرس صحافة، لكن كان كل ما شغل بالي وقتها أن أهرب بجلدي من بيت أبي إلى مكان لا أهان فيه. وأظن أن الله أعطاني أكثر مما كان يمكن أن أحصل عليه من دراسة جامعية، فقد حصلت على درجتي دكتوراه فخريتين من جامعة "أورال روبرتس" و"جراند كانيون" في مدينة فينكس؛ كما حصلت على درجتين علميتين بسبب ٧٥ كتاباً كتبتها وما حوته من معلومات (درجة بكالوريوس وماجستير من جامعة "الحياة المسيحية" في مدينة تمبا بولاية فلوريدا). لقد وعدنا الله في إشعياء ٦١: ٧ "عَوْضاً عَنْ خَزِيكُمُ ضِعْفَانِ، وَعَوْضاً عَنْ الْخَجَلِ يَبْتَهَجُونَ بِنَصِيبِهِمْ" وقد عوّضني الرب عن عاري ومشاكلي، وجعلني شهادة حية عن صدق وعوده.

يتعلم بعض الناس من الحياة بسرعة وعمق، ولا بد أن الرب يجهزنا بالأسلوب الذي يرضاه. فلا تتوقعي أن يصبنا الله جميعاً في قالب واحد، فليس كل من يخدمون الله خريجي كليات أو مدارس لاهوتية، وليس كل مدير عام لشركة تلقى تعليماً جامعياً، فإلهانا يمنح البشر مواهب طبيعية عظيمة، فمثلاً بل جيتس (وميكروسوفت) فشل في جامعة هارفارد بعد السنة الأولى. وتروت كاثي بدأت مطعم دجاج وبنّت عملها على مبادئ مسيحية، وتعتبر سلسلة مطاعمها ثاني أكبر سلسلة في أمريكا. وابني الأصغر لم يلتحق بجامعة ولكنه يباشر عمله معنا بنجاح مذهل، إذ يرى الأمور ويعالجها فوراً وباقتدار. وقد حصل على

خبرته في العمل من مراقبة أبيه لسنوات طويلة. ونُذهل ونحن نرى ما نتعلمه من الحياة يخرج إلى النور وقت الحاجة إليه، دون أن نكون قد عرفنا أننا حصلنا عليه.

أما ابني الأكبر فمسؤول عن الاتصالات بمكاتب هيئتنا خارج أمريكا، وقد صرف سنتين فقط في التعليم الجامعي، وليست هناك صلة بين ما تعلمه والعمل الذي يؤديه، ولكنه تعلم من تنقله في العمل في كل دوائر خدمتنا، ووصل إلى قمة المسؤوليات.

إني أشجعك لتستخدمي كل فرصة تجهزك لما ستقومين به في المستقبل. تعلمي من كل اختبار تمرّين به "لأنه من أزدري بيوم الأمور الصغيرة؟" (زكريا ٤: ١٠)

فالأمور الصغيرة هي ما يمكنك القيام به في أول خدمتك. وسيعطيك الله مسؤولية أكبر عندما يرى أنك قادرة عليها، فتمتعي بكل خطوة في حياتك، ولا تستعجلي في القيام بأمر لا تتعلمين منها دروساً للمستقبل.

قومي بنصيبك، وسيكمل الله الباقي

إن قمت بما تقدرين أن تقومي به سيقوم الله بما تعجزين عن القيام به. ابذلي كل جهدك في ما تقومين به، وسيمنحك الرب إمكانيات فوق طبيعية تذهلين لها. أنا أستعد بجهد في تجهيز مواعظي، وكثيراً ما أسمع نفسي أقول أموراً لم أكن أظن أنني أعرفها، فقد قمتُ بواجبي وقام الله بأمر فوق طبيعية ليحسّن رسالتي. وأعتقد أن الله ما كان ليستخدمني ويعطيني أموراً فوق طبيعية لو أنني كنتُ كسولة أو لو شعرت أنني لا أحتاج لتجهيز ما أقدمه من دراسات.

وفي إعداد نفسك لعمل الله لا تقلقي على الجزء الذي تجهلين كيف تؤدينه، واكتفي بعمل الجزء الذي تعرفينه، وستكون أعمالك العامرة بالإيمان هي البذور التي تزرعونها. فازرعِي بالإيمان وسيعطيك الله الحصاد في وقته المناسب.

عندما صعد المسيح للسماء أعطى الناس عطايا (أفسس ٤ : ٨). وقد أعطاني عطية التواصل. وقائد خدماتي موهوب في الترنيمة، وابنائي موهوبان في فن الإدارة، وزوجي موهوب في الحكمة وعمل الحسابات. وهكذا سد الله كل الاحتياجات فلسنا محتاجين لأن نقلق، وتعلمت بالاختبار الحكمة التي تقول: "عندما نقوم بما نستطيعه يقوم الله بما لا نستطيعه". فإن قمتِ بنصيبيك سيحيطك الله بأشخاص يتمتعون بقدرات ومواهب ليست عندك لتتميم خدمة الله. لكنني وجدت أن المرأة التي تنقصها الثقة لا تحصل عادة على مساعدة الآخرين، لأن الثقة الضعيفة وعدم الأمان يسرقان منا الحياة الرائعة التي أراد الله أن يمنحها لنا، فنبدأ نحسد ونكره الذين كان يجب أن نقدرهم ونشكر الله من أجلهم.

ولا يملك زوجي نفس القدرات التي عندي، لكن عنده قدرات حسنة أخرى، فهو واثق من نفسه ولا يشعر برغبة في منافستي، لهذا عملنا فريقاً يكمل أفراده بعضهم بعضاً. وكثيرون ينجزون قليلاً لأنهم لا يقدرّون أن يقوموا بكل شيء، وهم سلبيون يركّزون على ما يعجزون عن القيام به بدل أن يشكروا على ما يقدرّون أن ينجزوه.

تسرق

الثقة الضعيفة

وعدم الأمان منّا

الحياة الرائعة

التي أراد الله

أن يمنحها لنا

لست محتاجة إلى القيام بكل العمل بمفردك، فجهزي نفسك للقيام بأفضل ما يمكنك، واذكري أن الله سيكمل ما ليس عندك.

اعرفي ضعفاتك وقدراتك

كيف تعرفين ما يمكنك عمله، وما تعجزين عنه؟ ستعرفينه من درجة استعدادك للقيام به، وهذا سيوفر وقتك كثيراً فلا تصرفينه في أمر لن تنجح في فيه. أنا مثلاً مقتدرة في الكلام، لكنني ضعيفة في الترنيم والموسيقى. وقد حاولت في مرحلة من حياتي أن أتعلم العزف على الجيتار، ولكن سرعان ما اكتشفت أنني أستحق درجة "صفر" في العزف، فأصابعي قصيرة لا تصل إلى عنق الجيتار إلا بشق الأنفس. ولكنني جاهدت وأفلحت في القليل، دون أن أتمتع بما أحرزته. لماذا؟ لأن العزف على الجيتار لم يكن ما يجب أن أفعله. ولو أنني بقيت أحاول العزف لاعتبرت نفسي فاشلة. وواضح أنني لو حاولت أن أعزف أمام الجمهور سأفقد ثقتي بنفسي. فعليك أن تستعدي وتجهزي نفسك للأمر الذي يدعوك الله للقيام به، ولا تضيعي وقتك ثم تثقتك وأنت تعدّين نفسك لما لا يجب أن تقومي به. تأكدي أنك تجهزين نفسك لما يجب أن تفعليه، وليس إلى ما تجتذبين به اهتمام الناس. ومن المؤسف أن البعض يصرفون معظم وقتهم ومالهم في محاولة التأثير في أناس لا يحبونهم.

لا تخافي من أن تعترفي أنك عاجزة عن عمل شيء ما. اعرفي نقطة ضعفك وصلّي أن يرسل الرب من يقدر أن يقوم بما عجزت أنت عن القيام به. أنا، مثلاً، لا أجيد الترنيم والعزف، لكن الله يرسل لنا البارعين في أداء هذه الخدمة. وأنا لا أعرف كل شيء عن كل الآلات التي نستخدمها للأداء التلفزيوني، ولكنني مُحاطة بكثيرين يعرفون في هذا

الميدان ما أجهله أنا. ولا أخاف من الاعتراف بضعفي في أمر ما، ولا أضيع وقتي وجهدي في الإعداد لتحسين ضعفاتي.

ومن المهم جداً أن تعرفي نقاط قوتك، فاكتبيها على ورقة وراجعيها حتى ترسخ في ذهنك وتملأك بالثقة.

وليس هذا كبرياءً لكنه يهيئك لتكتسبي ثقة في قدراتك. وأنا أعرف أن قدراتي عطية من الله لي وأشكره على ما جهّزني به لأقوم بخدمته. فإن لم تكوني قد أحصيت عطايا الله لك، فقد جاء الوقت الذي تفعلين فيه هذا. اعلمي قائمة بهذه العطايا واقربيها لنفسك ثلاث مرات يومياً حتى تقتنعي بها. وإليك القائمة الخاصة بي:

- أنا أجيد التواصل مع الناس

- أنا دوّوية على العمل

- عندي حُسن تصرف

- أنا منظمة

- أنا أتخذ القرارات

- أنا منضبطة

- أنا صديقة مخلصة

- ذاكرتي قوية

- أحب أن أساعد الناس

- أحب أن أعطي

لم أكتب هذه القائمة لأتفاخر، لكن لأريك كيف تجهزين قائمتك، ولأشجعك أن تكتبيها. شجعي نفسك يومياً وأكّدي لها مزاياها، وذكّريها

فيسوع جاء لكي يعمل ما لا تستطيعين أنت عمله، فاسمحي له أن يقوم بعمله واشكريه على ذلك.

إن كنت أماً صالحة وزوجة ناجحة قولي: "أعتقد أنني زوجة وأم صالحة. لستُ عادية بل صالحة.." لقد استغرقت وقتاً طويلاً حتى استطعت قدرت أن أقول هذا، لأن إبليس أقنعني لسنوات طويلة أنني زوجة وأم رديئة لأنني لا أقدر أن أقوم بكل ما تقوم به غيري من الأمهات والزوجات. وكانت إجابتي أنني لم أختَر خدمة الله، لكنه هو الذي اختارني، ومنح عائلتي قدرة خاصة جعلتهم عاملين في الخدمة. نعم، كانت هناك أموراً ضحوا بها، لكنهم نالوا فوائد، ففي كل مرة نربح شيئاً نكون قد بذلنا شيئاً في سبيل ربحه. فمثلاً إن أردت أن تكوني عازفة بيانو تمتعين المستمعين فلا بد أن تصرفي ساعات طويلة في التدريب بينما يستمتع المستمعون بوقتهم.. بعدها تنالين امتياز العزف وهم يستمعون لك. تضحين ثم تحصدين ثمرة تعبك.

لقد ضحّت عائلتي كلها لتمكّني من القيام بالخدمة التي أقوم بها الآن، فنلنا بهجة توصيل رسالة الإنجيل للملايين حول العالم، وهذا يفرحنا ويعوّضنا أكثر جداً مما ضحينا به.

فما هو الذي تحسّنين القيام به؟ هل تعرفينه؟ هل فكرت بجديّة في ما تحسّنينه أكثر من تفكيرك في ما لا تجيدينه؟ أم هل فكرت في ما ينقصك حتى نسيت ما تقدرين أن تقومي به؟ ابدئي اليوم التوقف عن التفكير في سلبياتك، وكوني شجاعة متأكدة أنك إنسانة عظيمة حباك الله بقدرات ممتازة. وكلنا كذلك.

لا تنسي أن الله لا يخلق أشخاصاً تافهين، فبعدما خلق الله العالم خلق آدم وحواء ورأى أن ما خلقه حسنٌ جداً. ويحدثنا مزمور ١٣٩ عن

كيف خلقنا الله في أرحام أمهاتنا، فيقول: "عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ، وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذَلِكَ يَقِينًا". يالها من عبارة! إنها ليست كبرياءً بل هي شكر على فضل الله الخالق.

أهمية الصلاة

الصلاة أهم ما نبدأ به إعداد نفوسنا، ولكن كثيرين يتغافلون البدء بها، فلا تقومي بشيء ما لم تبدئي بالصلاة لأجله فيتدخل الله لإنجاحه. قال المسيح: "بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا" (يوحنا ١: ٥). وقال الحكيم: "فِي كُلِّ طُرُقِكَ اعْرِفْهُ، وَهُوَ يُقَوِّمُ سُبُكَ" (أمثال ٣: ٦). يجب أن نتصل بالرب يومياً طالبين الإرشاد والقوة. فكري في طفل يحاول أن يلبس قميصه بنفسه فيتلوى ويشد ويئن، بينما أمه تنتظر بجواره بصبر أن يطلب عونها. عندما صعد المسيح إلى السماء وجلس عن يمين الأب أرسل الروح القدس ليعزينا، على أن نطلب منه ذلك. كأنك تحاولين أن تطبخي بينما يقف إلى جوارك أعظم طباخي أكبر فندق مستعداً لمساعدتك. يرسل الروح القدس لك أعظم الخبراء فوق الطبيعيين لمساعدتك، فاطلبي هذه المساعدة التي بها تقومين بأعمال تندهشين لها أحياناً. لكن يجب أن تبدئي بالصلاة.

لقد سرتُ معظم حياتي مع الله ولا زلت أتعلم أن لا أبدأ عملاً ما إلا بعد أن أصلي من أجله. ويقول الكتاب إننا ينبغي أن نصلي بلا انقطاع. وهذا لا يعني أن نصرف اليوم كله في الصلاة، لكنه يعني أن الصلاة أهم ما نفعله في يومنا، فهي تفتح الباب لله ليعمل في حياتنا وظروفنا وفي أحيائنا.

سمعت عن منطقة في أفريقيا ينشغل فيها المؤمنون الجدد بالصلاة،

لقد سرتُ معظم حياتي
مع الله ولا زلت أتعلم
أن لا أبدأ عملاً ما إلا بعد
أن أصلي من أجله

فيعيّنون لكل متجدد حديث مكاناً خارج القرية خاصاً به ليختلي فيه للصلاة منفرداً. وهم يحددون طريقاً خاصاً لكل متجدد يوصله إلى مكان خلوته. فإذا نما العشب في طريق أحدهم كان هذا يعني أن صاحب ذلك الطريق لم يصل كثيراً. ولما كان أولئك المؤمنون الجدد غيورين على السلامة الروحية لبعضهم فإنهم كانوا يقولون لمن لا يصلي بالكفاية "يا صديق، هناك عشبٌ نام على طريقك!".

تمدنا الصلاة بقوة هائلة (يعقوب ٥: ١٦) فلا تسمحي لأعشاب طريق صلاتك أن تبين عدم انتظامك أو إهمالك للصلاة، وستزيد ثقتك عندما تعمل قوة الروح القدس في حياتك. لا تعيشي حياة الضعف بينما القوة قريبة منك.

استعدّي للترقي

عبر السنين تخلينا عن بعض الموظفين في خدمتنا لأن مؤهلاتهم صارت أقل مما تتطلبه خدمتنا. كانوا رائعين في مرحلة من مراحل خدمتنا، ولكنهم لم يستمروا في تلقي التدريب الذي وفرناه لهم ليستمروا في العمل معنا. وربما كان المفروض أن بعضهم لا يستمرون في الخدمة معنا، وربما كان تدبير الرب لهم أن يقوموا بعمل آخر، فلا شيء يستمر للأبد، ولكل أمر نهاية. وأعتقد أن بعض الذين عملوا معنا خسروا فرصة عظيمة لأنهم أرادوا أن يرتقوا دون أن يتدربوا ويتعلموا مهارات جديدة استعداداً للترقي.

يبدو أن الناس في أيامنا هذه يريدون الحصول على الكثير مقابل القليل الذي يقدمونه، فهناك جيل الذين وُلدوا بين عام ١٩٧٩ و ١٩٩٤ والذين اعتادوا أن يحصلوا على امتيازات كبيرة وفورية مقابل عمل أقل مما يجب أن يقوموا به.

إنك لا تستحقين ترقية وأجراً عالياً ببساطة لأنك ستشغلين وظيفتك مدة سنة أخرى، لكنك ستستحقينه إن كنت تحاولين أن تكوني هامة للعمل الذي تؤدّينه بأن تقبلي تحمّل مسؤوليات أكثر، أو أن تؤدي عملك بطريقة أفضل من الماضي. تمتنع بعض الشركات عن ترقية بعض كبار موظفيها لأنهم لا يقومون بواجبهم للحصول على ترقية. وأنا أندesh كيف يتحمس بعض الناس ويعملون كل ما يمكن عمله في الحياة، بينما لا يفعل آخرون شيئاً سوى التذمر لأن فرص الترقّي لا تهطل عليهم. فإن كنت تريدين أن تحتفظي بوظيفتك يجب أن تعزمي على النمو مع نمو العمل. لا تجلسي في كسل فيصبح إنتاجك أقل من حاجة العمل.

استمري في العمل طوال حياتك. اقرئي واسمعي وتعلّمي. التحقي بدراسة ترفعك إلى معرفة وخبرة جديدة في ميدان عملك. ولكل استثمار مكافأة، وكلما زادت معلوماتك عن عملك تزيد ثقّتك. وكلما زادت ثقّتك زادت ثقة الناس فيك. وإعداد الإنسان نفسه لما يعمله ليقوم به بطريقة أفضل مفتاح لنجاحه. فإن كنت مستعدة الآن سترتقين بعد ذلك.

الفصل الثامن

عندما يقول العالم: "لا!"

عندما كان الواعظ الشهير هنري ورد بيتشر تلميذاً تعلم درساً في الثقة بالنفس لم ينسه أبداً، فقد طلب منه المعلم أن يقرأ شيئاً أمام الفصل. وما أن بدأ حتى صاح فيه المعلم قائلاً "لا!". فعاد يقرأ من جديد، وسمع صرخة المعلم "لا". فجلس في خجل.

وقام تلميذ آخر ليقراً أمام الفصل فصاح فيه المعلم "لا!". ولكن التلميذ استمر يقرأ حتى انتهى. وقال له المعلم "أحسنت!". وفي ضيق قال هنري للمعلم "لقد قرأتُ كما قرأ زميلي، فلماذا أوقفْتني وسمحت له أن يعيد القراءة؟" فأجابه "لا يكفي أن تعرف درسك، لكنك يجب أن تكون متأكداً منه. فعندما سمحت لي أن أوقفك أظهرت أنك لست متأكداً مما تقرأ.. فإن قال لك العالم كله "لا!" تعلمي أن تقولي "بل نعم! وسأبرهن صحة ذلك".

يقول العالم لك "لا!" بطرق عديدة:

"لا! لا تقدرين أن تعملي هذا"

"لا! أنت مخطئة"

"لا! أنت متقدمة في العمر"

"لا! أنت صغيرة السن"

"لا! أنت أضعف من هذا"

"لا! لا يمكن عمل هذا"

"لا! أنت لم تتلقي تعليماً في هذا"

"لا! أنت لا تعرفين خلفية هذا"

"لا! أنت لا تملكين اللازم لهذا"

"لا! لا يمكنك عمل هذا"

وفي كل قولة "لا!" إمكانية تضييع ثقتك شيئاً فشيئاً حتى تتوقفي عن العمل تماماً.

ويقول العالم لك "لا يمكنك عمل هذا لأنك امرأة". وهذا ما قيل لي عندما دعاني الله لخدمته. ولست أول امرأة يُقال لها إنها يجب أن تتغافل دعوة الله لها، أو تُقدِّم لها اقتراحات تتعارض مع رغبتها في خدمة الله. لقد بدأت معركة الشيطان مع المرأة في جنة عدن ولم تتوقف منذ ذلك الوقت، فهو يكره المرأة لأن المسيح "نسل المرأة" يسحق رأس الحية. ولكن لا تظني أنك لن تنجحي لأن إبليس عدوُّك، فإن عداوته لا تعطل حقيقة أن الله معك فلا بد أن تنتصري. فقط عليك أن تقولي "نعم" عندما يقول لك العالم "لا".

ولا زلتُ أذكر صعوبة استمراري في القيام بالخدمة مع أنني كنت مؤمنة أن الله هو الذي دعاني للقيام بها، فقد وقفت أسرتي ومعظم أصدقائي ضدي. في ذلك الوقت لم أكن أفهم النصوص الكتابية التي اقتبسها الناس ليهاجموني، لكنني كنت واثقة من دعوة الله لي. لهذا قررت أن أمضي بغيرة وحماس في طريق الخدمة حتى لو وقف الجميع ضدي (وقد وقف معي عدد قليل). وأشكر الله لأن زوجي ساندني في وقت كنت فيه في أشد الحاجة للمساندة.

ومع أن معظم العالم قال لي إني لن أقدر، منحني الله القدرة للقيام بهذه الخدمة مدة ثلاثين سنة، وأنوي أن أستم حتى يدعوني الله لأترك هذا العالم. لقد عمل الله بالرغم من ظن الكثيرين غير ذلك، فإن البشر لا يقدر أن يوقفوا عمل الله!

احذري من أن ترضي الناس

كل من تحاول أن ترضي كل الناس كل الوقت لن تحقق ما يريد الله لها. لعك سمعت عن السيدة التي احتفظت بمبردٍ للماء يعملان كل الوقت في مطبخ بيتها، لا لأنها تشرب كثيراً، ولا لدواعٍ صحية، لكن لأنها لم تكن تريد أن تقول "لا!" لمندوبٍ شركتي توزيع المياه العاملتين في بلدها خوفاً من أن يقول أحدهما كلاماً سيئاً عنها!

ربما تقدرين أن تقولي "لا!" لمندوب مبيعات، لكنك تترددين في قولها لصديقاتك أو عائلتك أو أعضاء كنيسةك، حتى لو كنت متأكدة أن هذه إرادة الله لك. لا يفرح الناس لنجاحك دائماً، بل إن بعضهم قد يقصد خيراً ولكنهم أيضاً سيحاولون تعطيل تقدمك. فاجتهدي أن تعرفي ما في قلبك وما تعتقدين أنك يجب أن تفعليه، وافعليه. ولو كنت مخطئة فسرعان ما ستدركين هذا. وقتها لا تتكبري عن الاعتذار وقولي: "كنتُ مخطئة".

أنا لا أحب السيدة التي لا تقوم بأي عمل خوفاً من أن ترتكب خطأً. أعرف شاباً ترك وظيفة هامة ليقدّر أن يقوم بخدمة الترنيم، وهي خطوة شجاعة، وبذل غاية جهده في أن يفلح ولكن التوفيق لم يحالفه (على الأقل في ذلك الوقت). وأنا فخورة به لأنه كان شجاعاً وحاول. فعلى الأقل هو الآن لا يقضي بقية حياته يتساءل: "تري ماذا كان يجري لي

لو لم أبذل الجهد في تلك المحاولة الفاشلة؟". وأعتقد أن المحاولة التي تنتهي بالفشل أفضل من عدم المحاولة على الإطلاق! كما أعتقد أن القيام بأعمال مختلفة هو الطريقة الوحيدة لمعرفة ما يريد الله لنا، فنترك ما لا ينجح وما لا نرتاح إليه.

يستخدم الله رجالاً
ونساءً يصرون على
طاعته وإرضائه،
ولا يستخدم من يسيطر
عليهم الخوف من الناس

ونسلم من الناس نصائح لا تنتهي،
لم نطلب منهم أن يقدموها لنا! فاختراري
الصالح والأفضل ولا تسمح لي لأفكار
الآخرين أن تسود عليك. قال رجل حكيم
"لا أقدر أن أعطيك وصفة للنجاح، ولكني
أعطي وصفة الفشل، هي: حاول أن
ترضي كل الناس!".

قال الرسول بولس "فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أَرْضِي النَّاسَ لَمْ أَكُنْ عَبْدًا لِلْمَسِيحِ"
(غلاطية ١: ١٠). وأضاع الملك شاوول الملك يوم سمح للخوف من الناس
أن يجعله يعصى الله (١ صموئيل ١٣: ٨-١٤) فأخذ الله الملك منه
وأعطاه لداود الذي كان حسب قلب الله. ولم يسمح داود للبشر أن
يسيطروا عليه كما فعل شاوول، فعندما حاول أخوه أليآب أن يثنيه عن
عزمه تحوّل داود عنه واستمر يفعل ما نوى أن يفعله (١ صموئيل ١٧:
٢٨-٣٠). فلننتحوّل ممن يحاولون أن يفشلونا ويتهموننا بدل أن نسمح
لهم أن يقاومونا في ما نقول أو نفعل.

يستخدم الله رجالاً ونساءً يصرون على طاعته وإرضائه، ولا
يستخدم من يسيطر عليهم الخوف من الناس. ونرغب كلنا أن يحبنا
الناس ويقبلونا، لكن يجب ألا نسمح لهذه الرغبة أن تتحكم فينا. وقد
تناولت هذا الموضوع في كتابي "الإدمان المُستحسن" الذي صدر عام

٢٠٠٥، وهو مرشد كامل للتغلب على الرغبة غير المتزنة في إرضاء الناس. وقد كتبته لأني لسنوات طويلة حاولت كمسيحية حقيقية أن أرضي الجميع، وتعبت كثيراً في ذلك. وستتشوش حياتك ما لم تُرضي الله أولاً وترجي قلبك ثانياً. وقد وجدت أن من تسلم قراراتها لغيرها يسيطرون على أفكارها وأفعالها فتصبح مرّة النفس وتشعر أنها مُستضعفة. فاتبعي النصيحة الحكيمة التي تقول "كوني صادقة مع ما يريح قلبك".

والتاريخ عامر بسير أشخاص قاموا بأعمال عظيمة عندما لم يهتموا بانتقادات الناس وأحكامهم عليهم. وقد انتقدت العائلات والأصدقاء بعض المخترعين، ولكنهم استمروا في جهادهم لأنهم كانوا يثقون في ما يفعلونه.

فمثلاً بنيامين فرنكلن كان يتوق لأن يكتب في الجريدة التي يصدرها أخوه، ولكن أخاه رفض، فأخذ بنيامين يكتب قصصاً يوقع عليها باسم مُستعار هو Silence Dogood خلعه على أرملة مهتمة بحقوق المرأة. وكان يودع القصة ليلاً تحت باب الجريدة حتى لا يُكتشف أمره. وزاعت شهرة Silence Dogood. وبعد أن كتب ١٦ قصة عُرف أنه الكاتب فأمطره الجميع بالإطراء، لكن أخاه الحسود غضب عليه وثار وضربه، فهرب. وقد أنجز بنيامين فرنكلن وأبدع، واشترى مطبعته وأصدر صحيفة "بنسلفانيا جازيت" التي صارت تحت قيادته أنجح الجرائد في وقته.

وبعد أن اخترع ألكسندر جراهام بل التليفون اجتهد أن يحصل على المال اللازم لينشر اختراعه بين الناس، ولكنه لم يجد في أول الأمر من يهتم باختراعه، بل إن عائلته وأصحابه المقربين نصحوه أن يركز على

التلغراف لا على التليفون. وسخر منه رجال البنوك، ولكنه رفض أن يستسلم لهم. وبسبب ثباته وشجاعته أمكننا اليوم أن نستخدم التليفون.

اكتشف طبيب من المجر اسمه "إجناز سملويس" إمكانية إنقاذ كثيرين من الأطفال المولودين حديثاً من الموت، لو أن الطبيب أو المولدة غسل يديه بعد معالجة كل ولادة. وقد نجا أطفال وأمهات كثيرون بحياتهم بفضل اكتشاف "إجناز". ومع هذا سخر منه الأطباء المجتمعون في مؤتمر طبي في فيينا. ولكن الأيام أيدت اكتشافه وتسجل الاكتشاف باسمه لأنه جعل الولادة أكثر أماناً.

أما "مارجريت نايت" فقد كانت تشتغل في مصنع أكياس ورقية كبيرة حوالي عام ١٨٥٠ عندما اخترعت آلة لتطبيق ولصق الأكياس. ورفض العمال اختراعها متسائلين "وماذا تعرف المرأة عن الآلات؟". ولم يُثنها هذا التساؤل عن المضي في الاختراع، فطوّرت حتى عام ١٨٧٠ صناعة الأكياس بستة وعشرين اختراعاً، وأسست شركة لصناعة الأكياس الورقية.

وكان لهيدي لامار عقل ذكي خلاق. وهي ممثلة السينما المشهورة من عام ١٩٣٠ إلى ١٩٤٠. وكانت مهتمة بالإنتاج الحربي أثناء الحرب العالمية الثانية، فقيل لها إن وجهها الجميل وشهرتها في التمثيل سيخدمان الوطن خدمة أفضل إن هي شجعت مواطنيها ليشتروا سندات الحكومة للإنتاج الحربي. ولكن هذا لم يُثنها عن اختراع جهاز راديو يعمل بأوامر من على بُعد، مُنح براءة الاختراع. وكان اختراعه قبل الموعد المحدد لاختراعه بعشرين عاماً. كما جمعت ملايين الدولارات للمجهود الحربي. وهذا يؤكد لنا أن الشيطان يهاجم كل تقدم، ويستخدم كل أنواع مشاعر الخوف ليعطلنا.

ويدهشني دائماً أن أقرأ عن نساء ورجال اشتركوا (وبذكاء) في تطوير مجتمعاتنا في كل ميدان اختراع بعد أن سمعوا مختلف عبارات السخرية من المسؤولين. والمرأة العاقلة هي التي تحتمل الاضطهاد والانتقاد من كل جهة لتجعل عالمنا أفضل. وهذا يُظهر أن إبليس يقاوم كل تقدم من أي نوع، ويستخدم سلاح التخويف ليعطل الناس عن العمل. لكن المرأة الواثقة تستمر في جهادها قائلة "نعم" حتى لو صرخ العالم في وجهها قائلاً: "لا!".

لا خطأ في أن تكوني مختلفة

يبدو أن عالمنا يقاوم أو يخاف من كل شيء مختلف أو غير عادي، فعلى كل من يقوم بعمل مختلف وغير عادي أن يتوقع المقاومة. وقد وقف كثيرون من الذين عملوا أعمالاً عظيمة منفردين، وهذا يتطلب ثقة كبيرة.

كان تيموثاوس تلميذ الرسول بولس شاباً، وكان بولس قلقاً عليه والناس يرونه شاباً قليل الخبرة، فكتب إليه يقول "لَا يَسْتَهِنُ أَحَدٌ بِحَدَاثَتِكَ" (١ تيموثاوس ٤: ١٢). وليس هناك فرق بين شاب وشيخ يدعوهما الله ليؤدي خدمة، فإنهما بثقة يتقدمان لتأديتها دون أن يوقفهما معطل.

ذات مرة كلمني الرب في قلبي قائلاً: "لا تسمح لي لعامل العمر أن يتدخل عندما تتخذين قراراتك". وإذا يتقدم زوجي وأنا في العمر نتساءل إن كان الرب يريدنا أن نقوم بعمل جديد، وقد أكد لنا الرب أن عامل السن لا يؤثر في ما نشتغل بالقيام به. فقد كان موسى في الثمانين من عمره عندما دعاه الله ليُخرج شعبه من مصر، وكان عمر كالب ٨٥ سنة لما طلب أن يُعطى جبلاً:

”وَالآنَ فَهِيَ قَدْ اسْتَحْيَانِي الرَّبُّ كَمَا تَكَلَّمَ هَذِهِ الْخَمْسَ وَالْأَرْبَعِينَ سَنَةً، مِنْ حِينَ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى بِهَذَا الْكَلَامِ حِينَ سَارَ إِسْرَائِيلُ فِي الْقَفْرِ. وَالآنَ فَهِيَ أَنَا الْيَوْمَ ابْنُ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

فَلَمْ أَزَلِ الْيَوْمَ مُتَشَدِّدًا كَمَا فِي يَوْمِ أَرْسَلَنِي مُوسَى. كَمَا كَانَتْ قُوَّتِي حِينِنِي هَكَذَا قُوَّتِي الْآنَ لِلْحَرْبِ وَاللِّخْرُوجِ وَلِلدُّخُولِ.

فَالآنَ أَعْطَنِي هَذَا الْجَبَلَ الَّذِي تَكَلَّمَ عَنْهُ الرَّبُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. لِأَنَّكَ أَنْتَ سَمِعْتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ الْعَنَاقِيَّينَ هُنَاكَ، وَالْمُدُنَ عَظِيمَةَ مُحَصَّنَةً. لَعَلَّ الرَّبَّ مَعِيَ فَأَطْرَدَهُمْ كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ” (يشوع ١٤: ١٠-١٢).

إن رد فعلك على من يعلق على عدد سنوات عمرك أمر متروك لتقديرك. بالطبع تتقدم بنا الأيام، لكن هذا لا يجب أن يجعلنا نقول: ”لقد كبرت وشخت”. قال أدلاي ستيفنسون ”ليس المهم عدد سنوات حياتك، بل كمية الحياة في سنواتك!”. إن الواثقين لا يفكرون في سنوات عمرهم، بل في ما يقدر أن ينجزوه في ما بقي من عمرهم، فإن الواثقين إيجابيون يحسبون ما عندهم، لا ما فاتهم!

أفترض أنك تقرئين هذا الكتاب وعمرك ٦٥ سنة، وتشعرين أنك قضيت معظم عمرك ولم تفعلي شيئاً لأنك كنت خجولة. أقول لك إنك ما زلتِ تقدرين الآن أن تقومي بعمل عظيم.

احتفلي بحقيقة أنك
مختلفة عن غيرك
لأنك استثنائية وفريدة.
أنت عزيزة، وليس مثلك

عندما أكتب هذه الكلمات عمر زوجي ٦٥ سنة وعمري ٦٢ سنة، ونحن نقوم بعمل يساوي وقد يزيد عما مضى، وقد قررنا أن لا نفكر كمتقاعدين، بل نترك للرب أن يرشدنا لما نقرره، ولا نترك هذا

للبرش أن يقرروه لنا. وسأكون المرأة الواثقة ما دمتُ في هذه الدنيا. وعندما أصل للسماء سأكون في ثقة كاملة لأنه لا يوجد خوف في محضر الله. وأنا أقول إني واثقة لأنني قررت ذلك، وليس لأنني أشعر دائماً بالثقة.

احتفلي بحقيقة أنك مختلفة عن غيرك لأنك استثنائية وفريدة. أنت عزيزة، وليس مثلك. لقد أخذت من أبيك ٢٣ كروموزوم ومن أمك ٢٣ كروموزوم. ويقول العلماء أن فرصة حصول والديك على طفل يشبهك تماماً هي نسبة عشرة من ألفي مليون، فإن ما تحمليه من صفات فريد حقاً، وعليك أن تستكشفي تطوير تفردك وتجعلها من أوائل أولوياتك.

وقيمتك لا تزيد إن قمتِ بعملٍ لا يقدر أحد من معارفك أن يقوم بمثله، كما أن قيمتك لا تنقص إن كنتِ عاجزة عن عمل شيءٍ يعمله كل المحيطين بك، فقيمتنا لا تُستمد من كوننا نشبه الآخرين أو كوننا مختلفين عنهم، فإن قيمتنا هي في الله.

قال الفيلسوف اليوناني أرسطو إن كل كائن بشري يولد بمجموعة إمكانيات كامنة فريدة كما أن البلوطة تشتاق أن تكبر لتكون شجرة بلوط. أنا أعلم أن الآلاف من قارئات هذا الكتاب يشتقن أن يحققن أشواقهن الداخلية، فلا تقبلي أن تكوني عادية أو مقبولة. ربما يكون عندك نقائص، لكنك يمكنك أن تكوني فوق عادية لو عزمتِ أن تكوني كذلك.

روى الممثل سيدني بواتييه عن حياته تحت الحكم الاستعماري فقال إن مقدار السواد في لون بشرتك يحدد فرص نوالك الوظيفة التي تطلبها. وقد زرع فيه أبواه (ولا سيما أمه) اعتزازاً بلونه جعله لا يقبل إلا أن يكون

فوق العادي، مع أنهم كانوا فقراء جداً. ويمكن للفقراء أن يجعل الفقير
يحنى رأسه

ولكن إيمان سيدي جعله يثق أنه سيرتفع فوق ظروفه. وقد كان. إن
الإصرار والمثابرة من الصفات العظيمة التي تجعلك كالنسر الذي لا
يمكن أن يترك الفريسة التي يراها حتى يمسك بها.

المرأة الواثقة بنفسها لا تنهزم أمام المقاومة، بل إن المقاومة
تتحداها فتتمسك بالنجاح. قال العالم لسيدني بواتييه "لا" لكنه قال
"نعم". فماذا ستقولين أنت للعالم عندما يقول لك "لا"؟

الفصل التاسع

هل النساء

هنّ الجنس الأضعف؟

من الأفكار الخاطئة السائدة أن النساء أضعف من الرجال. ويقول الكتاب إن أجساد النساء أضعف (١ بطرس ٣: ٧) لكنه لا يذكر إنهن أضعف في غير ذلك. إنهن ينجبن الأطفال، ولا يمكن للضعيفة أن تقوم بذلك. قد أطلب من زوجي أن يفتح مرطبان المايونيز، لكن عندي قوة احتمال تجعلني أستمر في عمل شيء حتى أكمله، فلستُ ضعيفة ولا أهجر مسؤولياتي. فلا تنظري لنفسك باعتبارك الجنس الضعيف، ولا تسمحى لهذا الفكر الخاطئ أن يسيطر عليك، فإنك قادرة أن تقومي بكل ما يجب أن تقومي به في حياتك.

عالمنا مليء بأمهات هجرهن أزواجهن وتركوا لهن مسؤولية إعالة أولادهن، وأنا أرى في هاتيك الأمهات بطلات لأنهن يشتغلن بجدّ شديد ويقمن بواجباتهن كأمهات بالإضافة إلى واجبات الآباء الهاربين، فيضحين بوقتتهن وراحتتهن وكل ما تتخيلينه لأنهن محبات مخلصات لأطفالهن. وليس هذا ضعفاً. وعلى الرجال الهاربين من المسؤولية أن يعرفوا أن القوي لا يهرب.

في أمريكا اليوم عشرة ملايين أم يعلن أولادهن من عمر ١٨ سنة وما دون. وكان عددهن عام ١٩٧٠ ثلاثة ملايين ٣٤٪ منهن تحت خط الفقر. وهاتيك النسوة يردن لأولادهن حياة على مستوى مقبول.

يظن بعض الرجال أن الأم التي ترعى أولادها ولا تشتغل خارج بيتها امرأة مستريحة، فقد يقول أحدهم لزوجته "أنا عملتُ طول اليوم، فماذا عمل أنت؟". ومثل هذه المشاعر الذكورية تجعل الأنثى تشعر بالدونية، بينما قائلوها يُظهرون جهلهم، فإن رعاية عائلة والاهتمام بزواج عمل هو بمثابة من تشغل وظيفة تعمل فيها طوال اليوم دون أن تتقاضى عنها أجراً إضافياً. وإني أصفق للأمهات اللواتي لا يعملن خارج البيت، خصوصاً اللواتي يقمن فرحات بمسؤولياتهن بفرح.. إنهن بطلات!

ذاهب لأنام!

كانت الأم والأب يشاهدان التلفاز عندما قالت الأم "سأذهب لأنام". ودخلت المطبخ لتجهز لأولادها سندوتشات غداء اليوم التالي، ثم غسلت الأطباق المتروكة في الحوض، وأخرجت اللحم من الفريزر ليكون جاهزاً لوجبة عشاء الغد، وتأكدت من وجود خبز كاف للإفطار التالي، وأن السكر يكفي لذلك. وجهزت جهاز تحضير القهوة، ووضعت الغسيل المبتل في جهاز التجفيف، ووضعت حمل غسيل في الغسالة الكهربائية، وقامت بكَيِّ قميص، وشبكت زرار قميص بإبرة، وجمعت أوراق اللعب من على المائدة، وأعدت دليل التليفونات إلى مكانه، ثم روت النباتات داخل البيت، وأفرغت سلة المهملات، وعلقت فوطة مبتلة لتجف، وتشاءبت وهي تتجه إلى غرفة النوم، ولكنها توقفت عند المكتب لتكتب مذكرة لمدرة ابنتها، ووضعت بعض الفكة لتكون في متناول يد الصغار في طريقهم للمدرسة، وكتبت كارت معايدة لإحدى صديقاتها وعنوانته وألصقت طابع البريد عليه، ثم كتبت قائمة بما يجب شراؤه من السوبر ماركت وضعتها بجوار كيس النقود..

ثم دهنت وجهها بالكريم، ونظفت أسنانها بالفرشاة وزينت أظافرهما. وقال الأب "ظننتك نمت" فأجابت "أنا في طريقي للنوم". ولكنها مضت لتضع ماءً للكلب ليشرب، وأخرجت القطة خارج البيت، وتأكدت أن كل الأبواب مغلقة، واطمأنت أن الأطفال نائمون تحت الأغطية، وعلقت قميصاً، ووضعت شراباً في سلة الغسيل، وتحادثت مع ابنها الذي كان يُنهي واجباته المدرسية، وذهبت إلى غرفة نومها وضبطت المنبه، ورتبت الأحذية في مكانها، وأضافت ثلاثة بنود أخرى إلى مسؤوليات الغد.

وعند هذا الوقت أطفأ الأب التلفاز وقال "أنا ذاهب لأنام". ونام!

حقاً إن الرجال أقوىاء في عدة أمور تنقصنا نحن النساء، ولكننا بالتأكيد لسنا الجنس الأضعف!

التاريخ لم ينصفنا

لا يوجد من يقلل من تأثير النساء في إدارة بيوتهن وتربية أطفالهن، ولكن التاريخ قصر في تسجيل إنجازات النساء في ميادين يُظن أنها من اختصاصات الرجال، مثل الحكومة والسياسة والأعمال والدين والعلوم. ويعترف التاريخ للرجال بإنجازاتهم في هذه الدوائر، لكنه لا يذكر ما قامت به النساء بنجاح في الدوائر نفسها. ويندهش الرجال من نجاح امرأة في أمور خارج نطاق بيتها.

وهذا خطأ يجب تصحيحه، فقد قامت النساء بأعمال عظيمة، أذكر عشر نساء منهن، بعضهن معروفات وبعضهن مجهولات، لكنهن كلهن قدمن خدمات عظيمة لمجتمعاتهن:

١ - الملكة إليزابيث الأولى

"حاكمة عظيمة - الجنس الخطأ". هذه العبارة تلخص حياة الملكة إليزابيث الأولى ملكة بريطانيا. كان أبوها الملك هنري الثامن سيئ السمعة تزوج ثماني مرات لينجب الابن الذكر، وفي طريقه لهذا أنجب امرأة عظيمة لم تدخل عظمتها في حساباته.

وقد صارت إليزابيث ملكة لما ماتت أختها الملكة ماري (عام ١٥٨٨) المعروفة بماري الدموية لأنها اضطهدت وقتلت البروتستانت. وملكّت إليزابيث عصراً عُرف بالذهبي حتى عام ١٦٠٣.

وتظاهرت إليزابيث أول الأمر أنها مهتمة بالكاثوليكية حتى لا يهاجم ملك أسبانيا بلادها. وفي عام ١٥٨٨ تأكد الملك فيليب الثاني أنه يتعامل مع إنجيلية فأرسل أسطولاً ليهزم إنجلترا.

وقبل نجاة إنجلترا من هذا الغزو، وبينما كان الأسطول يقترب من شواطئ إنجلترا قالت إليزابيث لجنودها "أعرف أن جسدي جسد امرأة ضعيفة، ولكنني أمتلك قلب وأحشاء ملك، وليس أي ملك، بل ملك بريطانيا العظمى. وأنا أنظر إلى الجيش الأسباني باحتقار.

وهذه أيضاً نظرتي إلى كل أمير أوروبي يجرؤ على مهاجمة حدود مملكتي". وعند نهاية سنوات ملكها قالت لشعبها "مع أن الله رفعني إلى أعلى إلا أنني أعلن أن المجد الحقيقي لعرشي هو أنني ملكت بمحبتكم".

وأنا أحب في هذه الملكة أنها لم تنظر إلى جسدها الضعيف، لكنها نظرت إلى قلبها وتبعت إرشاده. والله يقوي الذين لا يترددون في أن يواجهوا ضعفاتهم قائلين "لا يمكن لضعفاتي أن توقفني عن العمل".

٢- إينور روزفلت

وُلدت في عائلة سياسية مشهورة لكنها لم تكن تهتم بمكانة المرأة. تَلَقَّت إينور (١٨٨٤-١٩٦٢) تعليمها في القسم الداخلي قبل أن تتزوج فرانكلن روزفلت قريبها (قربة بعيدة) عام ١٩٠٥. وفي السنوات القليلة التي تلت زواجها صارت القائدة السياسية النسائية في أيامها، فقد كانت لها قدرة تنفيذية لا تخفى على أحد. وبعد أن كبر أبناؤها الخمسة صارت نشيطة في السياسة مع زوجها، وانتُخبت في جمعية نيويورك التشريعية، وعملت مع رابطة سيدات نيويورك والرابطة التجارية النسوية على إصدار تشريعات عن الأجور. وعندما أصاب شلل الأطفال زوجها عام ١٩٢١ شجعت سيدات الحزب الديمقراطي ليساعدن فرانكلن ليُنْتخَب حاكماً، ثم رئيساً لأمريكا عام ١٩٢٨ مدة ستة أعوام. وبعد وفاة زوجها عام ١٩٤٥ عيَّنَها الرئيس ترومان مندوبة للأمم المتحدة حيث شكَّلت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. ومن أقوالها الشهيرة "يحصل الإنسان على القوة والشجاعة والثقة في كل اختبار يقف فيه ليوافه الخوف، فيستطيع أن يقول لنفسه: لقد عشتُ بالرغم من هذا الرعب، لذلك أقدر أن أنتصر في كل موقف مشابه". فعليك أن تقومي بما تظنين أنك عاجزة عن القيام به. لقد تعلَّمت أنه لا يقدر أحدٌ أن يجعلك تشعر بالدونية إلا أنت!

تستطيعين أن تقول لنفسك:

"لقد عشتُ بالرغم من هذا الرعب،

لذلك أقدر أن أنتصر في كل موقف مشابه".

فعليك أن تقومي بما تظنين أنك عاجزة عن القيام به

تعلمت إيلينور روزفلت أن تتخذ القرارات حتى وهي خائفة. ونحن نحتاج أن إلى " نعرف الخوف " لا أن نبحت عن " انعدام الخوف ". في مرات كثيرة نريد أن نطرد الخوف أو نستبعده، لكن الخوف لا يستطيع أن يغلب الإيمان والتصميم. فعندما يطرق الخوف بابك اسمحي للإيمان أن يرد، وربما ذات يوم تسجل كتب التاريخ اسمك.

٣- إيلزابث فراي

كانت إيلزابث فراي (١٧٨٠-١٨٤٥) قسيصة في طائفة الكويكرز، وإحدى العاملات في إصلاح السجون الأوربية، وأمّاً لعشرة أبناء. ودُعيت لتقوم بخدمة اجتماعية في سجن نيوجيت بإنجلترا دون أن تعرف حالة السجون وقتها، فقالت إنها وجدت نسوة نصف عرايا يعتقدن على بعضهن بعنف حتى ظنّت أنها في جب حيوانات مفترسة. ولم تفعل شيئاً معقداً لتبدأ به إصلاح السجن، إلا أنها بدأت تقرأ الكتاب المقدس للسجينات، فجلسن صامتات في احترام، وعيونهن مثبتات على السيدة الرقيقة التي تقرأ لهن.

ومن هذه البداية البسيطة تقدمت فراي باقتراحات: أن يفصل بين الذكور والإناث في السجن، وبين العنيفات والأكثر عنفاً، ويُسْغَل وقت السجينات بالقيام بأشياء مفيدة.. وامتد تأثير فراي من هذه البداية إلى سجون فرنسا وسجون المستعمرات البريطانية.

وأنا أحترم فراي لأنها لم تقم بشيء معقداً لإصلاح السجون، لكنها قامت بما أمكنها القيام به وهو قراءة الكتاب للسجينات. ولا يقوم معظم الناس بعمل شيء يواجهون به شرور المجتمع لأنهم يشعرون أن ما سيفعلونه لن يفيد كثيراً. ولكن فراي اختلفت مع وجهة النظر هذه لأنها

كانت تعلم أنها لو قامت بما يمكنها القيام به سيقوم الله بما لا تستطيعه هي، فتنتفتح أبواب، ويُعدّ طريق، وتجيء أفكار خلاقية. كما أن هذا يلهم الآخرين ليقوم كل منهم بما يستطيعه حتى لو كان صغيراً، ويبارك الله عمل الجماعة معاً، فيحدث التغيير.

٤- ماري مكلويد بثيون

كانت ماري (١٨٧٥-١٩٥٥) من أهم النسوة السود في زمانها. تخرجت من معهد مودي لدرس الكتاب المقدس وافتتحت مدرسة للبنات السود في ديتونا بيتش بفلوريدا، ثم اندمجت في العمل الحكومي وصارت المستشارة الخاصة للرئيس فرنكلن روزفلت في شؤون الأقليات من ١٩٣٥-١٩٤٤.

وكانت أول سيدة سوداء ترأس هيئة حكومية لدمج السود والبيض في الجيش، كما خدمت كمستشارة في الأمم المتحدة في شؤون الأجناس المختلفة، وأسست المجلس الأهلي للسيدات السود، ورأست المجلس الأهلي للشبان السود.

وماري الابنة الخامسة عشرة بين سبعة عشر ابناً لأبوين عبيدين، ولكن كانت لها حرية الاتصال دائماً بالبيت الأبيض في عهد الرئيس روزفلت.

أرجو ملاحظة أن ماري كانت أول امرأة ترأس هيئة حكومية، وعندي احترام خاص لمن يتولون القيام بأية مهمة لأول مرة، لأن من يقوم بعمل لأول مرة يتعرّض لمقاومة أكبر مما يتعرض له من يأتي بعده، فهو الرائد الذي يفتح الطريق ويدفع الثمن لخير الأجيال التالية.

٥- مارجريت تاتشر

وُلدت مارجريت عام ١٩٢٥ وصارت أول امرأة ترأس وزراء بريطانيا من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٠ عندما تركت هذه الرئاسة برغبتها. وهي أول رئيسة وزراء تُنتخب للوظيفة ثلاث مرات في القرن العشرين. وقد صعدت السلم السياسي بقليل من التشجيع. وهي ابنة بقال فقير كان واعظاً في كنيسة ميثودية.

وحصلت على شهادتها من جامعة أكسفورد في الكيمياء والقانون، وشغلت منصب وزيرة التعليم، والعلوم، ولخصت فلسفتها في القيادة بقولها "لا توجد حرية حيث لا يوجد اقتصاد حر.. اختناق القطاع الخاص يعني اختناق الحرية". كما قالت "إن أردت شيئاً يُقال في السياسة فاطلبه من رجل. أما إن أردت شيئاً يُنجز فاطلبه من امرأة".

يزعجني الشخص الذي يفتخر بمعلوماته الواسعة ودرجاته العلمية ولكنه لا ينجز شيئاً ذا قيمة، ومع هذا ينتقد من حصلوا على دراسات أقل ولكنهم أنجزوا أشياء عظيمة.

قد تكون المرأة الواثقة مفكرة عميقة، لكنها أيضاً فاعلة تأخذ القرارات حين يجب، فلا تكوني المرأة التي تقتل نفسها تفكيراً ولكنها لا تنجز، فهناك وقت للتفكير ووقت للعمل، ففرقي بين الاثنين، فقد كانت مارجريت تاتشر ذكية العقل، عالية التعليم، كما كانت فاعلة.

٦- ماري فيرفاكس سومرفيل

ماري (١٧٨٠-١٨٧٢) أكملت ما يساوي عاماً جامعياً واحداً في مدرسة داخلية للبنات، وتُعتبر في أيامها من أعظم العلماء، ولكنها تلقت

تعليمها بأصعب الطرق. وهي الابنة الوحيدة لجنرال في الجيش، درست كتاب "العناصر" لإيكليد ودراسة أخرى في الجبر حصلت عليها من معلم أخيها. ومن هذه البداية التي لا تبشر بخير تقدمت لدراسة "القوانين" لنيوتن ثم درست علوم النبات والفلك والرياضيات المتقدمة وعلوم الطبيعة. وصار كتابها "الميكانيكية" قاعدة الدراسات في علوم الفلك والرياضيات المتقدمة لمعظم سنوات القرن التاسع عشر. أما كتابها "الجغرافيا الفيزيائية" فأعطائها شهرة في كل أوروبا. وصارت عضواً في الجمعية الفلكية الملكية.

وقد برهنت ماري أن هناك مكاناً لكل امرأة تعزم أن تحصل عليه، فلم تياس في مواجهة الصعوبات وما بدا أنه يستحيل التغلب عليه. فلا تتوقفي عن أن تحلمي، واستمري في التقدم للأمام.

٧- ثيودورا

تزوجت ثيودورا إمبراطورة بيزنطة (٥٠٢-٥٤٨م) من جستنيان الذي حكم من ٥٢٧-٥٦٥، وهي ممثلة سابقة، رأت إصدار قانون جديد كان سبباً في إنقاذ حكم زوجها بإجهاض ثورة ضده عام ٥٣٢ فقد كان جستنيان على وشك الهروب عندما أقنعته ثيودورا أن يبقى وينقذ عاصمته، فنجح وحكم بلاده ثلاثين سنة، كان اسم ثيودورا يظهر أثناءها على كل قانون مهم تقريباً، بما في هذا تحريم استعباد الجنس الأبيض، وإصدار قوانين جديدة تنصف المرأة في حالات الطلاق. أما في حياتها الإيمانية فقد ساندت كل تعليم يؤيد لاهوت المسيح. ولم يُصدر زوجها بعد موتها عام ٥٤٨ أي قانون يُذكر.

يقولون إن وراء كل عظيم سيدة عظيمة، ولكني لا أدري كم من

الرجال اعترفوا بالتقدير للنسوة العظيمات اللواتي وقفن من ورائهم، ولا أدري عدد النساء اللواتي أُجبرن ليسجّلن اختراعاتهن واكتشافاتهن بأسماء آبائهن أو أزواجهن، فإن التاريخ لم ينصف المرأة، ولو أنصفها لاحتلت النساء صفحات وصفحات على ما قدّمه من خدمات للبشرية.

٨- هاريت بيتشر ستو

كتبت هاريت (١٨١١-١٨٩٦) أكثر الروايات انتشاراً في القرن التاسع عشر، وهي الرواية المسيحية "كوخ العم توم". وهي ابنة قسيس مشهور اسمه ليمان بيتشر، اهتمت في مطلع حياتها بعلم اللاهوت وأعمال الإصلاحات الاجتماعية. وسافر معظم أعضاء عائلة بيتشر إلى سنسناتي وراء ليمان الذي تولى إدارة "كلية لاهوت لين". وفي سنسناتي تعرّفت بالعبيد الهاربين، ومن هؤلاء، ومن زيارتها لهم تعرّفت هاريت على شقاء العبيد في جنوب أمريكا. وعندما حصل زوجها كلفن ستو على وظيفة أستاذ جامعي في كلية باودوين في ولاية ماين تشجعت أن تكتب رواية عن عذاب العبيد، باعت منها أول سنة ٣٠٠ ألف نسخة، وهو رقم لم يُسمع في أيامها. وقد تحوّل الكتاب إلى تمثيلية بيد ج ل إيكين مثلت في كل أنحاء أمريكا قبل الحرب وبعدها.

وفي وقت كانت أمريكا عالم رجال فقط في السياسة والثقافة وضعت هاريت بصماتها كإحدى أشهر المؤلفين في القرنين التاسع عشر والعشرين، وأوضحت لمن لم تصلهم المعلومات الصحيحة عن الرق أن للبشر جميعاً الحق في حياة حرة بغضّ النظر عن لون بشرتهم. وعندما قابلها الرئيس إبراهيم لنكلن عام ١٨٦٢ أثناء الحرب الأهلية قال لها "فأنت السيدة الصغيرة التي كتبت الكتاب الذي بدأ الحرب الكبيرة!".

٩- دوروثيا لند دكس

بدأت دوروثيا (١٨٠٢-١٨٨٧) أهم إصلاح للمرضى النفسيين في أوروبا وأمريكا. كان أبوها واعظاً يسكر، ولم تكن أمها صحيحة نفسياً. واشتغلت مدرّسة بتشجيع من صديقها إدوارد بانجز.

ومع أنها قررت ألا تتزوجه (وقد بقيت كل عمرها بدون زواج) إلا أنه استمر يشجعها في التدريس وفي خدماتها الاجتماعية. وكان أول ما فعلته في إصلاح حال المرضى النفسيين نتيجة تدريسها فصل مدرسة أحد في كمبردج بولاية ماساشوستس، وفي سجن للمرضى النفسيين كان بغير تدفئة بحجة أن المرضى النفسيين لا يشعرون بالبرد ولا بالحر! وبدأت الإصلاح في ماساشوستس بمساعدة صديقها بانجز وحاكم الولاية الذي كان يعرفها شخصياً. وسافرت إلى مدن كثيرة على السواحل الشرقية الأمريكية تشرح للمشرّعين الموقف الواجب اتخاذه نحو هذا النوع من المرضى. وكان من النتائج الهامة التي وصلت إليها وقامت بنشرها أننا لوقمنا بتحسين ظروف معيشة المرضى النفسيين فستُرفع المعاناة عنهم إلى حد كبير. وقد أسست دكس ٣٢ مستشفى للمرضى النفسيين، و١٥ مدرسة للمعوقين ذهنياً، ومدرسة للعميان، وأماكن لتدريب الممرضات.

لم يكن ممكناً أن يتوقف الظلم على المرضى النفسيين إلا بمواجهة شجاعة، يقوم بها شخص مثابر لا يقبل أن تهزمه الصعوبات، وهذه كانت موهبة دوروثيا. وإننا لنددهش لما تقدر امرأة واحدة أن تنجزه إن هي بذلت جهودها في دفع الأمور للأمام بثقة لا يهزمها التراجع الناتج عن الخوف، والذي يجعلها تفترض أنها لن تقدر أن تنجز المهمة التي يجب إنجازها.

١٠- روزا باركس

روزا (١٩١٣-٢٠٠٥) هي الخياطة المجهولة التي بدأت حركة الحقوق المدنية الأمريكية، ففي مدينة مونتجمري (ولاية ألاباما) في أول ديسمبر ١٩٥٥ رفضت أن تتحرك إلى آخر الأتوبيس بعد أن ركبها رجل أبيض أراد أن يجلس في المقعد الأمامي. وكانت قد صممت من قبل أن تعلن احتجاجها على قوانين الفصل بين البيض والسود ونفذت ما صممت عليه. وُلدت روزا في مدينة توسكيجي، وفي عمر الحادية عشرة التحقت بمدرسة تعلم الخياطة والتدبير المنزلي في مدينة مونتجمري، وهي مدرسة خاصة أقامتها بعض السيدات من الولايات الشمالية. وقد ساندت هذه المدرسة فكرة في قلب أم روزا تقول "أنتهزي الفرص مهما تكن قليلة".

وقالت روزا تعليقاً على ما حدث في الأتوبيس إن الخوف الذي أربعها طول حياتها جعلها بعد القبض عليها تعلن احتجاجها على سوء المعاملة التي يلقاها السود من البيض، وكان قد سبق لها أن اشتركت في عدة احتجاجات مشابهة سابقة قاطع فيها السود استخدام الأتوبيس. واستمرت المقاطعة الأخيرة ٣٨٢ يوماً إلى أن أبرمت اتفاقية بموافقة المحكمة الدستورية العليا التي اعتبرت التفرقة العنصرية غير دستورية. وكانت روزا أول امرأة تنال جائزة مارتن لوثر كنج للسلام بدون عنف.

ونتعلم من حياة روزا أن الشجاعة الكافية التي تجعل شخصاً يحاول أن يعالج مشكلة تطلق الشجاعة الكامنة في أشخاص غيره يعتنقون نفس أفكاره، فيتقدم الجميع معاً لتنفيذ ما يؤمنون به. لقد رفضت روزا

أن تعيش في خوف، وعزمت أن تنال حقوقها المشروعة، فحضت الحكومة الأمريكية أن تتحرك أخيراً لتصلح الأمور.

وبدراسة الأمثلة العشرة لعشر سيدات أستنتج أن النساء لسن الجنس الأضعف، فقد قدمن للعالم خدمات عظيمة، أن الأوان للاعتراف بها.

الفرق بين الرجال والنساء

لا صلة له بالضعف

خلق الله الرجل والمرأة مختلفين في أمور كثيرة، منها قوة العضلات. فمع أن الرجال عادة أقوى من النساء إلا أن هذا لا يجعل النساء الجنس الأضعف، فإنهن لسن ضعيفات في ذكائهن ولا في مشاعرهن، ولن نسمح لأنفسنا أن نكون الأضعف في هاتين!

وسواء كنت متزوجة أم غير متزوجة ستجدين نفسك تتعاملين مع الرجال، لكي تمتلك الثقة في أنفسنا كنساء، أن نفهم أنفسنا ونعرف ما نختلف فيه عن الرجال. ومن الضروري أن نعرف أن هذه الاختلافات لا تجعلنا أحسن أو أردأ منهم. لكن إذا عرفناها سنفهم ما يقوم به الجنس الآخر ونقدّره.

ولنبداً بالاختلافات الجسدية: فقلب المرأة يدقُّ أسرع، ومخ الرجل أكبر ولو أن مخ المرأة به خلايا عصبية أكثر. وإذا درست عقل الرجل بالمقارنة لعقل المرأة، ستجدي أنه عند القيام بنفس العمل تضيء مناطق معينة في عقل الرجل تختلف عن المناطق التي تضيء في عقل المرأة. وتختلف السرعة التي تظهر بها علامات الشيخوخة في الرجال والنساء.

في كتاب "الحب والاحترام" يذكر الدكتور إمرسون إجريتش الاختلافات الواضحة بين الرجال والنساء تتضح في أبسط الأمور، كالنظر في خزانة ثياب. ويتخيل الكاتب زوجين يرتديان ثيابهما للخروج لمناسبة هامة

هي: "لا أجد ما ألبسه" (تقصد أنها لا تملك فستاناً جديداً)

هو: "لا أجد ما ألبسه" (يقصد أنه لا يجد قميصاً نظيفاً)

عند بعض السيدات روح تنافس مع الرجال تجعلهن ينسين أنهن نساء. قال لي قسيس أحترمه كثيراً إطرأً عظيماً، قال "يا جويس، أنت امرأة تخدمين ولا زلت تعرفين أنك أنثى، فلا تحاولي محاكاة الرجال في المظهر ولا في الوعظ". ثم مضى يقول لي إني قوية ولكن في أنوثة، وإنه راضٍ بذلك. وقال لي إنه خلال سنوات خدمته وقيادته للكنيسة رأي سيدات يفشلن في خدمتهن لأنهن حاولن أن يقلدن الرجال، فحصدن الكراهية والرفض.

ولا بد أنك سمعتِ المثلَ القائل "هذا عالم رجال، فعليك أن تحاربي إذا شئتِ أن تحصلي على شيء من العالم". ولكني أعلم أن العالم عالمي أنا أيضاً، ولا حاجة لي للحرب، وأثق أن الله يساعدي لأكون ما يمكنني أن أكونه، ولا حاجة لي أن أدخل في منافسة مع رجل لأخذ مكانه، فإن مكاني عندي وأنا مستريحة فيه. وأحب كوني امرأة ولا أريد أن أكون رجلاً.. ولو أنني أعترف أنني كثيراً في الصباح ما وددتُ لو كان كل ما عليّ أن أفعله هو تسريح شعري وحلاقة ذقني بدل الوقت الطويل الذي أقضيه في العناية ببشرتي، والعناية بشعري وحواجبي، وتجريب لبس ثلاثة فساتين قبل أن أستقر على المنظر الذي أستريح للخروج به.

يقول الكتاب إن الشعب يهلك بسبب عدم المعرفة (هوشع ٤: ٦). وأعتقد أن الزواج والصدقة وعلاقات الأعمال تتدمر بسبب جهل الرجال والنساء الاختلافات بين الرجال والنساء، وفي كبريائنا نظن أننا النموذج لكل ما هو صالح ومقبول، ونتوقع أن الجميع يقلدونا.. ولكن هذا خيال لا يمتُّ للواقع بصلة.

قال رجل "أعرف أي لن أفهم النساء، ولن أفهم كيف يمكن أن امرأة تأخذ شمعا ساخنا تضعه على شعر ذقنها ثم تشده بعنف لتقتلع شعر ذقنها من جذوره، ومع هذا فهي تخاف من صرصار!".

ودعني أذكر المزيد من اختلاف الرجل عن المرأة:

تقدم المرأة النصيحة وتعطي التوجيهات، ولكن الرجل لا يبتهج وهو يسمع النصيحة.. وتعتقد المرأة أنها تمد يد المساعدة، ولكن الرجل يظن أنها لا تثق في أنه سيأخذ القرار السليم.

وعندما تختلف امرأة مع رجل يعتبر هذا رفضاً له وينهض للدفاع عن نفسه، فالرجل لا يقبل نصيحة إلا بعد أن يكون قد جرب كل حل متاح، فتقديم النصيحة له بسرعة تُفقد إحساسه بالقوة، وقد يصيبه ذلك بالكسل أو عدم الثقة بالنفس.

يستمتع الرجال وينالون قوة متى شعروا أن المحيطين بهم يحتاجون إليهم، أما النساء فيستمتعن متى شعرن أنهن محبوبات.

متى تثبتت صورة في ذهن الرجل عن شيء أو شخص يصعب نزعها، بينما تثبت المشاعر والأحاسيس في ذهن المرأة. يميل الرجل إلى العزلة وهو يفكر في ما يضايقه، بينما تميل المرأة للحديث عما يضايقها.

في أحد البحوث وُجد أن ٨٠٪ من الرجال يشعرون عندما

يتخاصمون بنقص احترامهم، بينما تشعر النسوة بنقص الحب لهن.

لما كانت حبال المرأة الصوتية أقصر من حبال الرجل فهي تبذل مجهوداً أقل من مجهوده عندما تتكلم، كما أن صوتها يكون أرفع من صوته وتحتاج إلى كمية أقل من الهواء الذي يحتاجه لتتكلم.

ويقول خبراء الاتصالات إن المرأة تستخدم ٢٥ ألف كلمة يومياً في الكلام، بينما الرجل يستخدم عشرة آلاف كلمة فقط. قال رجل أعمال تعليقاً على هذه الحقيقة: "عندما أعود للبيت بعد يوم عمل أكون قد استهلكتُ نصيبي من الكلام، بينما زوجتي لا تكون قد بدأت في استهلاك نصيبها!".

ولا يميل الرجال إلى مشاركة غيرهم في كل شيء، بينما النساء يشاركن غيرهن في كل ما عندهن، وأكثر! وهذا ما يحدث في حياتي الزوجية، فعندما يهاجمني فيروس أكلم زوجي عنه وأعراض إصابتي باستفاضة. وأستغرب أنه أصيب بنفس الفيروس منذ أسبوع دون أن يخبرني.

عندما تحدث مشكلة بين زوجين ثم يأتي الزوج ليعيد التواصل مع زوجته، تنتظر الزوجة منه أن يبدأ مناقشة ما ضايقه منه. فهو لم يعد متضايقاً الآن وهو يريد أن ينسى الماضي. ولكنها تريد أن تكتب قائمة بما يجب عمله حتى لا تتكرر مشكلة مشابهة بينهما.

وكنت أتساءل (قبل أن أعرف ما هو أفضل) لماذا نتخاصم ونجوز في مشاكل، بينما كان زوجي يقول "هذا جزء من حياتنا".

الرجال بسطاء، ولكن النساء لسن كذلك، بل إنهن يحسبن الرجال معقدون مثلهن، والحقيقة أن الرجال لا يفكرون بعمق طول الوقت كما

تفعل النساء، لكنهم يبدون على حقيقتهم.

وأذكر أنني ذات مرة غضبت على زوجي وقلت إننا نحتاج إلى جلسة حديث جاد، وشكوت من أن محادثتنا بلا عمق ولا معنى، فنظر إليّ في ارتباك وقال "هذا آخر ما يمكنني أن أصِلَ إليه من عمق".

لقد كنتُ دوماً أفكر بعمق وأحب أن أجلس لأتكلّم وأتكلّم عن احتمالات المواقف المختلفة، أما زوجي فكان يقول ببساطة "دعينا نرى ماذا سيحدث".

تطلب المرأة أن تُحَبَّ وتُحترم وتُقَدَّر وتُمدَح وتُسمَع ويوثقَ بها، بينما يفضل الرجل أن يحصل على تذكرة لمشاهدة مباراة كرة!

تطلب المرأة مشاعر، أما الرجل فيطلب الجنس!

تبكي معظم النساء نحو خمس مرات في الشهر، ولكنني لم أرَ زوجي يبكي خمس مرات في أربعين سنة! فالنساء حساسات أكثر من الرجال، أما الرجال فمنطقيون أكثر.

ويبقى التفاهم أهم ما في الحياة، فزوجي مثلاً يعمل على حمايتي، ويحدثني دوماً عن كيف أؤدي ما أقوم به دون أن يقع بي أذى. ولم أكن أفهم لماذا يقدم لي كل هذه النصائح مثل: كيف أخرج من حوض الاستحمام؟ وكيف أنزل السلالم؟ وكنت أظنه يحسبني غبية، فأقول له "لا يحتاج الأمر أن تقدم لي هذه النصيحة، فلستُ حمقاء" فيبدو الألم على ملامحه ويجيب "كنت فقط أحاول مساعدتك". والآن أفهم أكثر وأحس وأنا أسمعه أنه يعزُّني. فاقرئي كتاباً أو اثنين عن الفرق بين الرجال والنساء، فهذا سيفتح بصيرتك ويزيدك بالمعرفة التي قد تمنع آلاف المشاكل الناتجة عن سوء الفهم.

الفصل العاشر

خطوات نحو الاستقلال

أثبتت دراسات كثيرة أن المرأة تميل أكثر من الرجل إلى الاعتماد على الغير، وأنه يصعب عليها أن تستقل. وهذا لا يعني أن المرأة بطبيعتها أضعف وأكثر اعتماداً على الغير، لكنه يعني أن بعض ما تعلمته لم يكن متزناً كما كان يجب. ففي أثناء نمو الفتاة تصرف وقتاً مع أمها أطول مما تصرفه مع أبيها.

ويبدأ الفتى يرى أنه مختلفٌ عن أمه فيميّز نفسه عنها، ويعبر عن ذكوريته بالانفصال عنها. وهذا لا يعني أنه يبتعد عن أمه أو أنه لا يحتاج إليها أو لا يعتمد عليها، ولكن يعني أنه بطبيعته يطلب استقلاليتها. أما الفتاة فلا ترى حاجة للاستقلال فتبقى قريبة من أمها.

ويصعب على بعض الأمهات أن يسمحن لأبنائهن أن يستقلوا عنهن، وينزعجن وهنَّ يرينهم يبتعدون عنهن. فلو لم تسمح الأم لابنها أن يستقل عنها ستسبّب له مشاكل كثيرة في سنوات حياته القادمة.

والفتيان معروفون أنهم يُجيدون الاستقلال أكثر مما يجيدون العلاقات. أما الفتيات فهنَّ صاحبات علاقات أفضل، ولكنهن لا يُجدن الاستقلال.

وتختبر النساء اكتئاباً أكثر من الرجال بستّ مرات، وتستهلك النساء ٧٠٪ من الأدوية المضادة للقلق. وكتبت "ماجي سكارف" السبب التالي لهذا الاكتئاب والقلق:

”تقول الإحصائيات إن النساء أكثر اكتئاباً لأنهن تعلمن أن يكن أكثر اعتماداً على الغير، وأكثر طلباً للحب، ولهذا فإنه يندر أنهن يحصلن على الاستقلال، فتعطي المرأة الأولوية لإسعاد الآخرين بأن تكون جذابة لهم، تهتم بهم ويهتمون بها. وتتلقى المرأة تدريباً قاسياً يبعدها عن أن تسأل ”ماذا أريد؟“ ويدفعها لأن تسأل ”ماذا يريدون؟“ فيتعرّضن للذوبان في من هم حولهم، ويفشلن في إدراك أنهن كأفراد لهن حقوق واحتياجات تستوجب استقلالهن“.

والآن دعوني أشرح ما أعنيه بالاستقلالية: فلن نستقل عن الله لأننا بدونه لا نستطيع عمل شيء.

”لأنّ مئته (هو مصدر كل شيء) وَبِهِ (تنال حياتها منه) وَلَهُ (تنتهي إليه) كُلُّ الْأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ (ليكن هكذا)“ (رومية ١١: ٣٦).

صرفت وقتاً أدرس هذه الآية وأتأملها وأنا أرى فيها أن الله هو كل شيء، وأنا بدونه لا شيء.

ثبت من الإحصائيات
أن ١٠٪ من الناس
لن يحبوك،
فلا تحاولي أن يكون
سجلك كاملاً مع
جميع الناس،
واحتفلي بما أنت عليه

واحتياجنا للرب وللآخرين ليس علامة ضعف، ويمكننا أن نتكل أحياناً ونستقل في أحيان أخرى. قال ”بروس ولكنسن“: ”قوة الله من تحتنا وفيها وتجيش في صدورنا، فتحول اتكالنا عليه إلى اختبارات كمال لا تُنسى“. وعندما نعتمد ونتكل على أبينا السماوي سنشعر بالكمال.

أعتقد أن النساء يحتجن إلى الشعور بالأمن، وبأنهن محبوبات - ولا خطأ في هذا. فزوجي يهتم ويعتني بي، وأنا أحب هذا، فهو يحميني ويريد أن يتأكد باستمرار أنني في أمان. والفرق بيني وبين امرأة عوملت بأسلوب غير متزن، أنه بالرغم من سروري بحماية زوجي لي، إلا أنني أعرف أنني أقدر أن أحمي نفسي. ومع أنني أعتمد عليه (وهذا سليم) إلا أن هذا الاعتماد لا يصيبني بالشلل.

الاستقلال المتوازن الذي يجب أن نسعى وراءه هو الذي فيه نعتمد على الله والبشر، بينما أبنِي هويتي الشخصية. ويعلمنا الكتاب ألا نتشبه بهذا العالم (رومية ١٢: ٢) فكل واحدة منا تريد صورة متزنة لنفسها. وإليك عشر نصائح توصلك إلى هذه الغاية:

١ - تخلصي من انتظارات الآخرين

لا تسمح للمحيطين بك أن يقرروا لك قيمك السلوكية، فالبشر مختلفون في قيمهم، ولو أنهم يتفوقون جميعاً في أنهم ينتظرون منك أن تسعديهم، وأن تعطيمهم ما يطلبونه. وكثيراً ما يطالبونك بأمر غير معقولة. فإن أردت أن تثقي في نفسك فلا تحاولي أن تكوني "فوق عادية" لأنك محدودة في أمور كثيرة، ولن تقدر أن تسعدي كل الناس في كل وقت. وقد ثبت من الإحصائيات أن ١٠٪ من الناس لن يحبوك، فلا تحاولي أن يكون سجلك كاملاً مع جميع الناس، واحتفلي بما أنت عليه. واللاتي يعرفن كيف يعشن مستقلات لا يجب أن يسمحن لغيرهن أن يغيروا قيمهن.

يُحكى عن رجل تقي من مذهب "الكويكرز" كان يعرف كيف يعيش باستقلالية، ويقدر مكانته في المسيح، أنه كان يسير في الشارع مع

صديق له عندما توقّف ليشتري جريدة. وكان البائع فظاً سليط اللسان، لكن المشتري كان رقيقاً كريماً، دفع ثمن جريدته ومضى مع صديقه. فسأله الصديق "كيف قدرت أن تكون رقيقاً مع هذا اللفظ الخشن؟" وجاءته الإجابة "إنه دائماً فظ خشن. فلماذا أسمح له أن يحدد لي طريقة رد فعلي؟".

هذا ما فعله يسوع، فلم يتغير أبداً في فعله ورد فعله. لقد غير الناس دون أن يتغير. فعندما يفشل شخص غاضب في أن يجعلك تغضبين، لا بد أن يقدرك ويحترمك ويعرف أنك مؤمنة حقيقية، وبسرور سيستمع لك عندما تتكلمين معه.

فإذا غضبت وفقدت أعصابك تكونين قد فقدت احترام الذين يريدون أن يتحكموا فيك، فكوني شخصك، واعلمي ما يريدك الله أن تعمله وتكونيه، ولا تعيشي تحت رحمة توقعات الآخرين منك.

٢- تعلّمي أن تتعايشي مع الانتقاد

لا بد أن ينتقدك شخصٌ ما مهما كان العمل الذي تقومين به، فتعلّمي أن تتعايشي مع الانتقاد ولا تسمحِي له أن يضايقك، فإن الانتقاد قاسٍ جداً على معظمنا ويمكن أن يدمر صورة الذات. لكن من الممكن أن نتعلم كيف ننجو من دمار الانتقاد، بل يجب أن نتعلم.

قالت مارجریت تاتشر إن نقّادها لو رأوها تمشي إلى جوار نهر التيمس لقالوا إنها تمشي بجواره لأنها لا تعرف كيف تعوم فيه! وقال الممثل دستن هوفمان إن تقييم نقّاده له بمثابة حكم بالإعدام عليه. فيجب أن نفحص قلوبنا حتى لا يديننا الآخرون.

لقد اختبر الرسول بولس مرارة الانتقاد كما نختبرها نحن من أناس متقلّبين، يحبونك يوم تفعلين كل ما يطلبونه منك، ولكنهم ينتقدونك بشدة لو لم تقومي بالقليل مما طلبوه.

وقال بولس إنه لا يعير انتقادات الآخرين انتباهاً، كما أنه لا يدين نفسه لأنه يعلم أنه في يد الرب وسيقف يوماً بين يديه ليعطي حساباً عما فعل، ولكنه لن يقف للمحاكمة أمام بشر (١كورنثوس ٤: ٣، ٤).

ونجد أحياناً أن أكثر من يحل بهم الانتقاد هم الذين يقومون بأعمال بناءة. ويضايقني أن الذين لا يعملون ينتقدون من يحاولون أن يعملوا. قد لا يُجيدون ما يعملونه لكنهم يحاولون لجعل عالمنا أفضل، ويساعدون من حلّ بهم الأذى. وهذا يُسرُّ الله.

وبعد سنوات من معاناتي من انتقادات الناس، ومحاولاتي لأن أرضيهم، تعلمتُ أنه يكفيني أن أرضي الله.

أنصحك أن تؤكدي نفسك بنفسك لنفسك في كل مرة تنتقدين فيها. لا تقبلي الانتقادات الظالمة التي تُكّال لك، وكوني مستقلة واحتفظي برأيك في نفسك، ولا تسمحِي للانتقاد أن يهزمك، بل تأملي كيف قابل ونستون تشرشل الانتقاد في السنة الأخيرة من رياسته للوزراء،

فأثناء حضوره اجتماعاً سمع شابين يجلسان خلفه يتهامسان قائلين "هذا هو ونستون تشرشل في تخاريف شيخوخته.

يقولون إنه يجب أن يتقاعد ويترك قيادة الأمة لشخص ديناميكي أكثر قدرة منه". وبعد نهاية الاجتماع نظر إليهما وقال "ويقولون أيضاً إنه أصم لا يسمع!".

٣- افعلي شيئاً مذهلاً

أنصحك أن تفعلي شيئاً مذهلاً غير عادي يُذهل الآخرين كما يذهلك أنت أيضاً، لم يكن أحدٌ يتوقعه، فإن هذا سيجعل حياتك ممتعة، وسيحرم منتقديك من ظنهم أنهم قد تركوا آثار بصماتهم على حياتك.

أعرف سيدة في السادسة والسبعين من عمرها تقول إن هدفها أن تقوم كل أسبوع بعمل واحد مذهل على الأقل، فإن الناس يملّون رتابة الحياة. وفي إحصائية ظهر أن ٥٥٪ من العمال لا يرتبطون بعملهم بأية مشاعر، فإنهم يذهبون إلى محل عملهم دون أن يهتمهم محل العمل.

لم يخلقنا الله لنكرر عمل الأشياء نفسها حتى تفقد معناها، فإن الله خلاق كما ترين من حولك النباتات والأشجار والطيور والحيوانات، وتبتهجين بالشمس والقمر والنجوم والفضاء والجاذبية، ويمكنك أن تمضي بلا حدود تعددين ما خلقه الله وما به من تنوع. وتلاحظين أن الله يذهلك بأمور متغيرة مبهجة في حياتك، يمكنك أن تعتمد علىها وأنت آمنة، ونحن نتعلم الكثير جداً من الرب.

أنا لا أحب أن يظن الناس أنهم يعرفون كل شيء عني. ومع أنني أريد أن أكون أمينة ويعتمد عليّ إلا أنني لا أحب أنه يمكن التنبؤ بما سأقوم به. أحياناً أملُّ من نفسي فأصلي أن يعطيني الرب فكرة جديدة ينفذ بها عني الملل، ويحفظني مُبدعة.

ونذهل عندما نقدم أشياء متنوعة لأناس متعددين. قد يكون تسلُّق جبل إفرست مذهلاً لشخص بينما يكون تغيير نوع الملابس مذهلاً لشخص آخر.. اعتدتُ أن أحب نوعاً خاصاً من الملابس الزاهية، فكان أولادي ينصحونني أن أجاري المودة المتغيرة، وكنت لوقتٍ ما أرفض

نصائحهم، ولكنهم أصروا وهم يقولون "يا ماما، يجب أن تبدئي تغيير أسلوب ملابسك" فأقول "لا يمكن أن أغير ما اعتدت أن ألبسه بعد أن بلغت ٦٢ سنة من العمر". وهنا أمرني الله ألا آخذ قراراتي في نور عدد سنوات عمري، فقررت أن أقوم بشيء مذهل غير متوقع وهو تغيير موديل ملابسني، فباركت كثيرات بما أعطيتهن مما في خزانة ملابسني، وقررت أن أجاري الموضة بغض النظر عن عمري.

وعبر أصغر أولادي عن سروره عندما عقدنا مؤتمراً مشتركاً مع فريق ترنيم شبابي مشهور. وبعد تشجيع كثير وافقت أن أغير أسلوب ملابسني بهذه المناسبة، فلبست جينز. في تلك الليلة زاد عدد الذين استجابوا لدعوة قبول المسيح عن كل مرة قدمت فيها الدعوة. والآن يذكرني ابني أن ترانيم الشباب لا تعطل انسياب قوة الله.

حافظي على حياتك يانعة مذهلة، وحاولي أن تقومي بأشياء غير عادية، وكن لاحترسي من أن تكون أشياء حمقاء.

٤- ليكن لك رأيك الخاص

لنا آراء تختلف عن آراء غيرنا. ولك الحق في الاحتفاظ بآرائك دون أن تفرضها على الغير، فإن الغير لا يهتمون بآرائك. وحتى إن سألك عن رأيك فإنهم يرجون أن يتوافق رأيك مع رأيهم. والمرأة الحكيمة هي التي تعرف متى تصمت ومتى تتكلم.

ومع أننا يجب أن نكون حكماء في تقديم آرائنا، إلا أننا لا يجب أن نتبنى الآراء الشائعة لمجرد أن الأغلبية تعتمقتها. وعليك أن تعرفي ما تؤمنين به، وتعرفي لماذا تصدقينه. قال أصغر أولادي لأبيه ولي "لا أعرف إن كان إيماني راجعاً إلي أم إلى إيمانكما". فهو كطفل ترعرع في

بيت مسيحي مهتم بالخدمة الدينية، ولا بد تأثر أنه بآراء البيت الذي نشأ فيه، وهو لا يعرف إن كانت آراؤه هي آراءه الشخصية أو لأن أحدنا لَقَّنها له. وأنا سعيدة لأن والده وأنا أدركنا أن الصراع الذي يمر فيه ابننا الأصغر ليس طبيعياً فقط، بل وصحياً أيضاً، فلست أريد أن يعتنق أولادي ما أعتنقه، بل أريدهم أن يعتنقوا ما يقتنعون به.. وقد صرف ابني الأصغر وقتاً يبحث ويدرس بنفسه حتى وصل إلى معرفة ما يريد أن يعتنقه، والسبب وراء ذلك.

لا يجب أن يخاف الآباء من السماح لأولادهم أن يفتشوا ليكتشفوا لأنفسهم ما يريدون أن يؤمنوا به. ومما يساعد أولادنا على الاستقلال أن ينفصلوا عن والديهم ليكونوا هويّتهم الشخصية. ويشترك كل أولادنا معنا في خدمتنا، وقد يبدو أن هذا يعطيهم القليل من الاستقلال، ولكن الواقع هو أن كل منهم له شخصيته المستقلة، فإن الاستقلال الصحيح عن الوالدين شيء صالح.

يصرف أبناءٌ كثيرون أدوار حياتهم كلها في ظل والديهم، وهذا ليس أصحّ مكان لهم. كانت الممثلة "مارلو توماس" تخاف من أن تُقارن بأبيها الممثل "داني توماس".

ولكنه مدّ لها يد العون من أول طريقها، وقال لها إنها تشبه الحصان الأصيل الذي لا يراقب غيره من خيول السباق أثناء السباق، لكنه يكتفي بأن يجري في السباق. وقبل أن تعتلي خشبة المسرح لأول مرة وصلتها هدية من أبيها: غمامتان لعيني حصان، ومعهما عبارة "أجري يا بنيّتي سباقك بنفسك".

أعتقد أن أكبر لص يسرق فرح الإنسان
هو عدم أمانة الإنسان ليكون نفسه

٥- ارفض أن تتظاهري

محاولة إرضاء الناس ليست ميزة شاذة، لكننا كثيراً ما نجد أنفسنا عاجزين عن أن نكون ما يريدونه لنا أن نكون. والخطأ يكمن في أن كثيرين يتظاهرون بما ليس فيهم. قال لي أحدهم "سأتظاهر بإرضاء الناس حتى أَرْضِيهم". وهذه عدم أمانة منك لنفسك، وقد انتقد المسيح المرأين.

فلو كنت الآن مختلفة عما تريد أن تكونيه، كوني صادقة. لا تتظاهري أنك تحبين أشياء تكرهينها، ولا تطلبي صُحبة أشخاص تتظاهرين أنك تحبينهم بينما أنت تكرهينهم. ذات مرة طلبت من قسيس نصيحة بخصوص طرد سيدة تعمل معنا. كنت أريد أن أتخذ القرار السليم، ولكن بعد سنوات من المحاولة وجدت استحالة رضاي عن وجودها ضمن فريق خدمتنا، ولم يكن هذا بسبب عيب فيها أو في. كل ما في الأمر أننا عاجزتان عن التكيف معاً.

كلانا قوية الشخصية، وكنت أرى نفسي "الرئيسة" فيجب أن تخضع لي. وعندما كنت أفعل أمراً لا يعجبها كنت أشعر بنيران الغضب تشتعل داخلها. وكان هذا يجري معظم الوقت. وقدم القسيس لي نصيحة حررتني إذ قال لي "عشتُ سنوات طويلة أعمل مع أناس لا أحبهم، وأتظاهر أنني أحبهم. وقد جاء الوقت لتغيير هذا".

قد يبدو هذا التفكير مناقضاً لتعاليم المسيح، لكن هذا غير صحيح،

فمع أنه علمنا أن نحب كل الناس، لكنه لم يقل أن نحب البقاء في صحبة كل الناس. هناك أشخاص يصعب التعايش معهم. يمكن أن نطلب من الله قوة تجعلنا نتصرف بلياقة ونحن معهم، ولكن بقاءنا معهم في محيط العمل بصورة مستمرة ليس صالحاً. وقد فصلتُ السيدة التي ذكرتها من العمل معنا، وكان هذا لخيرنا كلياً، فقد وجدت عملاً سعدت به، ولم يعد يضطرنني الأمر أن أظهار بسعادتي بأحوال لا تسعدني.

ومن المؤسف أن عالمنا مليء بالمرائين، فعندنا من يتظاهر بالسعادة وهو تعيس، ومن يتظاهر أنه سعيد بالعمل الذي يقوم به لينال إعجاب رؤسائه وزملائه وهو في الحقيقة متضايق منه.

ويحتفظ كثيرون بأكثر من قناع، يغيرون استعمالهم حسب الحاجة. وأعتقد أن أكبر لص يسرق فرح الإنسان هو عدم أمانة الإنسان ليكون نفسه. قال رالف والدو إمرسون "أعظم إنجاز هو أن تكون نفسك وسط عالم يريد أن يغيرك".

لا تنسي أن أهم طريق للحصول على استقلالك هو أن تمتنعي عن التظاهر. كوني نفسك.

٦- قولي "لا" عندما يجب أن تقوليها

الذي يقول "نعم" لكل شخص كل وقت يجلب المشاكل لنفسه، فعندما يريد الآخرون أن تفعلي لهم شيئاً وترفضين فلن تسعدهم إجابتك. لكن عليك أن تقرري إن كنت ستقضين عمرك تسعدين الناس على حساب سعادتك الشخصية.

هناك أوقات يجب أن نفعل فيه أشياء تدخل السرور إلى قلب الآخرين

حتى لو كنا نحن لا نفضّل هذه الأشياء. لكن قضاء حياتنا كلها بهذه الطريقة يؤذينا عاطفياً.

حدّثتنا المرتلة "نونونا جاد" عما يجري لنا لو لم نفكر في أنفسنا، فقد قبلت المسيح مخلصاً لما كان عمرها ١٧ سنة، لكن سنوات الشهرة والغنى خلقت فيها حالة من عدم الأمان، فكانت تشعر أنها يجب أن تعتني بالجميع، ففي مرتين حملت فيهما بطفل، استمرت ترتل ليكون عندها المال اللازم لتدفع مرتبات العاملين عندها، ولم تكن تأكل إلا عندما تشعر بالجوع لتنفق أموالاً طائلة على عائلتها وأصحابها ومن يطلبون عونها، وكانت أحياناً تستضيف المشردين في بيتها.

وانتهى بها أمر إرضاء الجميع أن صرفت كل أموالها، وهاجمتها أحاسيس الذنب، وكادت تبيع مزرعتها البالغة ٥٢٥ فداناً. فقررت أن تسلّم ظروفها المنهارة للرب وبدأت تعتني بنفسها، واقتصدت في عطائها، وتعلمت أن تقول "لا" وغيّرت حياتها تماماً.

تستطيع المرأة الواثقة أن تقول "لا" عندما يتطلب الأمر ذلك، وتقدر أن تحتل عدم رضا الناس عليها، وتقدم أسباب عدم إرضائهم. وتخبرهم أنهم لو أرادوا أن تكون لهم علاقة بها فإن عليهم أن يسمحوا لها بحرية أخذ قراراتها بنفسها.

أحياناً يجب أن تقولي "لا" للآخرين وتقولي "نعم" لنفسك، وإلا امتلأت بمشاعر المرارة والغضب، وفي محاولتك أن تُسعدى الآخرين تخسرين نفسك!

تحاول النساء إرضاء الآخرين (خصوصاً أفراد الأسرة) أكثر مما يفعل الرجال، لكن يجب أن تقفي بقوة ضد ما يسبّب عدم الاتزان في هذا الأمر،

فإن قيمتك كبيرة، وعليك أن تفعلي ما تريدين أن تفعله لنفسك، كما تفعله لغيرك.

لست مُطالبةً عندما تقولين "لا" أن تقدّمي أسباباً لذلك، ولو أن كثيرين يحبون أن يبرروا قراراتهم. أحياناً أقول إنني أحاول أن أكون مُسترشدة بالروح القدس؛ وأحياناً أخرى أقول إنني لا أدري لماذا أجد نفسي غير مستريحة.. ولكنني تعلمت أن لا آخذ قراراً يُتعب ضميري لأرضي الناس، وأقول إنني لا أجد سلاماً داخلياً في هذا الفعل؛ أو إنني لا أرى صواباً في هذا؛ أو بصراحة أقول إنني لا أريد هذا.

لا مانع من أن تقدمي سبباً لرفضك إن كان عندك سبب، ولكنني أعتقد أنه لا يوجد ما يدعونا لشرح الأسباب لأن هذا قد يفتح علينا باب مشاكل. كما أن الشخص الذي يغضب لأننا قلنا له "لا" لن يرضى علينا مهما قدمنا له من أسباب، فاتبعي صوت قلبك، وعيشي في سلام، وقولي "لا" عندما يلزم ذلك، وقولي "نعم" وقتما يجب.

٧- اصرفي وقتاً مع من يعطونك حرية

يحاول كثيرون أن يشكّلونا على المثال الذي يريدونه، وقليلون هم الذين يشجعوننا أن نعيش حياتنا دون الخضوع لأسلوب تفكيرهم والتشبه بهم. ومن الأمور الكثيرة التي أعجبتني في زوجي أنه كان يعطيني حريتي ويريدني أن أكون أنا. فمثلاً أنا أحب أن أصرف وقتاً بمفردتي، فيجيء وقت أحب أن أكون فيه وحدي لساعات وأحياناً لأيام. وقتها لا يشعر زوجي أنني أرفضه، لكنه يرى أن هذا من طبيعتي.

كنت أقدم النصح لامرأة تشكو من أن زوجها لا يتركها بمفردها ولو لساعة واحدة، ويريدها أن تبقى بجواره كل الوقت، بينما هي تريد

فسحة من الوقت. ولما أخبرته بما تريده غضب وشعر بجرح لأنها ترفضه هو شخصياً. ولكن علينا أن نعطي الآخرين حرية اختيار الزمان والمكان.

زوجي وأنا نعمل معاً ونسافر معاً للخدمة، ونقضي مع بعضنا وقتاً أكبر بكثير مما يقضيه سائر الأزواج معاً، ولكن يجيء وقت يريد كل منا أن ينفرد بنفسه، فزوجي يحب لعب الجولف ويقضي ساعات في ذلك، كما يحب أن يشاهد لعبة كرة القدم، وهذا يعطيه حرية. أقول له أحياناً "لماذا لا تذهب للعب الجولف فتمنحني فرصة الجلوس وحدي؟" فيستجيب لطلبي.

وأنا أذهب سنوياً لأقضي وقتاً وحدي، أقيم فيه خدمتي وأقرأ وأصلي، وزوجي يفهم حاجتي هذه. وما أروع أن يكون الزوج أميناً هكذا، يشجعك أن تكوني على حريتك وأن تتمتعى بانفرادك واحتياجاتك الخاصة.. فلا يوجد من يحب أن يشعره أحد بأنه غريب الأطوار لمجرد أنه يريد أن يفعل شيئاً يبدو خارج عن المألوف.

فإن كنتِ تسيرين في الطريق الذي يطرقه كل الناس ويسيرون فيه كل الوقت، أنصحك أن تتجرئي وتسيرى في "طريقك الخاص"! يخاف البعض من التيهان، أما المرأة الواثقة فتتوقع اختباراً جديداً ربما يكون مذهلاً في روعته.

فإن كنا نطالب الآخرين أن يعطونا شيئاً من الحرية، فيجب أن نعطيهم نحن الحرية أولاً، فيكون شعارنا "عش ودع غيرك يعيش". مررتُ بوقتٍ كنتُ فيه ضيقة الأفق، أذكر فيه أنني أدتُ سيدة ورفضتها لأنها كانت متفردة في ملابسها، تلبس الطويل قبل أن تكون الملابس الطويلة موضحة.

لم تكن ثائرة على السلطة، لكن لم يكن أحدٌ يقدر أن يتنبأ بما ستلبسه أو ستفعله، فقد كانت مصممة أن تفعل ما يحلو لها.. كانت كالريح، لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب! وكنت وقتها أتضايق منها لأنني كنت أريد أن يتصرف الآخرون بطريقتي!

وعندما أعود بذاكرتي للوراء أرى أنني خسرتُ علاقةً عظيمة مع سيدة كان يمكن أن تنمّي الاستقلالية فيّ. لكنني، شأنى شأن الكثيرات، كنت أخاف أن أعيش بغير المألوف. وأنا سعيدة أن الله كشف لي أنه يريدنا أن نعيش حياة مذهلة عامرة بالتغيير والإبداع، فقد خلقنا بتفرد لنساعد بعضنا بعضاً.

”وَأَمَّا أَنْتُمْ (كمجموعة) فَجَسَدُ الْمَسِيحِ (كأفراد) وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا“
(١كورنثوس ١٢: ٢٧)

اصرفي وقتاً مع من يشجعونك أن تكوني مستقلة كفرد، وفتشي عن أصدقاء يعطونك حرية ويحترمون حدودك!

٨- راقبي الأطفال

طالبنا المسيح أن نكون كالأطفال إن كنا نتوقع أن ندخل ملكوت الله، وأعتقد أنه يطالبنا أن نراقب أطفالنا وكيف يتصرفون بحرية، فهم صادقون مع أنفسهم، ويضحكون كثيراً، ويغفرون، ويثقون على الأقل حتى يخدعهم العالم ويخيفهم. أذكر أن ابني دانيال عندما كان في الثالثة من عمره كان يمشي في السوق (المول) وهو ممسك بيد والده، ويقول للمحيطين به ”أنا داني ماير. هل تريد أن تتكلم معي؟“. كان واثقاً أن الجميع يريدون الحديث معه ليتعرفوا عليه.

أما حفيدي أوستن فكان دوماً شجاعاً وواثقاً، أذكر أنه كان معي

أثناء مؤتمر كنت أوقع فيه بإمضائي على كتبي، وتلقت صورتي مع الحاضرين، وذلك عندما كان في الخامسة من عمره. وبناءً على طلبه أعطيناه الفرصة ليرتل ترتيلة من المنبر. وفي اليوم التالي كنت أفعل في المؤتمر ما فعلته في اليوم السابق، وكان أمامي طابور طويل من طالبي توقيعي أو التقاط صورة معي. واختبأ أوستن وراء ستارة. فسألته أمه لماذا يختبئ؟ فأجاب "أنا أحاول أن أستريح من كل هؤلاء الناس". فسألته أمه "لماذا تظن أن كل هؤلاء الناس جاءوا؟" فقال "طبعاً جاءوا ليلتقطوا صورتي". كان لأوستن ثقة الأطفال، فحسب أن كل هذا الجمهور جاء ليراه.

يتخيل الطفل أشياء يتسلّى بها، ويعدّل نفسه بسرعة، ولا يضغط على طفل آخر ليتشبه به، وهو مستكشف لا يهدأ، ومذهولٌ من كل شيء.

في كتابه "أقصى ما عندي أقدمه لجلاله" كتب أوزوالد تشامبرز "الحرية التي ننالها بعد التقديس تشبه حرية الطفل الخالية من كل ما يقيدّها".

ومهما بلغنا من العمر، يجب أن نراقب طفلاً نقلّده ونحاكيه كما أمرنا المسيح (متى ١٨: ٣). نعم نكبر ونصبح مسؤولين، دون أن نحرم أنفسنا من التمتع بالحياة.

لا تسمحني للعالم أن يسرق ثقتك، ولا تنسي أن الله خلقك لهدف مقدس محدد متفرّد رائع، فامضي دون تردد وبغير خوف.

٩- حاربي بغير الركود

هل رأيت برّكة صغيرة موحلة وراكدة، لا تصب فيها مياه جارية؟ لو

لم تشرق الشمس عليها ستتولد فيها البكتريا، وتحول مياهها إلى اللون الأخضر، فلا تبقى فيها حياة.

يمكن أن تنزلق حياتنا إلى حالة الركود، ويمكن أن يتم هذا ببطءٍ فلا نحس به إلا بعد أن نجد رائحتنا وقد فاحت، وهو ما نسميه "أزمة منتصف العمر" فننوقف عن المجازفة، ونقوم بأعمالٍ مهيئة لا جدوة فيها. ونستقر في البركة فتتشكل حياتنا على صورتها، ونتصرف بما يرضي الناس، ونعيش الملل.

أعتقد أننا جميعاً معرضون للركود إن لم نحاربه. فمن الأسهل أن نترك أنفسنا للتيار يحملنا في نفس الاتجاه الذي يحمل فيه كل من حولنا. فما أقل عدد الذين يسبحون ضد التيار، فالأسهل أن نسبح مع التيار كما يفعل الكثيرون. وقد تعلمتُ أن هناك الكثير من الأشياء الهادفة التي يجب أن أقوم بها، دون أن أنتظر حتى أجد في نفسي الميل لأن أقوم بها. فأنا أقوم بواجباتي الحياتية لأنني أدرك كم هي هامة، وأنظر للناس لأباركهم، فقد علمني المسيح أن أحب الناس (أفسس ٥: ٢، ٢ يوحنا ٦). وبين أن وآخر أقوم بقليل من الأمور غير العادية حتى أتفادي ركود الحياة.. وأصرف يومياً وقتاً في الصلاة والشركة مع الله لأنني أريد أن أمجده وأعطيه حقه الكامل في حياتي ليكون هو أولاً في كل شيء.

أنا ألبس "بيجامة" مختلفة كل ليلة. البعض يلبس نفس البيجامة كل ليلة دون ملل، أما أنا فلبس نفس البيجامة كل ليلة يصيبني بالملل.. قومي عن قصد بكل ما يجعل حياتك متنوعة، لأنك إن فعلت هذا ستتغير نوعية حياتك إلى الأفضل. وأثناء وجودك على الأرض تمتعي بالحياة وأسعدي المحيطين بك ليفرحوا أنك موجودة معهم.

١٠ - كل شيء مستطاع عند الله

بدأنا هذا الفصل نناقش حاجتنا لتأكيد استقلاليتنا وتفردنا، وقلتُ إننا يجب أن نحيا حياة "الاستقلال المتّزن". وأعتقد أن الاتزان هو سر الحياة الناجحة. ويقول الوحي إن إبليس سيحاول ابتلاعنا إن كنا غير متّزنين (١ بطرس ٥: ٨) فعدم الاتزان يدمر الإنسان. لن تستطيع الأخصائية الرياضية أن تكمل عملها ما لم تصل إلى توازن وضع قدميها، وسيجد العالم صعوبة في تكميل تجاربه العلمية ما لم يحصل على توازن أدواته، والذين لا يحفظون توازن حساباتهم يعيشون في ديون مستمرة. فما أهمّ الاتزان! خلقنا الله كأفراد لنتحاج إلى بعضنا، ونحن نُحسّن الأداء عندما نعمل معاً، ونحصل على أفضل النتائج عندما نضم مواهبنا معاً. فلنضع اتكالنا على الله أولاً، ثم على بعضنا. على أن اتكالنا على غيرنا يجب أن يكون متزناً.

يقول الوحي إن يسوع لم يأت من الناس على نفسه لأنه كان يعرف طبيعة الجميع (يوحنا ٢: ٢٤) وهذا يعني أنه بالرغم من أنه كانت له علاقات بهم، وعاش بينهم، وكان يعتمد عليهم في بعض الأمور، إلا أنه لم يسمح لهذا الاعتماد أن يدمره لو أنه لم يستجب لرغباتهم. فهو يعرف أنهم بشر بالإثم صُوروا وبالخطية حبلت بهم أمهاتهم!

وجدت نفسي ذات يوم قلقةً أفكر في ما أفعله لو أن زوجي مات، فكيف أخدم وحدي؟ وبعد بضعة أيام من هذا التفكير المزعج كلم الرب قلبي وقال "لو أن زوجك مات فستستمرين قومين بنفس ما تقومين به الآن، لأنني أنا الذي يسندك ويرفعك، وليس زوجك". طبعاً أنا أحتاج لزوجي، وأعتمد عليه في الكثير، لكن الله وضع في قلبي منذ بدأنا الخدمة أنه بدون زوجي وبدون غيره سأقوم بالخدمة التي كلّفني بها

لأنه معي. وكلنا نحتاج إلى هذه الثقة. هناك أشياء وأشخاص مريحون وصالحون، لكن الله هو الوحيد الذي بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً. يقول الوحي إن إخوة يوسف كرهوه، لكن الرب منحه نعمة ونجاحاً حيثما ذهب (تكوين ٣٩: ٢١). فليس مهماً من يقف ضدك ما دام الله معك. لم يتدمر المسيح عندما خيَّب بطرس ويهوذا انتظاراته فيهما، فلم يكونا محل اعتماده. نعم، كان يعتمد عليهما ولا يعتمد عليهما في الوقت نفسه. أنا أعتد على كثيرين يساعدونني لأكمل ما دعاني الرب للقيام به، لكن كثيرين منهم يتركون العمل معنا وكنا نظن أنهم لن يفارقونا، ويحل محلهم أشخاص موهوبون. وسرعان ما تعلمنا ألا تزيد ثقتنا في أحد حتى لا نتعرض لقلق كثير إذا ترك العمل معنا. ونحن نتطلع إلى الله ليسد احتياجاتنا، لا للناس. نعم نحتاج للناس، لكننا نعلم أن الله هو العامل في هؤلاء الناس ليساعدونا. فلا نقلق إن شاء أن يغيّر الرب شخصاً من العاملين معنا.

عندما ذهبت الأم تريزا إلى الهند لتبدأ عملها المرسلي قيل لها إنها لن تنجح لأنها لا تملك المال وليس لها من يساعدها، فأجابت إن معها ثلاثة بنسات والرب، وهذا كل ما تحتاج إليه. ونحن نعلم العمل العظيم الذي قامت به في مساعدة الفقراء في الهند، فقد عمل الله بها عملاً مشهوداً لأنها قبلت أن تقف وحيدة إلى جانب الله وقد وضعت كل ثقتها فيه ليعمل بها وفيها بطريقة أخاذة. لقد كانت سيدة عظيمة تعرف كيف تتعامل مع الناس، ولكنها كانت تؤمن أنها تقدر أن تقوم بكل ما يريده الرب منها سواء مع الناس أو بدونهم.

هذا هو الاتجاه الفكري الذي نحتاج إليه. أنا أقدر البشر الذين وضعهم الله في طريقي، فزوجي وأولادي رائعون، والعاملون معنا في خدمتنا من

خيار الناس، وشركاء خدمتنا عطية من الله لنا، وإني محتاجة إليهم جميعاً. ولكن لو قرر الله أن يستبعد منهم أحداً فإني أود أن أكون المرأة الواثقة التي تعرف أنها تستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويها. وهذه ثقة لا يمكن وضعها في شخص أو شيء، لأنها توضع في الله وحده.

الجزء الثاني
الحياة بشجاعة
وبغير خوف

الفصل الحادي عشر

التركيب البنيوي للخوف

كلنا اختبرنا الخوف فهو ذلك الإحساس الغامض الذي يجعل معدتك تتقلص، فيأخذك الرعب على غير انتظار. وكلنا نخاف من شيء ما، فنحن بشر. في إحصائية وُجد أن ١٩ مليون شاب أمريكي، من عمر ١٨ سنة (أي ٨٥٧ من هذه الشريحة العمرية) يخافون من شيء محدد.

وهناك ١٥ مليون أمريكي عندهم مخاوف اجتماعية تجعل تواصلهم مع الآخرين صعباً.

هناك برامج تلفزيونية تتحدى مشاهديها أن يواجهوا مخاوفهم إلى أقصى حد، بأن يرقدوا في حمام سباحة مليء بالثعابين والسرّاطين، أو يقفزوا من طائرات الهليكوبتر، أو يأكلوا عناكب أو حشرات أخرى حية.

ولست أقصد أن أسلّي القارئ، ولا أعتقد أن الذين يشتركون في تلك البرامج التلفزيونية يتسلون، لكنهم ينتظرون أن يأخذوا جائزة البرنامج وقدرها ٥٠ ألف دولار. وهناك برامج تطلب أموراً مخيفة لا طاقة للمشارك بها فيغادر المكان.

وتجيب لحياتنا مخاوف نهرب منها أحياناً. فإذا أردنا أن نهزم الشك والخوف ونصبح نساءً واثقات فلنحاول أن نفهم التركيب البنيوي للخوف، وأوله أن الخوف ليس من عطايا الله، فهو لم يعطنا روح الخوف (٢تيموثاوس ١: ٧).

إن شئنا أن نهزم الشك،
وإن أردنا أن نكون
نساءً واثقات
فمن الضروري أن
نفهم طبيعة الخوف
وتركيبه البنيوي

الخوف له عذاب، ويمنع التقدم،
ويجعل المرأة التي يجب أن تكون
شجاعة تنكمش وتختبئ في خجل
وجبن. فالخوف لص يسرق ما يريد
الله أن يمنحه لنا. وعلينا أن نهتف
"لن أخاف" ولا نسمح للخوف أن
يسيطر علينا. فلنحاربه بكل جدية.

أعتقد أن الخوف من أهم أسلحة الشيطان. فكري في المشاكل التي
تواجهك، كم منها يعود للخوف؟ ستقولين إن الخوف كامن في معظمها.
قلقنا مصدره الخوف، ومحاولتنا أن نسيطر على الناس نابعة من
الخوف.

والتي تخاف من الفقر تصبح طماعاً وبخيلةً، والتي تخاف من عدم
وجود أصدقاء تمثل دور الصديقة الأمينة، فنحن ندخل في علاقات
خاطئة ومؤذية لأننا نخاف من الوحدة..

ولكنني أعتقد أننا نقدر أن نقهر الخوف إن صرفنا وقتاً فيه نحاول أن
نفهمه، فلا نعطيه أكثر من قدره.. ولو سلمنا قلوبنا للمسيح لن يكون له
مكان في حياتنا.

سمعت قصة عن قرية كان كل الآباء والأمهات يحذرون أبناءهم
قائلين: "مهما حدث، احذروا أن تصعدوا إلى قمة هذا الجبل لأنه هناك
يعيش وحشٌ مخيف". وذات يوم قرر بعض الشباب الشجعان في القرية
أن يتسلقوا إلى قمة الجبل ليروا الوحش الغريب الشكل الذي يخافونه،
ليعرفوا كيف يهزمونه. فأخذوا أطعمة تكفي للرحلة. وفي منتصف
الطريق إلى القمة سمعوا زئيراً مخيفاً، فهرب نصف عدد الرجال عائدين

إلى القرية وهم يصرخون، ولو أن النصف الآخر استمروا يصعدون الجبل. وبالقرب من القمة وجدوا أن الوحش أصغر مما كانوا يتصوِّرون ولو أن زئيره استمر عالياً ومخيفاً، فأسرعوا عائدين إلى القرية ما عدا رجل واحد قال في نفسه "سأقتل الوحش" وكلما اقترب الرجل كلما انكمش حجم الوحش، فاقترَب أكثر منه فوجد أنه يستطيع أن يضع ما ظنوه وحشاً في كفه، ففعل. ثم سأله "من تكون؟" فأجاب "أنا أدعى الخوف".

تعطي هذه القصة تصوّراً دقيقاً للطريقة التي يعمل بها الخوف، فهو يبدو وحشاً مربعاً، إلى أن تبدأ مواجهته. وكلما واجهته أكثر يصغر. فإذا تبعت خطة الله في الانتصار على الخوف ستكتشفين أنه لا وجود لِمَا أخافك. فإذا زأر في وجهك وأجبتَه بهدوء سيصمت تماماً.

قال فرنكلن روزفلت إن الشيء الوحيد الذي يجب أن نخافه هو الخوف نفسه. لأنه لو سمحنا له أن يخيفنا سيسيطر علينا. أما إن واجهناه فسنسيطر نحن عليه.

وقدّم الكاتب "فريزر كنت" قائمة بأشياء يخاف بعض الناس منها خوفاً مرصياً، ضمّنها في كتاب عنوانه "من لا شيء إلى الخوف" ذكر فيه مخاوف من أشياء كثيرة وغريبة، فهناك من يخافون الصَّلع والأصلع، ومن التيارات الهوائية، ومن اللون الأرجواني، ومن أصحاب الشعور الطويلة، ومن أشياء على جانب الجسم الأيمن أو الأيسر، ومن المعاني الغامضة، ومن الجلوس، ومن القيام والسير، ومن الأسنان، ومن الكتابة أمام الناس، والخوف من الخوف نفسه.

ونرى في هذه المخاوف المتنوعة وغيرها غرابة ولا معقولية، ولكنها صحيحة ومرعبة لمن يعانون منها، بل إن مخاوف بعض الناس فريدة

حتى أنهم يخجلون أن يذكروها، مع أن أفضل طريقة للانتصار على شيء ما أن تكشف عنه.

لا تترددي في أن تواجهي

في أبريل ٢٠٠٥ سمع أمريكيون كثيرون قصة العروس "جنفر ولبانكس" من مدينة دولوث بولاية جورجيا، والبالغة ٣٢ سنة التي اختفت قبل حفل زفافها بأيام، وكان قد دُعي ٦٠٠ شخصاً لحضوره. وكانت عائلتها وخطيبها متأكدين أنها اختُطفَت، وأذاعوا نداءات طالبين عودتها سالمة. وصار اختفاؤها موضوعاً هاماً في وسائل الإعلام.

وعندما عادت حية وسليمة انقلب الفرح على عودتها إلى غضب، فهي لم تُختطف، لكنها هربت بسبب مخاوف مختلفة عندها من الزواج.

وربما يقول بعضنا "كان يجب أن تصارح خطيبها بدلاً من هروبها، أو كانت تطلب نصيحة راعي كنيسة أو أحد أقاربها..

ولكن كم عدد من يواجهون مخاوفهم بسهولة؟ أليس الأسهل أن نتجاهل أمراً ولا نواجهه؟ الأغلب أنك لم تهربي خوفاً كما فعلت جنفر، لكنك تجاهلت أموراً أخرى ولم تواجهيها، بينما تنظرين خلفك خوفاً من أن تلحق هذه الأمور بك.

ويجد كثيرون أن المواجهة صعبة جداً، ولكننا يجب أن نمارسها حتى لا نسمح للناس والأشياء أن يتحكموا في حياتنا، فإن ما نجري أو نخبتئ من الخوف منه سوف يسيطر علينا في النهاية.

فعلينا أن نُخرج للنور كل ما نخبئه في الظلام فننتخلص منه.. ادخلي غرفة مظلمة ثم أضئ النور: ماذا يحدث؟ تختفي الظلمة! هكذا يعمل

الله وكلمته في حياتنا. فعندما نطيع ما تأمرنا كلمة الله به تختفي المخاوف التي تعذبنا وتنتهي سيطرتها علينا.

تأمرنا كلمة الله بوضوح أن لا نخاف: "لَا تَخَفْ لِأَنِّي مَعَكَ. لَا تَلَفَّتْ لِأَنِّي إِلَهُكَ" (إشعياء ٤١: ١٠). إنه لا يقول إننا لن نخاف أبداً، لكنه يأمرنا ألا ندع الخوف يسيطر علينا ويسرق ما يريد الله أن يمنحه لنا.

يمثل الخوف دور وحش ضخم يريد أن يبتلعنا، وهو يفعل هذا لأنه مخادع. فلو عرفت خداعه تنتصرين عليه. ويحب الشيطان أن يخيفنا فلا نواجه المواقف الصعبة لأنه يعلم أن المواجهة تضعيُّ قوته.. فكري معي في أجيال القرويين الذين ذكرتهم أعلاه وهم يقضون عمرهم كله في رعب من وحش يمكن أن يحتويه واحد منهم في كفه، لأنه امتلك شجاعة كافية جعلته لا يجري هارباً، بينما قيّد الرعب الأغلبية وأسرهم! ومع أن الوحش كان كذبة إلا أنه صار حقيقة لمن صدّقه. فلا تصدقي أكاذيب الشيطان.

كم أتمنى أن تكون معي عصا سحرية أو صلاة فعالة تنهي خوفي إلى الأبد. ولكن المؤسف أنه لا وجود لهذا، فالصلاة تمنحنا قوة لنقف

صامدين في وجه الخوف. ولنصل إلى الشجاعة التي يريدها الله لنا يجب أن نبدأ من حيث نحن.

فلكي تركزني ثلاثة أميال يجب أن تبدئي الركض بأول الميل الأول!.. يريدها الله أن نشد عضلات إيماننا ونخطو في مواجهة الخوف قائلين "لن أسمح لك أن تسود على حياتي".

عندما نقوم

بواجبنا مصلين

ونحن نشد عضلات إيماننا

نخطو خطوات الثقة

يقوم الله بدوره

فيجعل المستحيل ممكناً

وعندما نعرف كيف نصلي طالبين النصر على المخاوف الصغيرة يساعدنا الله للتعامل مع المخاوف الكبيرة أيضاً.

لا تسمح لي للخوف أن يشل حركتك. قالت حنة هرنارد (مؤلفة كتاب "أرجل أيائل على المرتفعات").

إن الخوف مرة شلَّ حركتها إلى أن سمعت عظة عن "خيال المقاتة" (يخيف الطيور في المزرعة والحديقة) فتحوَّل خوفها إلى إيمان، إذ قال الواعظ "يعرف الطائر الحكيم أن خيال المقاتة مجرد إعلان يقول إن الفاكهة الناضجة اللذيذة موجودة في الحديقة جاهزة للقطف. وفي كل حديقة يوجد خيال مقاتة..

فإن كنت حكيمةً سأفهم أن خيال المقاتة دعوة لأجني ثمرًا؟ فكل جبار أصادفه يريد أن يقنعني أنني مجرد جرادة لا يزيد عن كونه خيال مقاتة يريد أن يحرمني من بركات الرب.

أما الإيمان فهو الطائر الذي يحب أن يقف فوق خيال المقاتة. إن كل مخاوفنا لا أساس لها".

شركاء مع الرب

هل اشتركت مع صديقة لك لتجهزا وجبة عشاء لعائلتيكما، أو لعائلة أخرى محتاجة؟ ربما قامت صديقتك بتجهيز الطبق الرئيسي وأكملت أنت الباقي، لكن لا بد أنكما اتفقتما معاً على "من يجهز ماذا".

هكذا في الحياة، يجب أن ندرك أن الله هو شريكنا، يقوم بأمور ونقوم نحن بأمور أخرى فعندما نقوم بواجبنا مصليين نشد عضلاتنا الروحية ونخطو خطوات الثقة، يقوم الله بدوره ويجعل المستحيل ممكناً.

ربما احتفظت بالكثير من الخوف منذ زمن، واليوم لا تعرفين كيف تتخلصين منه. وأنا أعدك أنك حين تواجهين الخوف سيصغر ويصغر، حتى يفقد سلطانه عليك.

أنا أكره الخوف وما يفعله في البشر. إنه يجعلنا نتراجع ونسحب، فتتآكل شجاعتنا وثقتنا بأنفسنا تاركاً إيانا كهيكل عظمي.. لكن لا يجب أن تكون الأمور هكذا. لقد اختبرت الكثير من الخوف في حياتي وأعرف أن التخلص منه يحتاج إلى شجاعة كبيرة، ولما كنتُ قادرة على التخلص منه تقدرين أنت أيضاً. قال رجل حكيم "ليست نقص الخوف شجاعة، بل الشجاعة أن تكوني قادرة على مواجهته". ليست مواعيد الله قاصرة على البعض، لكنها للجميع. فإن كان الله قادراً أن يساعد أي شخص، فهو قادر أن يساعدك لتواجهي مخاوفك، فامتلئي بالأمل أن لك فرصة كبيرة أن تعيشي حياة شجاعة مكافحة، بدون خوف ولا شك.

كانت أستير من سيدات العهد القديم الواثقات، فأنقذت شعبها من هلاك كان يخطط له الشرير هامان. ومع أن جمالها لم يضرها إلا أن شخصيتها الواثقة ساعدتها لتجد نعمة في عيني الملك أحشويروش، فقد جرّوت أن تذهب إلى جناحه دون دعوة منه، وأكرم الله صلواتها وصلوات شعبها فنجى شعبها.

الثقة هي إيمان قوي يتمسك بالرب متأكداً وفاهماً أننا نستطيع كل شيء. أما الخوف فيُنقص ثقتك في الرب وفي نفسك، ويجعلك تشعرين أنك عاجزة. وأنت كأنتي، إن كنت واثقة، تقدرين أن تقومي بأشياء مذهلة. فاتركي الخوف وتمسكي بالثقة، وانظري ما سيفعله الله بك.

لا أظن أن هناك من يحب المواجهة أو يتطلع إليها، وليست المواجهة

من الأمور ذات الأولوية عندي، وقليلون هم الذين يحبون أن يثقبوا قاربهم ليحاربوا الأمواج المتدفقة. لكن قد تضطرين لهذا لتعيشي حياة حرة لا قيود فيها.

افعلها بخوف

هناك سيدة سأطلق عليها اسم "جوي" عاشت كل حياتها في خوف. فبسبب الخوف لم تقدُ سيارة، ولم تخرج ليلاً، وكانت تخاف من مقابلة الناس، ومن الأشياء الجديدة، ومن الطائرات، ومن الفشل، ومما لا تتخيلينه. ومع أن اسمها "جوي" (أي فرح) إلا أن المخاوف عذبتُها وحرمتها من كل فرح.

ومع أنها كانت تتوق لحياة واثقة شجاعة إلا أنها لم تحقق شيئاً من هذا بسبب خوفها الطاعي المستمر.

كانت جوي مؤمنة. وذات يوم شاركت صديقتها المؤمنة دبورة في مخاوفها (كما فعلت كثيراً من قبل). ولكن دبورة صدمتها هذه المرة إذ تطلعت في عينيها وقالت بقوة "لماذا لا تفعلينها بخوف؟". وكانت هذه النصيحة بداية حياة جديدة لجوي، لأنها يومها رأت الخوف على حقيقته..

لم يكن الخوف سيفارق جوي بين يوم وليلة، فقد عاصرها منذ نشأتها وكانت جذوره ضاربة وممتدة في فكرها، فكان عليها أن تهزم خوفها بأن تتقدم وتقوم بما تشاء حتى لو كانت تشعر بالخوف.

الخوف يجعلنا نهرب، لكن المواجهة تعني التصادم. قد تواجهين نفسك لأنك خائفة من النجاح أو من الفشل..

وقد تواجهين شخصاً آخر، قد يكون أباك أو زوجك أو ابنك. وقد اقترح دافيد أوجسبرجر في كتابه "اهتمام كافي للمواجهة" عبارات تعبر عن أفكارك، وفي الوقت نفسه تُظهر اهتمامك بالآخر:

اهتمام

مواجهة

علاقتنا تهمّني	أفكر بعمق في موضوع المناقشة
أريد أن أسمع وجهة نظرك	أريد أن أوضح وجهة نظري
أريد أن أحترم ما تراه	أطلب أن تحترم وجهة نظري
أثق أنك ستقبل مشاعري بأمانة	أرجو أن تثق فيّ بمشاعرك الأمانة
أعد أن أستمّر في المناقشة حتى نصل إلى تفاهم	أرجو أن تستمر في العمل معي حتى نصل إلى فهم جديد
لن أذع أو أضغط أو أسيطر أو أشوّه الخلافات التي بيننا	أطلب معرفة وجهة نظرك بأمانة في ما نختلف فيه
أعبرك عن احترامي المحب الأمين	عرّفني ردّ فعلك الذي تواجهني به وأنت مهتم

ثبّتي نظرك عليه

كان مستكشfan يسيران في غابة عندما فوجئاً بأسد أمامهما، فقال أولهما لزميله "اهدأ، واذكر ما درسناه في الكتب عن مثل هذا الموقف: قف بهدوء وثبّت نظرك على عيني الأسد فيستدير ويمضي في سبيله" فأجاب صديقه "لقد قرأت أنت وأنا الكتاب، لكن هل قرأه الأسد؟".

فعندما نتخذ قراراً سواء بمواجهة الأمر أو الهروب، فإن أفكاراً كثيرة تدور في رؤوسنا في تلك اللحظة، فإننا نحسب مقدار المخاطرة بسلامتنا وسلامة الآخر؛ أو: إننا لا نريد أن نضيع وقتاً لنعالج الأمر ولكن تذكري، إذا قررت في أي وقت أن تجري هرباً من الأمر، فسوف تستمري في الجري طوال حياتك.

عندما أخطأ آدم وحواء في الجنة حاولا أن يهربا من محضر الرب، وحاولا أن يسترا عريهما بأوراق التين. ولم ينفعهما ما فعلاه (كما لا ينفعنا نحن). وتدخلُ الله بخُطة الفداء.

لم يقصد الرب أبداً أن
نهرب من أعدائنا،
لكن خطته كانت
ولا تزال أن نواجه
كل مشاكل الحياة
لأنه معنا

تأملي رسالة أفسس أصحاب ٦ لتري السلاح الذي يدبره الله لنا، فهو يريدنا أن نثبت ونمنطق أنفسنا بالحق، ونكتسي بدرع البر، ونبس حذاء إنجيل السلام،

وترس الإيمان، وخوذة الخلاص، وسيف الروح. هل هناك سلاح ناقص؟ نعم! لا شيء يحمي الظهر، فإن الرب لم يقصد أبداً أن نهرب من أعدائنا، لكن خطته كانت ولا تزال أن نواجه كل مشاكل الحياة لأنه معنا. لكن البشر بارعون في الهروب من المشاكل، وهم يخدعون أنفسهم بالتظاهر وتمثيل أنهم يعيشون حياة منتصرة. ولكن قد جاء الوقت الذي نواجه فيه الخوف.

كانت خطته ولا تزال

حضرت سيدة أحد مؤتمراتي وقالت إن هذه هي المرة الأولى التي تغادر فيها بيتها منذ ٣٥ عاماً. وبعد إجراء حديث معها ذهبنا أكثر من

المعلومات التي عرفناها عنها، فقد أُسيء إليها في طفولتها. وبعد زواجها وإنجابها الأطفال قررت ألا تخرج من بيتها حتى لا تتعرض لمزيد من الأذى والإساءات. وكانت تلجأ إلى أساليب مختلفة (مثل التليفون) لشراء ما يحتاجه بيتها، وقد سهّل الإنترنت عليها شراء ما تريد وهي في بيتها. وعندما بدأت تسمع عظامي عن كيف أساء أبي إليّ جنسياً، قررت أن تخرج من بيتها، لأنه إن كنتُ أنا قدرتُ أن أخرج وأكلم الآلاف عن قصة إيدائي، فبوسعها أن تخرج هي أيضاً، على الأقل من بيتها، وكانت هذه أول خطوة لمواجهة مخاوفها، وهي خطوة لا بد منها قبل أن تخطو الخطوة الثانية. وأرجو أن تحفزك قصتها لتبديي رحلة تحررك من الخوف واختبار الحياة الواثقة التي تشاقين إليها.

لقد تغيرت حياتي عندما عرفت أن الخوف هو الهروب، وأنه حتى لو كنت أرتجف خوفاً فلن أجبن، بل سأستمر سائرة للأمام أقوم بما يريد الخوف أن يمنعني من القيام به.

عندما تفعلين ما تخافين منه تكونين قد بدأتِ الطريق لتطوير ثقتك، واختبار نجاح بعد نجاح. قال هنري فورد "من أعظم الاكتشافات التي يحققها الإنسان، ومن أعظم ما يُدهشه أن يجد نفسه وقد استطاع أن يفعل ما كان يخاف من عجزه عن عمله".

اختبرت زوجي نموذجاً مضحكاً لما يجعلنا الخوف أن نهرب ونختبئ منه. عندنا كلبة مالطية اسمها "الدوقة" وزنها سبعة أرطال بيضاء الشعر ومجعدته، لم تكن تحب الاستحمام منذ وُلدت. وعندما كانت تحس أن يوم الاستحمام قد جاء كانت تجري وتختبئ. ولكن لما كبرت قلّ خوفها. وذات صيف عرض علينا صديق أن نقضي أياماً في "الشاليه" الخاص به.

ورأتني "الدوقة" أجهز الشامبو الخاص باستحمامها فاختبأت. وأفلحتُ في الوصول إلى مخبئها فوجدتها ترتعش خوفاً. ولم أعرف سبب ارتعاشها لأنها كانت قد تعودت الاستحمام، ولكنني أدركت أن وجودها في مكان جديد أعاد لها مخاوفها القديمة.

حتى الحيوانات تخاف وتهرب وتختبئ، فإن الغرائز تحكم تصرفاتهم. ونشكر الله لأننا نقدر أن نتخذ خطوات حكيمة حسبما تعلمنا كلمة الله، فننخذ الاختيارات الصحيحة وعدم الخوف بمعونة الروح القدس.

هل هناك شخص محصن ضد الخوف؟

هل هناك أشخاص ملعونون بالخوف، وآخرون مباركون بالشجاعة؟ نعرف أننا مولودون بأمزجة مختلفة لا نختارها نحن، بل يختارها الله لنا ليساعدنا على تحقيق قصدنا من الحياة. البعض بطبيعتهم عدائيون أو شجعان أو مقدمون أكثر من غيرهم، ولكنني أعتقد أنه لا يوجد شخص محصن تماماً ضد الخوف، فإن أكثر الناس شجاعة يخاف من بعض الأشياء.

ويقدر البعض أن يخفوا مخاوفهم حتى عن أنفسهم! لكن الشيطان يهاجمنا كلنا بالمخاوف التي نقدر أن نتغلب عليها. ولو لم يكن هذا ممكناً ما أمرنا الوحي قائلاً "لا تخافوا".

وأعتقد أننا جميعاً لدينا شجاعة في مواقف، ومخاوف في مواقف أخرى، فالمخاوف كالبندول تتحرك من جانب لآخر. عندنا كلنا شيء من الخوف وشيء من الشجاعة.. هناك سيدة اسمها تريزا خجولة قليلة الكلام ومنطوية، تخاف أن تتكلم وسط الجمهور، ولكنها كانت شجاعة

في مواجهة الألم والمصائب، فقد أصابها السرطان وعمرها ٣٢ سنة فاحتملت الألم والعلاج الكيماوي، وأسقطت ثلاث مرات قبل أن يولد طفلها الأول حياً، فاحتملت هذه كلها بنعمة وشجاعة وقليل من التذمر. وكان لتريزا صديقة اسمها إيفون تبدو شجاعة ضحوة تكون صداقات بسرعة، كانت قائدة تكلم الجمهور بغير تهيب ويحترمها الجميع. وكانت تبدو للجميع أنها لا تخاف شيئاً. وقد عانت إيفون كما عانت تريزا، فبعد عمل ٢٠ سنة في مؤسسة كوّنت رصيماً لتقاعدتها، ولكن حدث اختلاس في أموال التقاعد ضيّع كل رصيد إيفون وغيرها. وفجأة وجدت إيفون نفسها بلا وظيفة، فلم تحتمل هذا كله، وكان تدمرها مثار اندهاش أصدقائها وزملائها الذين تعودوا رؤيتها على القمة، فإذا بالخوف على مستقبلها وضماتها المالي يشلّها!

أنا شجاعة أقدر أن أخاطب آلاف الناس لساعات متواصلة، ولا أخاف الشفافية والحديث عن تفاصيل حياتي الشخصية التي يتردد غيري في طرّقها. ولكني أرهب وأصرخ لو ركبت عَجَلَةً دوارة في مدينة الملاهي!.. وأثناء سفرنا يأكل زوجي كل أنواع الأطعمة، حتى التي لم يتذوقها من قبل، بينما أطلب أنا ما تعودت على أكله فقط، لأنني أخاف ألا يعجبني الجديد ويفسد الوجبة الشهية التي أعرفها!..

قصت أن أقول إنه لا يوجد شخص محصن ضد كل خوف، فكلنا نخاف ولو أن البعض يقدر أن يخفوا مخاوفهم.

لسنا وحدنا في محاربة الخوف، ولكن إبليس يريد أن يقنعنا أن فيك وفي عيب الخوف، غير الموجود في غيرنا، فلا تصدقيه. إن البشر جميعاً يخافون.

كان الجنرال جورج باتون شجاعاً جداً لكنه كان يقول أحياناً إنه خائف، ولو أنه لم يلق لهذا بالاً. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية كان باتون في صقلية عندما امتدحه الحاكم على شجاعته، فكان رده "يا سيدي، لست شجاعاً. بل الحقيقة أنني جبان، لم يحدث أن كنت في أرض موقعة أسمع انفجارات القنابل من حولي إلا وخفت وسال العرق من كفي". وعندما صدرت سيرته الشخصية في كتاب ورد فيه قوله "تعلمت منذ نعومة أظفاري ألا أجعل مخاوفي تنصحني!".

يдахمنا روح الخوف في أوقات كنا لا نحب أن يهاجمنا أثناءها، لأننا وقتها كنا نحب أن نظهر شجعاناً، فمن منا يريد أن يواجه الخوف؟ من الأسهل أن نهرب منه أو نختبئ أو نرجئ، ونرجو ونصلي أن يفارقنا، لكنه سيتبعنا إن لم نواجهه. فإن لم يكن من الجري بد، فلنجر نحوه لا منه!

تنوع! تنوع! تنوع!

هناك أنواع غريبة ومذهلة من المخاوف عند الناس، فهم يخافون من كل شيء: من التراب ومن الموت! وسأذكر بعض أنواع المخاوف التي ساعدت البعض أن يتغلبوا عليها، وسأذكر البعض الآخر الذي سمعت عنه: الخوف من الوحدة، والرفض، والهجران، والاستغلال، والصدقة الحميمة، والولادة، والأماكن المرتفعة، والماء، والنحل، والكلاب، والقطة، وحيوانات أخرى، والقوارض. ويخاف البعض من الأمراض فيخيل لهم أنهم أصيبوا بأحدها، أو يخافون من الفقر، ومن النجاح. ومن النساء من يخفن من موت أزواجهن أو هجرهن أو تركهن بغير مال، والبعض يرتعب خوفاً على المظهر الخارجي، وآخرون يخافون الغرق

والجراثيم والمصاعد، والجماهير، والطيران، والحريق. وأعرف رجلاً لم يشعل عود كبريت واحد خوفاً من النار. والبعض لا علاقات لهم لأنهم يخافون من الحميمية.

ويمكن أن أستمر في تعداد أنواع المخاوف، ولكنني أعتقد أن الدرس الذي أريده مفهوم. وقد تخافين شيئاً تخجلين من أن تذكره لأحد. أوكد لك أن هناك من عنده خوف أشد غرابة من خوفك. لكن لماذا تختلف مخاوف الناس؟ قد يخاف أحدهم الزلازل لأنه من إندونيسيا، بينما يخاف غيره من الأعاصير لأنه من دولة الإمارات. وقد يخاف أحد من النشالين لأنه يسكن مدينة بينما لا يخاف القروي منهم! كيف يحب أحدهم الكلاب بينما يخاف آخر منهم؟

نحن نعرف سبب بعض المخاوف، لكن ليس كلها. ولا يوجد داعٍ لبحث الأسباب ما دمنا نعزم أن نواجه ما يخيفنا ولا نسمح له أن يسيطر علينا. البعض يقضي عمره يفكر في سبب مشكلته لكنه لا يفكر في الانتصار عليها.

لكن الله يريد أن ينصرنا على خوفنا الذي يشلنا إن اتجهنا إليه نطلب العون. فواجهي مخاوفك اليوم، واطلبي من الله العون لتتغلب عليها، فبالنعمة السماوية وحدها ننتصر على ما يخيفنا.

مِمَّ خَافَ؟

في إحصائية قام بها "جالوب" عام ٢٠٠٥ كشفت مخاوف المراهقين الأمريكيين، احتوت على الآتي:

- | | |
|---------------------|---------------------|
| ١- هجمات الإرهابيين | ٦- الأماكن المرتفعة |
| ٢- العناكب | ٧- الجريمة- العنف |
| ٣- الموت | ٨- الوحدة |
| ٤- الفشل | ٩- المستقبل |
| ٥- الحرب | ١٠- الحرب النووية |

الفصل الثاني عشر للخوف أقارب!

عندما تسمحين لروح الخوف أن يسيطر على حياتك تفتحين الباب لأرواح أخرى تريد أن تشل حركتك فلا تتقدمين في ثقة. إن للخوف أقارب منها الفزع والقلق. فالخوف هو الأب، بينما الفزع والقلق من الأبناء! ويعلمنا الوحي أن أولاد الله لا يجب أن يقلقوا، فإن القلق يجعلنا ندور وندور حول المشكلة دون أن نجد لها حلاً. وكلما دُرنا شعرنا بالقلق أكثر. وعندما نقلق نعذب أنفسنا بالتفكير الخالي من الثمر. يبدأ القلق في أفكارنا ثم يؤثر في أمزجتنا، وربما في أجسادنا.

ولا ينتظر القلق حتى تكبر، فقد أظهرت إحصائية أن أكثر من نصف البريطانيات اللواتي في عمر المراهقة قلقات على مظهرهن، وأن ثلثهن قلقات على تحصيلهن الدراسي، وأن ٤٠٪ منهن قلقات على عائلاتهن. ولا غرابة أن ٨٠٪ من قلقهن المزمّن يعود إلى صورتهم المتدنية في نظر أنفسهن، فقد التهم الخوف والشك ثقتهم، بعد أن تنكر في زي القلق.

قد يقلق الإنسان حتى يحزن ويكتئب، فيضع القلق ضغوطاً على كل تركيب الجسم فيمرض بالصداع وتوتر العضلات ومشاكل المعدة، وأمراض أخرى. ولا يعطي القلق للإنسان أي شيء صالح، فهو لا يساعد في شيء، ولا يحل مشكلة.

تفتح الصلاة الباب لله ليأتي لمعونتنا

أوصانا المسيح ألا نقلق على الغد فإن لكل يوم ما يكفيه من مشاكل (متى ٦: ٣٤). فمحاولة حل مشاكل الغد في يومنا تسلب منا قوة الله التي سبق فأعدّها لنا لنتمتع بها في يومنا، فلا تضيّع وقتك في القلق لأن هذا باطل لا نفع فيه. لا تكوني مثل لاعب المزمارة الذي قال لمدرّبه إنه لم يقدر أن يصل إلى ارتفاع E flat فابتسم المدرب وقال له "لا تقلق، فلا يوجد E flat في عزفنا الليلة. وتشبه كثير من مشكلاتنا المشكلة التي انزعج لها لاعب المزمارة هذا، فهي مبنية على باطل لا وجود له.

"فَتَوَاضَعُوا تَحْتَ يَدِ اللَّهِ الْقَوِيَّةِ لِكَيْ يَرْفَعَكُمْ فِي حِينِهِ. مُؤَقِنَ كُلِّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ" (١ بطرس ٥: ٦، ٧). فقولي للرب "أعرف أنني عاجزة عن حل مشاكلي بنفسي، فأعتمد عليك، واثقة أنك ستعتني بي وتعطيني الحلول لمشاكل موقفي الحاضر".

إن بدأت بالصلاة سيمكنك أن تكوني المرأة الواثقة التي تزيل الفزع والقلق من حياتها، فالصلاة تفتح الباب لله ليأتي لمعونتنا. قال الرسول بولس إنه لا يقلق لأنه في كل شيء يصلي ويختبر سلام الله (فيلبي

٤: ٦، ٧). لم يقل "في بعض الأشياء" بل قال "في كل شيء". فيجب أن تحتل الصلاة مكان القلق في حياتنا.

يمكننا أن نقلق على مئات الأمور المختلفة: مثل "ماذا يظن الناس فينا؟" و"ماذا سيحدث لنا عندما نشيخ؟" و"كم سيطول العمر بنا؟" و"من سيعتني بنا عندما نشيخ ونعجز عن العناية بأنفسنا؟" و"ماذا نفعل إن انهارت البورصة؟" و"ماذا يحدث لو ارتفع سعر البنزين؟" و"ماذا أفعل لو ضاعت وظيفتي؟" ..

وكثيراً ما يكون القلق بلا سبب ولا مبرر فلا نعرف لماذا تحتل مثل هذه الأمور عقولنا وترعبنا، بل إن القلق يصبح عادة سيئة نمارسها حتى لو لم تكن عندنا مشاكل، فننقلق على الآخرين وعلى مشاكلهم.

والعلاج الناجع الفعّال للقلق هو وضع ثقتنا في الرب الذي رسم خطوط مستقبلنا، والذي يعرف إجابة كل سؤال، والذي تعدنا كلمته أنه سيعتني بنا إن اتكلنا عليه.

قال أحدهم "القلق هو فوائد الدِّين التي ندفعها على مشاكل قبل أن يجيء وقت دفعها".

فالقلق يجعلنا نتوقّع مشاكل قادمة قبل أن تجيء، فتجفّ ينابيع القوة الإلهية الممنوحة لنا لمواجهة هذه المشاكل، ونعجز عن إنجاز الكثير من مسؤولياتنا. فالقلق إسراف وتبديد للطاقة الروحية، وهو يضع نهاية للإيمان، كما أن الإيمان يضع نهاية له.

لا تقلقي على يوم رديء قادم، لأنك لو كنت تعلمين هذا ستستعدين له مسبقاً.

وتعلمين أن يوماً رديئاً قادمٌ عليك عندما:

- تقع كعكة عيد ميلادك من ثقل الشموع الموضوعة فوقها
- تنسى أختك التوأم تاريخ ميلادك
- تطلبين سيارة الإسعاف فيضعون طلبك في قوائم الانتظار
- يتوقف العصفور المغرد وراء نافذتك عن التغريد
- تستيقظين فلا تجدين مشابك شعرك
- تضعين عدستيك اللاصقتين في عين واحدة
- يقول لك زوجك "صباح الخير يا جوذي" ولكن اسمك سالي

عندما أمرنا المسيح ألا نقلق على الغد قصد أن ننشغل بيوم واحد، فهو يعطينا القوة التي نحتاج إليها عندما نحتاج إليها. فإن استخدمنا القوة الممنوحة لنا وقت القلق بدل أن نستخدمها في عمل شيء نافع فإننا نحرم أنفسنا من بركات الرب اليومية، ولا نحصل على الأشياء الصالحة، لأننا نقلق على الأشياء الرديئة التي قد لا تجيء!

كانت سيدة تشكو لعدة سنوات من مشاكل النوم ليلاً لأنها كانت تخاف من لصوص المنازل. وذات ليلة سمع زوجها ضجيجاً في البيت فقام ليستطلع الأمر، فوجد لصاً، قال له "مساء الخير يا عزيزي اللص! أنا سعيد برؤياك. تعال تعرّف على زوجتي لأنها كانت تنتظر مجيئك منذ عشر سنوات".

في الحياة مشاكل لا بد أن تمرّ بها لأنك تعيشين على كوكب الأرض. فلماذا تعولين همّ مشاكل الغد التي قد لا تجيء أبداً، وإن جاءت لا تقدرين أن تمنعيها؟ لن ينجيك القلق من مشاكلك، لكنه سيجعلك عاجزة عن مواجهتها عندما تجيء.

الله لنا ملجأ وقوة (مزمور ٤٦: ١). وعندما تقلقين تكونين بلا ملجأ ولا قوة. فهل تقلقين على ما سيحدث، أو على ما ربما لا يحدث؟ هناك مثل أسكتلندي يقول "الذي ربما سيكون، ربما لا يكون".

المرأة الواثقة لا تقلق لأنها ترى المستقبل بطريقة مختلفة عما تراه المرأة القلقة، فالواثقة تؤمن أنها بمعونة الله تقدر أن تعمل ما تريد عمله. وهي إيجابية التفكير تتوقع حدوث أمور صالحة في المستقبل، فالثقة إحدى ثمرات الإيمان بالله. وعندما نثق في الرب قد لا يعطينا كل الإجابات، ولكننا نثق أنه سيفعل.

لا تقلقي على الأخطاء الماضية

لا توجد فائدة في القلق على ما مضى وانتهى. لكن إن كنتِ قد ارتكبت خطأً في الماضي يمكن إصلاحه فقومي باللازم لإصلاحه. أما إن كان لا سبيل لإصلاحه فاطلبي غفران الله وغفران من أخطأت في حقه، ثم انسي الموضوع، لأن القلق لا فائدة فيه. فلماذا تقلقين؟ لقد أعطانا الله حكمة، والمرأة الحكيمة لا تضيع وقتها في شيء لا فائدة فيه.

يعلمنا الوحي أن ننسى الماضي ونتطلع لله وللمستقبل (فيلبي ٣: ١٣). وتمتلئ نفوسنا بالسلام عندما نتأمل كل صباح مراحم الله ولطفه المتجدد لنا باستمرار (مراثي ٣: ٢٢، ٢٣). وهو يعمل أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر (أفسس ٣: ١٧، ٢١).

وقد أوجد الله السبيل للتخلص من أدران الماضي، وهو يمنحك غفرانه ورحمته لتبدئي من جديد. فلا تسمح للأخطاء الماضية أن تدمر مستقبلك أو تهدده. اطلبي من الله أن يغفر ماضيك، وهو أمين وعادل، يغفر وينسى ويظهر (١ يوحنا ١: ٩).

انتصري على الشعور بالذنب

يدمر الملايين حياتهم بإحساسهم بالذنب على أمور مضت لا يقدر أن يفعلوا فيها شيئاً. وعندما يغفر الله ذنوبنا يزيلها تماماً، فيجب أن نقبل غفرانه فنتحرر من الإحساس بالذنب ولا ندعه يأسرنا. فإن كان الله يقول إنه غفر لنا يجب أن نعتمد على كلمته لا على مشاعرنا.

كثيراً ما نسمع من تقول "سأظل أشعر بالذنب طيلة حياتي".. أو "لن أغفر لنفسي أبداً". لكن الرب يقول إنه يغفر لك خطاياك وينساها، ولن يعاقبك على ما اقتصرت (عبرانيين ١٠: ١٧، ١٨). فلماذا تقولين إنك لن تغفري لنفسك أبداً ما دام الله قد دبر لك طريق الحياة الحرة من الذنب؟ سمعت قصة عن ولد صوب حجراً على رأس أوزة فقتلها. وظن أن والديه لن يلاحظا غيابها بين ٢٤ أوزة عندهما، فدفن الميتة! وفي المساء همست أخته في أذنه قائلة "رأيتُ ما فعلت. فإن لم تغسل الأطباق بدلاً مني سأبلغ والدتنا بفعلتك". وفي صباح اليوم التالي، ولعدة أيام بعد ذلك، كررت له الأمر نفسه، فأصبح عبداً مضطراً لغسل الأطباق. وفاجأ أخته ذات صباح بقوله "اليوم ستعودين لغسل الأطباق، فقد أخبرتُ ماما بما جرى، وقد غفرت لي. أنا من اليوم حر!".

الذنب قلقٌ جذوره ضاربةٌ في الخوف، فنحن نخاف من غضب الله، أو نخاف من أن يكون ما ارتكبناه أكبر مما يمكن أن يُغفر، أو أننا لا نستحق غفرانه. ونقلق من أن يذكر الناس خطايانا الماضية فلا يغفرون لنا أو يرفضوننا. الذنب ماضٍ قد يدمر مستقبلنا، فانتصري عليه.

لن يحاسبك الله إن كنت آسفة بإخلاق على ما ارتكبت، وإن وثقت في دم المسيح الذي يطهرك من كل إثم. ففي اللحظة التي تعترفين فيها بالذنب يغفر لك وينسى، فلماذا لا تعاملين نفسك كما يعاملك هو؟

المرأة الواثقة لا تعيش في الماضي، فهي تتركه وتهتم بالمستقبل. ربما خُنتِ صديقة، أو أجهضتِ نفسك، أو زנית، أو سرقت، أو كذبت، أو ارتكبت معاص. فماذا ستفعلين؟ أليس الأنفع أن تقضي باقي حياتك تخدمينه وتعملين مشيئته؟ إن كنت مستعدة أن تتعهدي بهذا فلن يقدر شيء من ماضيك أن يعطلك.

هل يجفّ الفرع منابع أفرحك؟

يخاف الناس ويفزعون من أمور كثيرة دون أن يدركوا تأثير هذا فيهم! إنه يمتص كل أثر للفرح عندهم، مع أن الله دبّر لنا في المسيح حياة عامرة بالفرح، فيجب أن نتمتع بكل لحظة فيها.

مرة كنت في محل لتدليك الوجه وأنا مستمتعة بذلك. ونظرت نحو الباب فرأيت ملابسي معلقة فقلت في نفسي "أنا لا أحب أن أرتدي ثيابي وأسوق سيارتي للبيت". وحالاً أدركت أنني سمحت للخوف أن يسرق فرحي الذي كنت مستمتعة به في تلك اللحظة.

صلي طالبة من الله أن ينبّهك في لحظة بدء خوفك من شيء ما أو من أمر مستقبلي، فإن تجفيف منابع الخوف عندك يزيد ثققتك في الرب، ويساعدك لتتمتعني بفرح أكثر.

كثيراً ما نوجّل عمل شيء هام لأننا نخشاه. ربما كان كومة غسيل، أو فاتورة واجبة الدفع. درّبي نفسك ألا ترهبني هذه الأمور، بل عالجيها أولاً، فكلما أسرعت بالبدء في إنهاء أمر تخشينه تحصلين على قوة أكثر لتُنهيه. ولو انتظرت لنهاية اليوم ستكون عافيتك قد نقصت ولم تعودى قادرة أن تنجزى شيئاً تكرهينه. إن الخوف يجعلنا نوجّل الأمور. فإن لم يكن هناك بدٌّ من عمل شيء، فالأفضل أن تقومي به الآن.

تأجيل عمل شيء لا يعني أنك انتهيت منه، بل إنه يصبح مصدر عذاب لك، فاخترى بين تعذيب التأجيل أو القيام بالواجب. إن المؤمنة بمعونة الروح القدس تقدر أن تتعامل مع أمر غير مفرح بغير خوف، ودون أن تتضايق، ففوة الله لا تمنع عنا غير المفرح، لكنها تعيننا لعبور مرحلة غير المفرح بشجاعة.

لا تسمحى للأشياء الصغيرة أن ترهقك

الأغلب أنك ترهبين الأشياء الصغيرة أكثر من الكبيرة، فمعظم مسؤولياتنا في أمور صغيرة، بينما الكبيرة قليلة العدد جداً ومتباعدة. عندما فحصتُ الأمور التي أخشاها وجدت أنها صغائر، مثل شراء البقالة، والغسيل، والرحلات القصيرة، والبحث عن مكان ركن السيارة. وأنا أكره أن أنتظر لأني بطبعي لا أطيق الانتظار في حركة المرور، أو أمام موظف بطيء.

وشأني كشأن جميعكن عندي أشياء كثيرة أقوم بها، فلا أحب أن أضيع وقتي في انتظار الناس والأشياء. وأشكر الله الذي علمني أنه لا فائدة من الخوف من أمر يجب أن أقوم به، إذ يجب أن أفعله على أي حال مهما كرهت ذلك. وقد ضيَّعت وقتاً من عمري في الخوف، فلم أعد مستعدة أن أضيع المزيد. فهل تشعرين كما شعرت؟ هل صرفتِ وقتاً طويلاً من عمرك خائفة قلقاً لأنك لم تكوني تعرفين كيف تتعاملين مع الخوف؟.. أعتقد أنك ستخلصين من هذه الحالة لأن المعلومات التي أقدمها لك في هذا الكتاب ستمكّنك من الحياة في فرح تختلف عما عشت فيه.

انعدت مؤتمراً في إحدى كنائس "أوماها" وأعطي الحاضرون بالونات معبأة بغاز الهليوم، وطلب منهم أنه في حالة إحساس أحدهم بالسرور عليه أن يطلق بالونته. وفي أثناء الخدمة انطلقت بالونات في سماء الاجتماع، لكن بقي ثلث البالونات بدون إطلاق. فأطلقني بالونة فرحك، وليكن فرحك معروفاً حتى على الأمور الصغيرة.

كان تغلبي على الخوف يشبه حواراً بيني وبين الشيطان، برهنتُ له فيه أنني أقدر أن أستمتع بكل ما أقوم به، وأن تكتيكاته لسرقة فرحي لم

تعدّ تنفع، فإن الذي في أعظم من الذي في العالم (١ يوحنا ٤:٤). وأعتقد أننا نمجد الرب عندما نرفض أن نحيا في الخوف أو القلق أو ما يشابههما.

عندما أجد نفسي في موقف لم أكن أريد أن أكون فيه، مثل الانتظار، أو حمل مسؤولية غير مفرحة، أعزم أن أقوم بواجبي وأنا فرحانة، وأضبط نفسي مستخدمة عضلات الإيمان التي منحها الله لي. إن سمحنا للخوف أن يبقى في حياتنا فإنه ينتج فينا مزيداً من خوف. لكن إن مارسنا السير بإيمان ستكون حياتنا سهلة وتزداد سروراً.

مسحة لنعمل أموراً عادية

بقوة فوق عادية

عندما أسمع كلمة "مسحة" أفكر في شيء التف حولي وغطاني كلي، فنحن ممسوحون بقوة الله أي غطتنا المسحة تماماً بقوة الروح القدس وحضوره، لنعيش بطريقة فوق عادية.

ومع أننا رוחيون، إلا أننا نقوم بأمور عادية، فلا تسمح ليما يهزم الآخرين أن يهزمك، ولا تدعي الخوف من حمل مسؤولية جديدة يمنعك من مواجهتها والانتهاة منها أولاً، ولا تنسي أن الأمور القذرة الصغيرة التي دامت عندك وقتاً طويلاً تستغرق وقتاً أطول في تنظيفها. فكّري في فوضى جراجك أو خزانة ملابسك أو بדרوم بيتك - هذه الفوضى لم تحدث فجأة، ويستغرق التخلص منها وقتاً طويلاً ومجهوداً كبيراً.

فهل تتضايقين من وجود ركن قذر في بيتك أجّلت تنظيفه لأنك تكرهين ذلك؟.. لقد آن أوان التغيير. عليك أن تقومي فوراً بتنظيف المكان

وترتيبه. لا تدعي فوضوية خزانة الملابس تهزمك، فإنك تمتلكين قوة الله ويمكنك ترتيب الجراج وخزانة الملابس وبدروم البيت، بفرح.

هل وجدت في ترتيب سكنك مشكلة تثبط همّتك، فقلت "كم أود ألا أرتب سكني اليوم فالأفضل أن أذهب للتسوق، أو أعمل عملاً آخر يفرحني؟". إن كنت تفعلين هكذا، فهذا ليس غريباً، فكلنا نجرب أن نفكر بنفس الطريقة. غير أن الله أعطاك بركة ضبط النفس، وسيرشدك لتختاري الشيء المناسب مهما كانت صعوبته.

يتوقع الخوف
حدوث أمر سيء
وهذا ليس من الإيمان،
فالإيمان يتوقع
مستقبلاً حسناً

قال ديل كارنيجي "يمكنك أن تهزمي كل خوف إن صممت على ذلك، لأن الخوف لا يسكن إلا في الفكر".

"لأنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الْفَسْلِ (الخوف)، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ" (٢ تيموثاوس ١: ٧)

يمكننا أن نهزم الخوف والقلق والفرع فقد منحنا الله روح ضبط النفس، وكل ما يجب علينا هو أن نمارسه لكي نتحرر من الخوف والفرع. يتوقع الخوف حدوث شيء مفرع وهذا ليس من الإيمان، فإن الإيمان يتطلّع إلى أمور صالحة. عندما كنت أكتب هذا الفصل كان يجب أن أتوقف قليلاً لأحزم أمتعتي استعداداً لمغادرة "شاليه" خاص بإحدى صديقاتي لأسافر إلى بيتي.

ووضعت كمبيوترتي جانباً مع أوراقتي استعداداً لحزم أمتعتي. وفجأة شعرت بالفرع!.. كنت أكتب كتاباً أشجع فيه القارئ أن ليهزم الفرع،

وها أنا أفزع. وحالما تبينت فزعي حتى قلت "لن أسمح بهذا. سأتمتع بحزم متاعي بغير فزع".

في اللحظة التي تفرعين فيها يبدأ فرحك في النقصان، فكل هجومات إبليس تُفزع لأنها كآبة وموت، فلا تفرعي من شيء، بل واجهي كل شيء بشجاعة وثقي أنك تقدرين أن تقومي بكل ما يجب عليك القيام به بروح واثقة فرحانة.

إن الخوف هو أساس نقص الثقة، والقلق، والمشاعر التي تعذبنا. فهل هناك ما يساعدنا على منع الخوف؟

تعلمي أن تثقي

الأطفال لا يقلقون ولا يفزعون من شيء، فلماذا يفزع الكبار؟ الصغار ليسوا مسؤولين عن شيء، فالآباء يقدمون لهم كل عناية. فعندما ننضح فيما أن نتعلم أن نضع ثقتنا في الله، أو أن نحيا في خوف وقلق وفزع. يمكن أن نرفع نظرنا لله واثقين في أمانته مؤمنين أنه لن يتركنا، أو أن نحمل همومنا التي لم يكن مطلوباً منا أن نحملها وحدنا!

فجأة يجب أن نتأكد من أن كل شيء سيسير كما يُرام، ويجب أن نفحص الأمور ونجد إجاباتها. فالقلق هو الخوف من عدم سير الأمور كما نريدها. أما المؤمنة بالرب فتثق أنه حتى لو لم تسر الأمور كما تشتهي، فإن خطة الله لها هي الأفضل،

"فإننا "نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوءُونَ حَسَبَ قَصْدِهِ" (رومية ٨: ٢٨). وما أروع الثقة في الرب، فإنها تؤكد لك أن عند الرب إجابة ما لا إجابة له عندك.

الإيمان هو الثقة التي تعطي الشجاعة التي توقف الخوف عند حده، وهي الاستمرار في العمل بالرغم مما يخيف. والأطفال عادةً يثقون، لكن من المؤسف أن اختباراتهم الأليمة في الحياة تجعلهم يتعلمون الخوف، وأن كل شخص وكل شيء في الحياة متغير وغير مستقر، فلا يقدر أن يعتمدوا على ذلك دوماً. فقد يثق الطفل أن أباه وأمه يعيشان في حب يجمعهما معاً. ولكن إن تم الطلاق بين الأب والأم يتحطم أمان الطفل وينهار سلامه النفسي، لأن ما لم يكن يتصور حدوثه قد حدث. وكلما كبر الطفل ونضج كلما واجه العديد من التجارب المحبطة، فإما أن يزداد في عدم الثقة والخوف أو أن يتعلم أن يضع ثقته في الرب الأمين الذي لا يتغير. ولا يعني هذا أن الرب سيفعل لنا كل ما نتوقه منه أو كل ما نطلبه، لكنه صالح، تمنحك الثقة فيه راحة سماوية تجعلك تستمتع بالحياة متحررة من عبودية الخوف.

اطلبي المعرفة

كلبتنا الصغيرة لا تعول همَّ شيء، فهي تستلقي أو تنام أو تأكل أو تشرب أو تلعب. وعندما يحدث في بيتنا شيء غير عادي تفرع وتتوتر وترتعش. وعندما تفهم ما يحدث ترجع إلى هدوئها.

ذات ليلة وأنا مستلقية في الفراش سمعت ضوضاء في الطابق العلوي لبيتنا. وكلما استمعت زاد خوفاً. وقررت وأنا أرتعش أن أصعد لأعرف مصدر هذه الضوضاء.

وأخذت أضحك من نفسي، فقد كان ما سمعته صوت تساقط مكعبات الثلج في الصينية، ولم تكن المكعبات تسقط عادة هكذا من قبل.

نقص المعرفة يسبب الخوف، والمعرفة تزيل الخوف. حدثت هذه

القصة الحقيقية لسيدة كانت تسير مع طفلها بالقرب من نهر عندما انزلت قدم الطفل فسقط في النهر، فصرخت أمه في رعب خصوصاً أنها لم تكن تعرف العوم، كما أنها كانت حاملاً في الشهر الأخير.

وسمع أحد المارة صراخها فأسرع لمساعدتها. ولكن المأساة كانت أن الولد غرق ومات مع أن عمق الماء لم يكن يزيد عن نصف طول الأم، فكان من السهل عليها أن تنقذ طفلها.

ولكن نقص معرفتها أماتت الطفل!.. ولا بد أن تلك الأم عاشت بعد ذلك في حزن دائم، تلوم نفسها لأنها لم تحاول أن تعرف مقدار عمق ماء النهر، لكن الخوف يجعلنا نتصرف بدون تفكير عقلائي.

فقد أصاب الخوف الأم بالشلل، فوقعت بين الرعب من غرق الطفل، والخوف من الماء، فلم تفعل إلا الصراخ. وكان يمكن أن المعرفة تنقذها من الكارثة التي وجدت نفسها فيها.

تساعدك المعرفة أن تكوني واثقة. فإن كنتِ ذاهبة لمقابلة بخصوص توظيف تأكدي أنك مستعدة لتجيب على كل سؤال يمكن أن يوجه إليك، فنحن نعيش في عالم توافرت فيه المعلومات داخل كمبيوترك، تفيدك بكل ما تريدين معرفته عن المؤسسة التي تطلبين العمل فيها، مع نصائح مفيدة لإجراء المقابلة.

فبدل أن تخافي من شيء لم تتعودي عليه عوّدي نفسك عليه. قومي بالبحث، أو اسألي من هي أكثر منك معرفة. قد يتطلب هذا مجهوداً قليلاً، لكنه أفضل من أن ترتعبي خوفاً.

فكري بطريقة جديدة

يمكنك أن تتحوّلي من الألم إلى القوة إن أعدتِ تعليم عقلك. ويأمرنا الوحي أن نتغيّر عن شكلنا بتجديد عقولنا (رومية ١٢: ٢). فكيف نفكر بطريقة جديدة؟.. بدل أن يكون الخوف أسلوب تفكيرك يمكن أن يصبح أسلوبك الشجاعة والثقة. وبدل أن يمنعك الخوف من النجاح والفرح اجعليهما حقائق حياتك. فأنت تقابلين كل ما في الحياة بالهروب والرعب، أو بالمواجهة الواثقة. للخوف ظل طويل لكنه في ذاته قصير! عندما نخاف نعاني، فنخسر ما كنا سنحصل عليه، بالإضافة إلى تعذيب الخوف. فبدل أن تفكري في عجزك عن الأداء لأنك خائفة، فكري أنك ستقومين بكل ما يجب أن تقومي به بالرغم من أنك خائفة. غيري تفكيرك عن الخوف، فنحن نسمح للخوف أن يظهر كوحش مخيف. لكن الحقيقة أنه سيتراجع لو وقفت في وجهه. إنه يدفعك ما لم تحدّيه.

وتجديد عقولنا من أهم اختبارات الحياة الروحية بعد تسليم الحياة للمسيح، فقد مات المسيح لأجلنا ليمتتنا ببركات الحياة الجديدة، ويخبرنا الوحي أن عند الله خطة رائعة لحياة كل واحدة منا، لكننا لن نتمتع بها إلا إن سمعنا عنها وعرفنا الطريق التي تؤدي إليها، فالشعب يهلك لعدم المعرفة (هوشع ٤: ٦) فالمعرفة والفهم قوة عندما نستعملهما بطريقة لائقة.

انتابت زوجة أفكاراً غير مسببة زوجةً أن زوجها ربما يخونها ثم يتركها ليلتصق بامرأة أخرى، وجعلها خوفها تتهمه بأمور رآها الزوج غير معقولة. فعندما كان يتأخر في عمله كانت تتصل به تليفونياً لتتأكد أنه يعمل وليس مع امرأة أخرى. فإن لم يردّ على التليفون كانت

ترتعب وتسوق سيارتها وتحوم حول مكان عمله لتطمئن لوجوده. وذات مساء طلبته تليفونياً فلم يرد، فأخذت سيارتها وذهبت إلى مكتبه لتجد أنه كان في دورة المياه، وأنه رجع للبيت مباشرة بعد ذلك، فلم تجد سيارته، فبدأ الصوت الداخلي يعذبها ويتهم زوجها. وعندما عادت للبيت اندهشت أن تجد سيارته في الجراج، ولما وجدته في البيت لم تقدر أن تضبط عواطفها، وكالت له الاتهامات التي رآها بلا معنى ولا برهان، فقرر أنها مجنونة، وفقد احترامه لها.

وذات يوم اشترى لها سواراً كمفاجأة، ودعاها للعشاء في عطلة نهاية الأسبوع، وأخفى السوار في درج مكتب لا تفتحه هي عادةً. وبالصدفة فتحت الدرج ورأت السوار فظننت أنه هدية اشتراها زوجها لسيدة أخرى. ولم يخطر ببالها أبداً أن يكون السوار لها لأن الخوف لا يرى الاحتمالات الإيجابية، بل يرى الأسوأ قبل كل شيء.

وعندما أخبرها أنه اشترى السوار لها لم تصدقه وكالت له الاتهام القديم. وبدأت شكوك الزوجة تترك آثارها المدمرة على الزوج الذي لم يفهم تصرفات زوجته، والتي لم تكن هي تفهمها. ولكن لما بدأت تصلي لأجل هذا الأمر كشف الله لها أن سبب شكوكها في زوجها أن أباه هجر أمها أثناء طفولتها، وتزوج امرأة أخرى كانت زميلته في العمل. وساعدتها معرفتها سبب شكوكها أن تقاوم هذه الشكوك. وبدأت تقرأ وتعلم نفسها عن الخوف. واستمرت مخاوفها تقل حتى أصبحت قادرة أن تناقشها بالمنطق، وبمرور الوقت تحسنت علاقة الزوجين.

يرجع الكثير من مخاوفنا إلى أحداث جرت معنا في الماضي، فنخشى من عودة حدوثها معنا مرة أخرى في الحاضر. فإن ماتت أم بالسرطان تخاف الابنة من أن يكون لها نفس المصير، ويصيبها الهلع من أي ألم

عندما نكون
داخل معضلة
ونضع ثقتنا في الرب
تصبح لنا اليد العليا

تحس به لأنها مريضة بالسرطان. فخوفك من أن تعاني يجلب عليك معاناة الحياة الخائفة. وخوفنا من معاناة قد تحدث يكون أكثر من معاناة تحدث. فلا تخافي من أن حياتك ستنتهي. بالعكس! ثقي أنها في بدايتها.

بدل من أن تحاربي الخوف صلي طالبة أن تعرفي كيف دخل الخوف حياتك- خصوصاً إن تكرر نفس النوع من الخوف. كنت أخاف عندما يؤدب زوجي أحد أولادنا لأن والديّ أدباني بطريقة خاطئة. ولم أفهم سبب هذا الخوف إلا بعد أن أعلنه الله لي في الصلاة. قد تحتاجين إلى نصح لتعرفي جذور مخاوفك. وتأكدي أن الله أعد لك حياة فضلى يجب أن تحصلي عليها.

أخبرنا "جون أوربرج" أن متزلجاً على الجليد أثناء نزوله في منطقة خطيرة دخل في منطقة لا يمكن أن يتحكم فيها. فعلى نحو غريزي مال إلى الورا أماً في أن ينجو. وقال أوربرج "كلنا نفعل هذا. لكن في الحياة، كما في التزلج، لا يجب أن يكون ردُّ فعلنا محكوماً بالخوف، فنميل للخلف، إذ يجب أن نميل نحو داخل المعضلة، ونضع ثقتنا في الرب فتصبح لنا اليد العليا. فالخوف فخٌ وشركٌ".

لا تهربي من مخاوفك بل ميلي داخلها وواجهيها حتى تهزميها.

التدريب الضعيف

يستطيع المدرّس والوالدان وغيرهم من القادة أن يعلموا صغارهم الخوف، أو الثقة والشجاعة، فالأم الخائفة تورث أولادها الخوف، لأنها

ستكون كثيرة الاحتراس فيدخل الخوف قلوب أبنائها. لا يجب أن نعلم أبنائنا التهور، لكن يجب أن نعلمهم الشجاعة، وعدم الخوف من ارتكاب أخطاء بحجة تجنّب الأخطاء. وأعتقد أننا يجب أن نعلم أولادنا حياة المجازفة، فبدون مجازفة لا يوجد تقدم، وفي المجازفة نخطو في المجهول. اختباراتنا تعطينا الثقة، ولكننا لن نختبر حتى نقوم بشيء لم يسبق لنا أن قمنا به.

الطفل الذي يُنصح دائماً "لا تفعل هذا لئلا تضر نفسك" يصيبه الخوف من أن يجرب أموراً جديدة، فالطفل الذي يبالغ في الحرص يحرم نفسه من مباحج المجازفة، فأنصحك أن تعلمي الآخرين بالكلام وبالقدوة كيف يكونون شجعاناً. قولي لغيرك أن يجربوا أشياء جديدة، وعلمهم أن ارتكاب غلطة ليس أردأ ما يمكن أن يحدث.

ماذا يخبئ لنا المستقبل؟

لا يعرف أحدٌ بالتأكيد ما يخبئه لنا المستقبل، وهذا يفتح علينا باب الخوف فنتساءل: "ماذا لو أصابني عجز؟". "ماذا لو مات شريك حياتي؟". "ماذا لو مات ولدي؟". "ماذا لو قامت حرب عالمية؟". "ماذا عن الإرهاب؟". "كيف سيكون حال العالم الذي أعيش فيه بعد ٢٥ سنة من الآن؟". إن إثارة هذه الأسئلة التي لا تلقى إجابة تصيبنا بالقلق والخوف. لكن إن وثقت في الرب الذي يمكّك المستقبل بيد حكمته وحبه سأكون قادرة أن أواجه المستقبل مهما يكون. ومهما كان المكان الذي تذهبين إليه، قد سبقك الله إليه، وهياً لك طريق السير فيه!

أحياناً أتأمل في ما يجوز فيه الناس فأقول "أخاف من عجزني عن أن أسير معهم ذات الطريق بنفس النعمة التي ساروا بها" ثم أذكر نفسي

أنه عندما يجب أن أسلك طريقاً يمنحني الرب القوة للسير. وعندما نخاف من طريق ما فكأننا نقول إن الله ليس معنا في هذه الطريق. عندما أتأمل ماضي حياتي وأذكر كيف نجاني الرب من صعوبات كثيرة أسأل "كيف فعلتُ هذا؟". إنها نعمة الله وقوته، فقد أعانني لأقوم بما يجب القيام به، وسيعينك يوماً كما أعانني إن طلبتِ منه ذلك. قد لا نعرف المستقبل، لكننا نعرف الواحد الذي يمسك المستقبل بيديه، فننتقدم بثقة وبغير خوف. فعندما يقودك الله إلى طريق، يسير معك هذا الطريق.

الفصل الثالث عشر

العلاقة بين الضغوط والخوف

الضغوط من أكبر المشاكل التي تواجه عالمنا اليوم، فكل شيء يسير بسرعة، عالي الصوت، مفرط في ثقله على جهازنا العقلي والعاطفي والبدني. وتحمل لنا وسائل الإعلام وابلأ من الأخبار في الجرائد والمجلات والإذاعات والتلفزيون والإنترنت. هل تعلمين أن في إحدى شبكات الإنترنت توجد أكثر من ٧٠١٧٩٩٨٣٠٧٣ صفحة. ومن الصعب أن نفكر حتى في عدد الصفحات هذه، إن كنا ننسى حجم محتوياتها، فما تحويه هذه الصفحات من معلومات لا يمنح عقولنا لحظة من الراحة! وبالإضافة إلى هذا نجد مسؤولياتنا والمنتظر منا في دوائر أعمالنا، فلا توجد في اليوم ساعات كافية لننجز كل ما نريد أن نجزه، فنسرع ونستعجل ويصيبنا التشويش والتعب فنقول "أنا تحت إجهاد وضغط من النوع الثقيل وأشعر أنني أكاد أنفجر".

فهل يمكن للخوف أن يكون الجذر وراء الكثير من ضغوطنا؟ أجيب بالإيجاب، فنجد أننا نشترك في أمور خوفاً من أن نستبعد منها فلا نعرف ما يجري حولنا، أو خوفاً من أن شخصاً يستولي على السلطة فيها لأننا غائبون عنها، أو خوفاً من أن ينتقدنا الناس إن رفضنا الاشتراك مع الجماعة.

ونحن نريد أن يتشابه أولادنا مع سائر الأولاد فنندفعهم ليشتركوا في نشاطات كثيرة، بل إنهم ينتظرون منا أن نشترك معهم. ونحن نخاف أن

يرفضهم أصدقاؤهم، أو يرفضوننا هم إن كنا قد عانينا من الرفض في طفولتنا.

في طفولتي ومراهقتي كنت أشعر أنني مرفوضة بسبب ما عانيته في بيتنا، وبسبب محافظتي على هذا سراً. وعطلني هذا عن تطوير علاقات اجتماعية مناسبة، فكنت أرفض دعوات اجتماعية كثيرة لأن أبي كان متزمتاً جداً. فتوقّف الناس عن دعوتي مما زاد شعوري بأني مرفوضة وغير طبيعية. ولهذا كنت أخاف أن يجوز أولادي مثلما جُزت فيه، فكنت أستجيب لطلباتهم مهما كانت تلك الطلبات ومهما كانت تكلفتها. ويختبر الناس عوزاً مالياً لأنهم يريدون أن يمتلكوا ما يمتلكه الآخرون. سمعت عن أم اشترت لطفلها حذاءً للتنس ثمنه ١٥٠ دولاراً لأن "كل الناس يلبسون هذه الماركة"!

هل تقولين "نعم نعم" للناس بخصوص أمور لا تفضّلينها وتودّين لو قلت لهم "لا لا"؟ أنت إذاً لا تُجهدين نفسك في القيام بأشياء يجب أن تقومي بها، لكن لأنك خائفة من رفض الناس لك.

كأطفال نحن نخاف أن نختلف عن الآخرين، فنُجهد أنفسنا لنكون مثلهم، بينما في حقيقتنا نودُّ لو استلقينا في فراشنا لولا خوفنا من انتقاد الناس لنا. ولهذا ندفع أنفسنا لنقوم بأعمال لا نريد أن نقوم بها.

خذي دقيقة فكري فيها في الأسباب الحقيقية لقيامك بأشياء تقومين بها. هل كنت تقومين بأحدها مدفوعة بالخوف؟ توقّفي عن القيام بها. ستذهلين من الوقت الذي توفرينه عندما تقومين بما يرشدك الله لعمله وترفضين ما يدفعك الناس لتقومي به.

المرأة الواثقة تنجز أكثر بجهدٍ أقل

ربما تسألين "ألا تشترك المرأة الواثقة في أعمال كثيرة؟". والإجابة "نعم" ولكن الخوف ليس سبب هذا. فعندما نقوم بشيء عن ثقة ورغبة تتأثر بطريقة مختلفة تماماً عن قيامنا به خوفاً أو بدوافع خاطئة. الله لا يقوي مخاوفنا، لكنه يقوي إيماننا فنثق أن ما نقوم به صواب، ونتقدم نحوه بشجاعة وعزم.

كثيرون لا يحققون أحلامهم .. لأنهم يعيشون في خوف

يجفف الخوف منابع القوة التي عندك ويتركك مُجهدّة، لكن الثقة والشجاعة تفعّلان العكس. فالمرأة الواثقة تنجز أكثر لأنها تحيا حياة واثقة لا يمكن أن تختبرها المرأة الخائفة.

أعتقد أن ما نعمله لا يسبّب مقدار الإجهاد الناتج عن كيفية عمله، فلو عملتُ شيئاً بخوف وتحت ضغوط وبدون رغبة سأحصد تعباً وحرزاً. فإن كنت مُجهدّة منكسرة أنصحك أن تعلمي جرّداً لِمَا تعملينه، ولماذا تعملينه. فإن كان الخوف هو دافعك على عمل شيء احذفه من قائمة ما تعملينه. لا تعطي إرضاء الآخرين أولوية في ما ستقومين به لأن هدفك الأول هو إرضاء الله وسعادة نفسك.

لا تحقق كثيرات أحلامهن لأنهن خائفات، فبدل أن يعملن شيئاً بكل قلوبهن يعملنه خوفاً مما سيحدث لو لم يقمن به. إنهن يقلن "ستغضب فلانة مني". "سترفض الحديث إليّ". "سينهش سيرتي". .. لقد جاء الوقت الذي تكونين فيه ذاتك المستقلة وتحققين أحلامك، فما الذي وضعه الله على قلبك؟ هل هناك شيء كنت تريدين عمله؟ إن توقيت الله مهم جداً،

فلا تتصرّفني بحماقة. كثيرات لا ينجزن شيئاً ويكتفين بالانتظار طيلة حياتهن. إنهن ينتظرن حدوث شيء بينما كان يجب أن يجعلن شيئاً يحدث.

عندما نحيا في تشويش ونشعر بعدم الإنجاز نضع أنفسنا تحت ضغط، فلا يوجد شيء مُجهد أكثر من أن نكرر نفس التصرف يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة دون أن نقترّب من تحقيق حلمنا، مع أن الله خلقنا لنثمر ونكثر، وسنشعر بالإحباط إن لم نثمر.

اللعب على الجانب الآمن

لا يحقق كثيرون أحلامهم لأنهم يريدون أن يعيشوا على الجانب الآمن. ومع أن الأمان مطلوب إلا أن الكثير منه يعني خوف صاحبه. كان فلاح يجلس مسترخياً عندما زاره صديق له سأله

– كيف حال القمح هذه السنة؟

فأجاب الفلاح: لم أزرع قمحاً هذه السنة لأنني خفت من تدمير السوس له

– وكيف حال الذرة؟

فأجاب الفلاح: لم أزرع ذرة هذه السنة لأنني خفت من أن تلتهمها الغربان

– وكيف حال البطاطس؟

فأجاب الفلاح: لم أزرع بطاطس هذه السنة لأنني خفت من أن تلتهمها

الآفات

– إذا ماذا زرعت؟

فأجاب الفلاح: لم أزرع شيئاً هذه السنة لأنني فضّلتُ أن أكون على

الجانب الآمن

فكري في المنتجات والمصنوعات التي كنا سنخسرهما لو قال منتجوها إنهم يفضلون الأمان على المغامرة بتحقيق أحلامهم. فكري في هنري فورد لو فضل ماكينة نشر الأخشاب بدل أن يكون مهندساً من أول منتجي السيارات. وفكري لو أن ألكسندر جراهام بل سمع نصائح أصدقائه وعائلته وركّز على اختراع التلغراف بدلاً من التليفون. فكري لو أن جوناس سوك العالم الذي اكتشف لقاح شلل الأطفال كان قد درس الحقوق ولم يكن باحثاً في الطب.

إن بقاءنا في أمان دون مجازفة يخلق منا لصوصاً. وقد تظنين أن هذه عبارة قاسية، لكن في الحق قسوة، ولما نعرف الحق نتحرر. ولو قضيت كل وقتي لأحمي حياتي فأني أسلب كل الناس من الخدمة التي كان يجب أن أؤديها لهم بالموهب التي منحها الله لي. وأعتقد أن بعض قارئاتي لم يبدأن الحياة الخادمة بعد، وقد جاء الوقت الذي يجب أن يهجرن فيه الجلوس على الجانب الآمن من الحياة ليبدأن الحياة الشجاعة العاملة بثقة.

الكسل يولد التعب

العمل الكثير بدون راحة كافية لا بد أن ينتج إرهاقاً، لكن الكسل يولد الإرهاق أيضاً. ولا بد أنك سمعت أن التمرينات الرياضية تريح الجسم المرهق. وأنا أفضل التعب الناتج عن الرياضة والحركة أكثر من التعب النفسي الناتج عن الملل بسبب عدم العمل!

لاحظت أنه عندما يطول جلوسي في كرسي أشعر بالتعب عندما أحاول الوقوف، فقد أعطانا الله عضلات يجب أن نحركها، فعدم الحركة هو الموت بعينه! ويحذرنا الوحي من الكسل (أمثال ١٢: ٢٧،

٢ تسالونيكى ٣: ٦-١٠). فليس عند الكسلان شيء وهو ينال ما يستحقه: لا شيء! ولو أعطيت الكسلان شيئاً فلن يعتني به، وسترين الفوضى تعم كل ما عنده! سيارته قدرة، وبيته غير مرتب، وغالباً يكون مديوناً. ويتمنى الكسول أن يحدث شيء في حياته، ويرجو أن يقوم شخص آخر بما يجب أن يقوم هو به. إنه بائس وحياته خالية من الثمر. العمل مهم لنا جميعاً، فقد أمرنا الله أن نعمل ستة أيام ونستريح يوماً واحداً، وهذا يُظهر كم يهتم الله بالعمل، فقد خلقنا لنشتغل لا لنجلس كسالى بلا عمل. ربما يأمرك الله اليوم أن تقومي وتتحركي. ويخبرنا الوحي عن أشخاص كانت عندهم مشاكل كبيرة فأمرهم الله أن ينهضوا. ففي يوحنا ٥ نقرأ عن رجل مُقعدٍ مستقلٍ بجوار بركة بيت حسدا مدة ٣٨ سنة ينتظر معجزة. وبعد أن ذكر عدد سني مرضه اشتكى من أنه لم يجد من يلقيه في البركة متى تحرك الماء. كان حزيناً على نفسه واكتفى بأن يشكو، ولكن المسيح أمره أن يقوم ويحمل فراشه ويمشي (يوحنا ٥: ٨).

هل أنت مريضة ومُتعبَة؟ لا تكوني مثل متسلق الجبال وزوجته اللذين جلسا أمام المدفأة عندما قالت الزوجة إنها تسمع صوت مطر، وأمرت زوجها أن يخرج ويرى حالة المطر، فاستمر الرجل يحملق في نار المدفأة، ثم قال "لماذا لا ندعو الكلب لنرى إن كان مبتلاً؟".

قومي واعلمي كل ما بوسعك لتصلحي الفوضى في كل نواحي حياتك. إن كان زواجك في فوضى قومي بواجبك دون انتظار مبادرة من زوجك، وسيكافئك الله. إن كانت حالتك المالية في فوضى تحاشي

خُذي خطوة إيمان وغيري كل ما يرشدك الرب لتغيريه

الإنفاق وابدئي سداد الديون.. سيدبر الله لك وظيفة مناسبة، أو يرشدك إلى طريقة عمل ذلك. لا تنسي أنه لا حصاد حيث لا زرع، واذكري عبارة قلتها "لو عملت ما تقدرين عليه سيعمل الله ما لا تقدرين عليه".

يكمُن الكسل وراء الخوف. فيخاف الناس أن يعملوا شيئاً ففتكُون عندهم عادة الكسل، فيراقبون الذين يعملون ويحسدونهم ويتمنّون لو كانوا مثلهم، ويشتكون لأن الأمور لا تعمل معهم للخير، وينسون أن كل الأشياء لا تعمل معهم للخير لأنهم لا يعملون!

التغيير وحده يريح من الضغوط

إن كنت تشعرين بإجهاد وضغط طيلة الوقت فيجب أن تجري تغييراً في حياتك لترتاحي منه. سيستمر الإجهاد معك ما دمت تفعلين ذات الأشياء، فلا يمكن أن تتغير النتائج إلا إن تغيرت الأفعال. فعليك أن تغيري أفعالك.

أعتقد أنني حالما ذكرت التغيير توترت بعضكن لأنهن خائفات منه. منذ نحو مئة سنة وجد سكرتير مجمع مشيخة "أبنجتون" النسبة المئوية لأمزجة الناس عندما يضطرون للتغيير، وأعتقد أن هذه النسب لم تتغير إلى يومنا هذا:

- ١- المبتكرون ٢٦٪ ينتجون أفكاراً جديدة
- ٢- المتكيفون ١٣ر٤٪ يتأثرون بالفريق الأول دون أن يكونوا مُبدعين
- ٣- الغالبية البطيئة ٣٤٪ يتبعون كالقطيع
- ٤- الأغلبية المترددة ٣٤٪
- ٥- المخاصمون ١٦٪ لن يتغيروا

فإن كنتِ ضمن ٨٤٪ من الذين أوردتهم هذه القائمة، فأنت لا تحبين التغيير، وتفضّلين أمان القديم. وأتعب من عدد الناس الذين يقضون حياتهم يقاومون التغيير، بينما يزدهر عليه غيرهم، فالتغيير يحفظ للحياة طزاجتها ومغامرتها. خذي خطوات ثقة وغيّري كل ما يريدك الرب أن تغيريه. إن لم يكن وقتك مثمراً فقد آن موعد التغيير. إن لم تكوني مستريحة فقد آن موعد التغيير. إن لم تكوني تفرضين النظام على أولادك كما يجب مما يسبب لك إرهاقاً فقد آن موعد التغيير. إن لم تكوني تعتنين بنفسك فقد آن موعد التغيير. إن أصابك الملل فقد آن موعد التغيير. إن كانت صديقة لك تستغلك فقد آن موعد التغيير.

ستستريحين من الإرهاق إن أبطلتِ الخوف من التغيير. فإن وجدتِ لديك شجاعة التغيير فربما لا يحب الآخرون الحالة التي تغيرت إليها، فلا تخافهم. ستعتادين على التغيير كما سيعتادونه هم أيضاً. إن لم تتخذي خطوة التغيير الآن ستظلين تشتكين مما يضايقك بعد سنة من الآن، وبعد سنة أخرى وبعد عشر سنوات، ولن تكون هناك نهاية لبؤسك. الآن وقت مناسب، والشجاعة هي التي تخطو للأمام، بينما يثمر الخوف كسلاً وتأجيراً.. والخيار بين يديك.

الفصل الرابع عشر

اختاري الشجاعة

ربما قرأت كل الصفحات الماضية ولا زلت تقولين "أنا إنسانة خجولة فهذه طبيعتي، ولا أظن أنني سأتغير". وقد يكون تعليقك صحيحاً، لكن يمكنك أن تختاري أن تواجهي الحياة بشجاعة. قد تشعرين بالخوف والخجل والجبن ومع هذا تختارين أن تسيري بشجاعة وكأن الخوف لا وجود له. إن إرادتك الحرة أقوى من مشاعرك، ويمكنك أن تجربي صدق ما أقول. ربما تشبهين آلاف النساء اللاتي استسلمن لمشاعرهن لوقت طويل حتى أصبحت المشاعر هي التي تحكمهن، ولكن إرادتك كالعضلة التي تضعف إن لم تتحرك. إن طلبت العون الإلهي واستخدمت إرادتك الحرة ضد مشاعرك، فإن تغييرك إلى الصورة التي تشتهيها سيكون أسهل وأسهل، وهي الصورة التي خططها الله لحياتك.

عندما أفكر كيف تبدو الشجاعة على شخص ما أرى شخصاً مقداماً جريئاً لا يخاف شيء. يظن البعض أنهم شجعان والحقيقة أنهم غير مهذبين ووقحون، وكان الأفضل لهم لو كانوا أمناء واعترفوا بأنهم خائفون لكنهم مستمرين في تظاهرهم بالشجاعة، وهم كذابون!

أعترف أنني لسنوات كثيرة كنت أظن أنني شجاعة ولكني كنت خائفة ولا أواجه مخاوفي. كنت أنتظر أمام نفسي وأمام الآخرين بأنني لا أخشى شيئاً. وهناك فرق بين مواجهة الخوف بصدق، وتجاهله والتظاهر بالشجاعة.

عندما أفكر كيف تبدو الشجاعة على شخص ما
أرى شخصاً مقداماً جريئاً لا يخاف شيء.

كنت أسرع في الكلام، ولكن ما كنت أقوله كان غيباً وغير مناسب. كنت أمسك بناصية المواقف ظاناً أنني أخطو بشجاعة لأقوم بعمل مهم بينما غيري لا يقوم بشيء. وسرعان ما أكتشف أنني أخذت فرصة لم يكن من حقي أن أخذها.. وكثيراً ما كنت أتحرك بسرعة ظاناً أنني شجاعة، ولكنني ارتكبت أخطاء كثيرة جرحت مشاعر الآخرين لأنني لم أكن أطلب تعلم الحكمة من أحد. فقد كنت غير ناضجة ولا أعرف ما هي الشجاعة الحقيقية.. كان إن أهانني أحد أسرع بالرد عن نفسي لأعرفه مقامه ليعرف الجميع أنني لا أقبل الإهانة. وعندما أصبحت تلميذة لكلمة الله حاولت أن أصلح كل ما أفسدته في الحياة، وعلمني الرب من الآيات الكتابية:

”غَضِبُ الْجَاهِلِ يُعْرِفُ فِي يَوْمِهِ، أَمَّا سَاتِرُ الْهَوَانِ فَهُوَ ذَكِيٌّ“
(أمثال ١٢: ١٦)

”لَا تَنْتَقِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَاناً لِلْغَضَبِ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ لِي الثَّقَمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ“ (رومية ١٢: ١٩)

يحتاج السلوك بالإيمان إلى شجاعة وانتظار الرب الذي ينصف المظلوم. ويحسنُ بالسيدة الأمانة مع نفسها أن تقول ”أنا خائفة، لكنني سأقوم بما يجب عليّ وأنا في خوفي“ فهذا أفضل من التظاهر وخداع النفس. الشجاعة الحقيقية لا تمتلك شجاعة الإنجاز فقط، لكنها تملك أيضاً شجاعة الانتظار إن اقتضى الأمر.

قلب الإنسان يفكر في طريقه

كانت عندي خططي التي أسرع بتنفيذها ولكن الكثير منها فشل. ويعلمنا أمثال ١٦: ٩ "قَلْبُ الْإِنْسَانِ يُفَكِّرُ فِي طَرِيقِهِ وَالرَّبُّ يَهْدِي خَطْوَتَهُ". وسفر الأمثال عامر بحقائق حكيمة يجب أن ننتبه إليها، وهو يعلمنا أنه "قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ، وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ" (أمثال ١٦: ١٨). يظن كثيرون أنهم شجعان، والحقيقة أنهم متكبرون، يظنون العظمة في نفوسهم، ويحتقرون الآخرين ويجرحون مشاعرهم.

كانت خططي دائماً لخيري الشخصي بغض النظر عن احتياجات غيري. وعلينا أن ننتظر ظهور خطط الله، لأنه يكمل كل ما يعيننا، وتتحرك الشجاعة الحقيقية في إطار التوقيت الإلهي، وفي الوقت المناسب.

ظن بعض الناس الذين راقبوا خدمة المسيح أنه مختل، وخجل إخوته منه حتى طلبوا منه أن يذهب إلى مكان آخر ليُجري معجزاته (مرقس ٣: ٢١، ٣١-٣٥). وأعطوه خياراً آخر: أن يقدم تعاليمه ويُجري معجزاته في العلن ليدهش السامعين. فكانت إجابته "إِنَّ وَقْتِي لَمْ يَحْضُرْ بَعْدُ" (يوحنا ٧: ٦).

فكم واحدة منا تقدر أن تضبط نفسها هكذا؟ لو استطعت أن تجري معجزات وتعلمي تعاليم (كما فعل هو وعلم) وتحدوك أن تعلمي عن نفسك، فماذا ستفعلين؟ هل كنت تنتظرين حتى يحين الوقت المناسب، أو هل كنتِ تفعلين ما يطلبونه منك مع أن هذا يخالف الأوامر الإلهية؟

جميل أن تكون عندنا خطط، ويجب أن نخطط بشجاعة، لكن يجب أن نكون حكماء نعرف أن كل خططنا باطلة بدون إرشاد الله.

”إِنَّ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ فَبَاطِلًا يَتَّعَبُ الْبَنَّاؤُونَ“ (مزمور ١٢٧: ١).

يمكن أن نبني بدون الأساس الإلهي، لكن البناء على أساس ضعيف لا بد أن يسقط!

حماقة الثقة بالنفس

لما كان هدف كتابة هذا الكتاب أن تكوني امرأة واثقة فأني أكرر ما قلته في البداية: إني لا أتحدث عن الثقة بالنفس. ولا أريدك أن تثقي في نفسك ما لم تكن لهذه الثقة جذورها في الرب. لو كانت ثقتنا بنفوسنا ثمرة عمق جذورنا في الرب تكون هذه الثقة من النوع الجيد الذي ينتج شجاعة حقيقية، فقد قال بولس إن ثقتنا بأنفسنا نابعة من ثقتنا في الله.

على كل من تظن أنها شجاعة أن تسأل نفسها إن كانت واثقة أم مخدوعة. قال بل كروفورد ”الفرق بين الثقة بالنفس والخداع كالفرق بين الثقة والخوف. كان المسيح واثقاً وكان هتلر خائفاً“. عندما أتكلم عن الثقة يتساءل السامعون عن الفرق بين الثقة بالنفس والخداع، ويقولون إنهم تعلموا ألا يعلنوا (أو حتى يفكروا) في أمور إيجابية عن أنفسهم.

فإن هم أعلنوا يبدو أن الأنا عندهم متضخمة وأنهم أنانيون. يعلم الآباء أولادهم ألا يتفاخروا، فلا يوجد من يحب الاستماع لمتفاخر متكبر يعتقد أنه يملك حل كل مشكلة.

وهناك من يظن أنه يعرف الكثير، وهو في واقع الأمر لا يعرف شيئاً. ونحن نبدأ نعرف حين نبدأ نعرف أننا لا نعرف.

وعندما نعلم أولادنا عدم التفاخر يجب أن نعلمهم أنه لا خطأ في أن يذكروا ما يعرفونه حقاً. فإذا كان أحدهم يطلب وظيفة لا يجب أن يتردد في إظهار ما يعرفه من إجابات وإلا تضيع منه الوظيفة. فلنكن واثقين بأن ثقتنا عميقة بالرب، فنحن ما نحن من عمل نعمته ورحمته.

خذي كل مدح يصل أذنك
على أنه وردة. وفي نهاية
اليوم خذي ما وصلك من
ورود واجمعيها في باقة
قدميها لله، معترفة أنها
جاءتك من عنده

الثقة تولد ثقة. عندما تقدّم سيدة نفسها لي في ثقة أثق أنها قادرة على إنجاز المطلوب منها، ولا يحتاج الأمر أن تكرر قولها لي إنها بدون الله لا شيء. لكنها يجب أن تكرر هذه العبارة له في صلاتها.

مدحتُ صديقاً تقياً على الشواء اللذيذ الذي قدمه لنا، فقال إن الفضل يعود للرب وليس له. وأعتقد أنه كان يمكن أن يجيب أفضل مما أجاب لو أنه قال "أشكرك على هذا الإطراء" وفي صلاته يشكر الرب الذي ساعده. فلنقبل المديح الذي يقدمه لنا أصدقاؤنا على أنه وردة. وفي نهاية اليوم نأخذ ما وصلنا من ورود، ونجمعها في باقة نقدمها لله، معترفين أنها جاءتنا من عنده.

في سفر الأمثال آيات كثيرة عن الثقة بالنفس، تؤكد أن الجاهل وحده يثق بنفسه:

"كَالثَّلْجِ فِي الصَّيْفِ وَكَالْمَطَرِ فِي الْحَصَادِ، هَكَذَا الْكِرَامَةُ غَيْرُ لَائِقَةٍ بِالْجَاهِلِ" (أمثال ٢٦: ١)

يضرب الشيطان الجاهل (والمرأة الجاهلة) تفتح له الباب من خلال

ثقتها في نفسها. فالرب هو حمايتنا وحصننا ولكن عندما نضع ثقتنا فيه لا في أنفسنا. وعندما نتكل عليه في كل شيء نواجهه نختبر عنايته العجيبة.

قد تواجه المرأة الواثقة في نفسها أزمات مالية لأنها تعقد صفقة خاسرة، أو لأن شريكاً يغشها، أو لأنها تستثمر مالها في البورصة فتخسر، أو لأنها تتحرك بمعرفتها الشخصية بدل أن تطلب حكمة الله.

وتواجه الجاهلة ضربات شيطانية في عقلها، فهي تقلق وتجادل وتخاف، وتعتمد على نفسها في حل مشاكلها، فتفكر كثيراً بانزعاج.

وتواجه الجاهلة ضربات شيطانية في مشاعرها، فلا شيء يسير في طريق صحيح لمن تعتمد على نفسها، وينتهي بها الأمر إلى الاضطراب لأن خطتها فاشلة، فتقضي عمرها في تشويش.

ولا يوجد تشويش أكثر من أن تبذل كل جهدا لتحل مشكلة فتجدها تزداد تعقيداً، فتعتقد أن هناك خطأ فيها وأن الرب يمنع نجاحها. والواجب أن نسرع لاجئين للمراحم الإلهية.

لو أني قدمت ١ بطرس ٥:٥ في صياغة جديدة تحافظ على المعنى لقلت "عليكم جميعاً أن تلبسوا التواضع، ولا تسمحوا لأحد أن ينزع تواضعكم عنكم. عيشوا متحررين من الكبرياء والطمع فيفتخر الله بكم، لأنه يهلك المتفاخرين، ويجبر كسور المكسورين".

تصادفنا المشاكل عندما نظن أننا أعظم من واقعنا، ولا نرى نفوسنا على حقيقتها، فإن الكبرياء وعدم القدرة على التأقلم مع الآخرين تحجب عيوننا عن نقائصنا فنعجز عن احتمال نقائص الآخرين.

هل يمكن أن نكون متواضعين وشجعاناً؟

من الممكن أن نكون متواضعين وشجعاناً في آن واحد، بل يستحيل أن نكون شجعاناً بالحقيقة بدون تواضع. وكان يشوع يمتلك الفضيلتين، فقد طلب الله منه أن يكمل خدمة موسى ويدخل العبرانيين أرض الموعد. ومع تكليف يشوع وعد الله أن يكون معه كما كان مع موسى (يشوع ١: ٥). وترجع طمأنينة يشوع وثقته إلى حقيقة الوعد الإلهي أن يكون معه، فتقدم للقيام بعمل لم يكن في ذاته مؤهلاً له. ولا بد أن يشوع كان خائفاً لأن الرب كرر له القول "لا تخف" أي لا تجر من المسؤولية. وقال الله ليشوع إنه إن تقوى ووثق في الرب سيقود الشعب ليرث أرض الميعاد.

"لَا يَفُفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. كَمَا كُنْتُ مَعَ مُوسَى أَكُونُ مَعَكَ. لَا أَهْمُكَ وَلَا أَتْرُكَكَ.

تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ، لِأَنَّكَ أَنْتَ تَقْسِمُ لِهَذَا الشَّعْبِ الْأَرْضَ الَّتِي حَلَفْتُ لِأَبَائِهِمْ أَنْ أُعْطِيَهُمْ.

إِنَّمَا كُنْ مُنْتَشِداً، وَتَشَجَّعْ جِداً لِتَحْفَظَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَكَ بِهَا مُوسَى عَبْدِي. لَا تَمَلْ عَنْهَا يَمِيناً وَلَا شِمَالاً لِتُفْلِحَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ" (يشوع ١: ٥-٧).

لاحظي كيف ينبّر الله على جلاله الإلهي. كان يجب على يشوع أن يركز نظره على الرب وعلى وصاياه، ولا يشغل نفسه بشيء ربما يخيفه، بل يشغل كل فكره بهدفه ورسالته. فإن أطاع الله لا يساعد نفسه فقط، بل سيقود بني إسرائيل إلى حياة أفضل. ولما كان يحتاج إلى تشجيع مستمر كرر الرب له التشجيع بقوله:

”أَمَا أَمَرْتُكَ؟ تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ! لَا تَرْهَبْ وَلَا تَرْتَعِبْ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مَعَكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ“ (يشوع ١: ٩).

ومن كلمات الرب هذه ليشوع قد يكون هناك أسباباً ستجعل يشوع بالطبيعة يشعر بالخوف والرهبة ويفكر في الانسحاب من المهمة. فعندما نخطو خطوة إيمان لتتقدم في الحياة ربما نلقى مقاومة، لكن عندنا الضمان الإلهي أن الله سيعطينا كل ما نحتاج إليه. لا نحتاج أن نعرف ما سيفعله الرب، ولا كيف سيعمله، ولا متى سيعمله. كل ما نحتاجه أن نتأكد أنه معنا.

لا تخافي!

كان إرميا شاباً صغيراً عندما كلفه الله بمسؤولية كبيرة، فقد دعاه ليكون نبياً للشعوب يتكلم الله على فمه. وخاف إرميا وبدأ يلتمس الأعذار لنفسه لكي لا يقوم بالتكليف الإلهي. كان ينظر إلى نفسه في وقت كان يجب أن ينظر فيه للرب، كما كان ينظر للناس ويتساءل كيف سينظرون له إن أطاع ما يأمره الله به. وأجاب الله على كل تساؤلات إرميا، وأمره أن يتوقف عن الكلام ويمضي لتنفيذ كل الأوامر الإلهية. قال له ”لَا تَخَفْ مِنْ وُجُوهِهِمْ، لِأَنِّي أَنَا مَعَكَ لِأُنْقِذَكَ يَقُولُ الرَّبُّ“ (إرميا ١: ٨). تسلّم إرميا من الرب ما تسلّمه يشوع بالقول: لا تنظر إلى الظروف حولك، بل اذكر أنني معك، أدبرك كل احتياج.

اختبر ولدٌ عمره خمس سنوات ما اختبره إرميا عندما طلبت أمه منه أن يذهب إلى حجرة الخزين ليأتي لها بعلبة عصير طماطم، فلم يُرد أن يذهب وحده وقال ”المكان هناك مظلم وأنا خائف“. وكررت الأم طلبها، وكرر الصغير ذكر مخاوفه. وأخيراً قالت الأم ”سيكون يسوع معك

هناك". فسار ببطء إلى الباب وفتحه، ثم نظر إلى الداخل فوجد المكان مظلماً وقرر أن يتراجع. ولكن خطرت بباله فكرة، فقال "يا يسوع، إن كنت موجوداً بالداخل هل يمكن أن تناولني علبه عصير طماطم؟".

وفي إرميا ١: ١٧ نقراً أن الله قال لإرميا "قُمْ وَكَلِّمَهُمْ بِكُلِّ مَا أَمَرُكَ بِهِ. لَا تَرْتَعْ مِنْ وُجُوهِهِمْ لِيَلَّا أُرِيْعَكَ أَمَامَهُمْ". إن الله يريدنا أن نواجه الأمور لا أن نجري منها، فإن كل ما تهرب منه ينتظرك في مكان ما. ونجد ضمان قوتنا في إرميا ١: ١٩، حيث يقول "يُحَارِبُونَكَ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْكَ، لِأَنِّي أَنَا مَعَكَ يَقُولُ الرَّبُّ لِأَنْقِذَكَ". لقد نبه الله إرميا بوجود حرب ضده، لكنه لا يجب أن يخاف لأن النصر في نهاية المطاف ستكون من نصيبه.

اتركي الشجاعة الزائفة وخذِي الحقيقية

بدأ الرسول بطرس بشجاعة زائفة ظنّها في نفسه، فقد كان في مواقف كثيرة عجولاً أحمق عنيفاً، كان أول من يتكلم، وكثيراً ما أظهرت أقواله كبريائه، كما لم تكن مناسبة، وكان يظن أنه أفضل من حقيقته. وكان يجب أن يهجر ثقته في نفسه ليثق في الرب. وحاول المسيح أن يخبره إنه سينكره ثلاث مرات في فترة قصيرة جداً، ولكن بطرس ظن هذا مستحيلاً. وعندما ألقى القبض على المسيح عُرف بطرس أنه تلميذ المسيح فأنكر ذلك ثلاث مرات، وهكذا انهار الذي ظن أنه بطل شجاع أمام الأزمة الحقيقية (لوقا ٢٢).

وعد المسيح تلاميذه أنه بعد موته وقيامته سيرسل الروح القدس ليملأهم بالقوة، فيختبرون الشجاعة الحقيقية المؤسسة على إيمانهم به. وحصل بطرس وسائر التلاميذ يوم الخمسين على قوة من الأعالي

(أعمال ٢) فألقى بطرس عظته بشجاعة دون أن يعبأ بما يظنه فيه السامعون. كان بطرس سابقاً يتظاهر بالشجاعة أما بعد تويته فقد أيدته ثقة صادرة إليه من عند الله.

من نواجه؟

تأملنا التحديات التي واجهت يشوع وإرميا وبطرس. فما هي التحديات التي تواجهك اليوم؟ هل هناك تهديدات تلوح في أفقك؟ إن كانت إجابتك "نعم" لا تنسي أن الله معك لن يهملك ولن يتركك. اطلب عونه وسيهبه لك. لا يوجد ما يدعوك لأن تتظاهري بالشجاعة. إن كنت خائفة قولي الحقيقة للرب. إن كنت قلقة ألقى على الرب همك، فهو يعرف كل شيء ويعرف أنك مهمومة وخائفة. وأنا أشجعك أن تقولي إنك لن تدعي الخوف يمنعك من التقدم للأمام. قولي "أشعر بالخوف، ولكنني أختار الشجاعة".

الفصل الخامس عشر

الفايزون لا يتوقفون

يمكن أن تختار المرأة الواثقة التوقف، فهي تقرر ما تريده وما تحتاجه قبل أن تقدم للحصول عليه. ولا بد أنها ستقابل مقاومة مهما كانت محاولاتها في الحياة. قال الرسول بولس "انْفَتَحَ لِي بَابٌ عَظِيمٌ فَعَالٌ، وَيُوجَدُ مُعَانِدُونَ كَثِيرُونَ" (١كورنثوس ١٦: ٩). فالواثق يعرف أنه يقدر أن يواجه كل ما يعترض طريقه، ولا يخشى مما لم يأت بعد.

أذكر الأحد الأول الذي خدمت فيه في إحدى الكنائس وكان هدفنا أن نجد المتألمون المجروحون أملاً، فاعتليت المنبر وقلت بصوت عالٍ "جئت إلى هنا لأبقى".. قلت هذا لأنني أعرف بعض من سبقوني في الخدمة في هذه الكنيسة، وبعد وقت قصير توقفوا. وكنت عازمة أن أكمل ما بدأت به.. وواجهنا مقاومة، فالكنائس المحيطة بنا لم تكن مستريحة لقيام خدمة كنيسة جديدة في منطقتهم خوفاً من أن نخطف أعضاءهم، ولسان حالهم "لا نحتاج لخدمة كبيرة هنا تأخذ منا أعضاءنا". وهذا يدل على الخوف والحماسة.

ولم نفكر في ترك هذه الكنيسة حتى بعد أن أصيب أحد موظفينا بطلقات نارية، وسرقة سيارتين خاصتين بخدمتنا.. وكان بعض العابدين معنا يجدون نوافذ سياراتهم مكسورة لأن أحدهم كسرها أثناء أدائهم العبادة، ولكنهم لم يتركونا.. وقامت علاقة غرامية بين أحد خدامنا وسكرتيرته، وعزمنا أن نبقي بالرغم من هذا. قال الخوف "عندما

يسمع العابدون هذا النبأ سيهجروننا" فقلت "إن هجرنا واحد سيرسل الله اثنين بدلاً منه". وشرحت للعابدين ما حصل وقلت إننا سنستخدم خادماً آخر بعد أن استغل الشيطان سقطة الخادم الأول ليقسم الكنيسة، ولكننا لن نسمح لهذا أن يحدث. وسرّ العابدون بصراحتنا ولم يتركنا أحد. وفي ذلك الوقت وصل عدد الحاضرين إلى ألف عابد.

عندما تحاولين عمل شيء ويرفع الخوف رأسه القبيحة اعرفي أن الخوف يريد أن يوقفك لتهربي وتنسحي وتختبئي، بينما الرب يريدك أن تكلمي ما بدأته. أعطى الله للرسول بولس خدمة كان يجب أن يكملها بالرغم من معرفته أنها تكلف سجوناً ومعاناةً، لكنه ثبتّ نظره على خط النهاية لا على متاعب الطريق إلى ذلك الخط، وقال إنه سيكمل الجهاد بفرح "وَلَكِنِّي لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ، وَلَا نَفْسِي ثَمِينَةً عِنْدِي، حَتَّى أُتَمِّمَ بِفِرْحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لِأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ" (أعمال ٢٠: ٢٤).

لم يكتفِ أن يكمل ما بدأه، بل أراد أن يكمله بفرح، ولا يمكن أن الخائف يفرح، فالخوف يعذب وهو يشرح لنا بالتفصيل الصعاب القادمة علينا، بالرغم من أنها قد لا تجيء! وكان بولس يعلم أنه مهما جرى له فسيكمل، لأن أمانة الله ستقويه.

احترسي مما تركزين النظر عليه

لو أننا ركزنا نظرنا على الجبابة سيستولي الخوف منهم علينا، فثبّتي نظرك على المكافأة لا على الألم. ويقول بولس إنه كان مضغوطاً من كل جانب ومضطهداً من كل جهة، ولكنه رفض أن يتوقف، وقال "مُكْتَبِّبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لَكِنْ غَيْرَ مُنْضَايِقِينَ. مُتَحَيِّرِينَ، لَكِنْ غَيْرَ يَائِسِينَ."

مُضْطَهَدِينَ، لَكِنْ غَيْرَ مَئْرُوكِينَ. مَطْرُوحِينَ، لَكِنْ غَيْرَ هَالِكِينَ.. لِذَلِكَ لَا نَفْشَلُ. بَلْ وَإِنْ كَانَ إِنْسَانًا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالِدَاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا.. وَنَحْنُ غَيْرُ نَاطِرِينَ إِلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لَا تُرَى. لِأَنَّ الَّتِي تُرَى وَقْتِيَّةٌ، وَأَمَّا الَّتِي لَا تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ" (٢كورنثوس ٤: ٨، ٩، ١٦، ١٨).

إن ركزت النظر في مشاكلك كثيراً وفكرت فيها وتكلمت عنها فالأغلب أنها ستهزمك. ألقى نظرة على مشاكلك، لكن ثبتي نظرك على يسوع. نحن لا ننكر وجود المشاكل ولكننا لا نسمح لها أن تسيطر على تفكيرنا، فكل مشكلة تتغير، وكل شيء مستطاع لدى الله.

إن ركزت النظر

في مشاكلك

وفكرت فيها

وتكلمت

عنها كثيراً

فالأغلب أنها ستهزمك.

ألقى نظرة على مشاكلك،

لكن ثبتي نظرك

على يسوع

عندما واجه داود جليات الجبار لم يصرف ساعات يتأمل في الجبار وهو يفكر في طريقة ربح المعركة، فيقول الوحي إنه ركض نحو خط المعركة وهو يتكلم عن الرب ويعلن نصره القادم. لم يركض من أمام الجبار بل ركض نحوه.

قال روبرت شولر "لو أعطيت أذنك للمخاوف ستموت كان من الممكن أن تكون شخصاً عظيماً".

ولو أن داود جرى من أمام جليات ما صار ملكاً على بني إسرائيل، وقد مسح ملكاً قبل أن يلبس التاج بعشرين سنة قابل أثناءها جبابرة برهنت أنه يمكن أن يحتمل الصعاب بدون توقف.

هل خاف داود من جليات؟ أعتقد أنه خاف، فهو يذكر في مزاميره أنه

مرَّ بمخاوف. قال "فِي يَوْمِ خَوْفِي أَنَا عَلَيْكَ أَتَكَلُّ. اللَّهُ أَفْتَخِرُ بِكَلَامِهِ. عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَلَا أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الْبَشَرُ!" (مزمور ٥٦: ٣، ٤)

لقد شعر بالخوف ومع ذلك اختار أن يتوكل على الله.

لا تتوقفي أبداً

قال الرسول بولس إننا نجري في سباق لنربح المكافأة، وربحها يتطلب استعداداً وتدريباً وتضحية وعزيمة واستمراراً، كما يكلف وقوعاً كثيراً نتغلب عليه مرة بعد مرة.

في سنة ١٩٢١ كتب بيتر كاين قصة رجل عرف كيف لا يتوقف، عنوانها "المضي للحصول" كانت سبب إلهام لكثيرين، أقدم ملخصاً لها:

عاد "بل بك" من الحرب العالمية الأولى بعرج وقد فقد ذراعه الأيسر، لكنه كان يملك عزيمة أعظم من عزائم عشرة رجال أصحاب مجتمعين. وكتب مرتين لإحدى شركات تقطيع الأشجار إلى أخشاب طالباً وظيفة دون أن يتلقى رداً، فكتب الثالثة يقول للمدير "أطلب أن تعطيني وظيفة.

لا يهمني ماذا تكون، ما دمت قادراً على القيام بمتطلباتها. فإن قدرت أن أقوم بهذا فسأشتغلها بأفضل من كل من قام بها قبلي. وإن لم أوفق سأستقيل حتى لا أكلفك عناء طردي".

وأعجب المدير بعزم طالب الوظيفة لأنه قدم طلبه بأسلوب مقنع، ولأنه لم يفقد الأمل بل عاود الطلب.

ولكنه أعطي وظيفة صعبة جداً هي تسويق أخشاب شجرة رديئة الرائحة وشديدة الصلابة. وقبل بل التحدي وقال للمدير "إن شاء الله سأحقق طلبك".

ومضى شهران دون أن تسمع الشركة أي خبر من بل. ولكن فجأة بدأت رسائله تصل للشركة

”أرسلوا حمولة عربتين من الخشب إلى.. وحمولة عربية إلى.. علماً بأن ثمن بيع الأخشاب أكبر مما سَوَّقَ به سابقى في العمل“. وزادت رسائله حتى طلب المدير منه أن يسوِّق أنواعاً أخرى من الأخشاب.

وعندما عاد بل من رحلته التسويقية الأولى أعطي مكافأة أفضل موظف، وزيد راتبه.

وأراد المدير أن يختبر بل أكثر، فقال له إنه رأى إناءً للزينة أزرق اللون في أحد المحلات وطلب من بل أن يشتريه ليأخذه معه ليهديه لابنته ذلك المساء بمناسبة احتفالها بعيد زواجها. وعندما ذهب بل لعنوان المحل المُعطى له اكتشف أن المدير أعطاه عنواناً خطأً. وسار بل على قدميه للعنوان الصحيح فوجد المحل مغلقاً ذلك المساء. وكان اسم صاحب المحل مكتوباً على الباب. ففتش بل في دليل التليفونات حتى وجد عنوان منزل صاحب المحل الذي كلف أحد معاونيه أن يفتح المحل ويبيعه الإناء.

كان الإناء غالي الثمن فرفض معاون صاحب المحل أن يقبل شيكاً، ورفض المدير أن يساعد بل بشيء وأصرَّ أن يتصرَّف بل ويحضر الإناء. فما كان من بل إلا أن رهن خاتم زواجه ليأخذ الإناء الأزرق!

وعندما عاد بالإناء وجد أن المدير استقل القطار ليحضر حفل ابنته. فطلب بل من طيار صديق له أن ينقله بطائرته إلى محطة لم يصلها القطار بعد. ومن على رصيف تلك المحطة أشعل جريدةً بالنار وأوقف القطار، وفتش على المدير بين الركاب وأعطاه الإناء الأزرق.

وكان هذا الاختبار كافياً أن يوليَّ المدير "بل" وظيفة كبرى في الشركة لأنه لم يتوقف عن المحاولة، بينما أي شخص يلاقي من المشكلات ما لاقاه "بل" كان سيتوقَّف عن المحاولة.

يا لها من قصة! ألا تشجعك؟ ألا تدفعك لأن تكملني سعيك لتحقيقي أهدافك؟ الذي أعجبني في القصة أن بل كان يمكن أن يتوقَّف عند أي نقطة. كان يمكن أن يفتح المحل عنوة، أو كان يمكن أن يعود للمدير بخُفي حنين. لكنه استخدم الاستقامة والتصميم وما يعاونه على تحقيق ما أراد. الجبناء يتوقفون أما صاحبات الثقة والشجاعة فيكملن المشوار.

لا يحصل المنتصرون دوماً على المكان الأول، لكنهم يكملون ما بدأوه. عندما عرف بل أن القطار فاته كان يمكن أن يقول "حاولت وفشلت" ولكنه لم يفعل، فنال وظيفة هامة وراتباً كبيراً. هل أنت مجرِّبة الآن ألا تكملني أمراً؟ لا بل أكمليه فتحصلي على بناء ثقتك بنفسك وزيادتها، وهذا مهم.

عندما تختارين الطريق السهل يثور ضميرك، فلا تتجاهليه لأنه سيقول لك إنك لم تبذلي غاية جهدك. وعندما تواجهين قرارات ترهقك ثقي في قدرتك على إحراز النجاح وقولي مع بل "إن شاء الله سأحقق طلبك".

الضمير المعذب يلتهم الثقة

تعلمت من الاختبار أن الضمير المعذب يعطل انسياب الثقة. والثقة التي أعنيها هي الإيمان بأن الله سيساعدك وينجحك في كل ما تفعلين. لكن عندما نخطئ نبتعد عن الله بدل أن ننتظر معونته، فننتوقف بدل أن نتقدم لأننا غير راضين عن نفوسنا.

سمعت سيدة عن خلو وظيفة في الشركة التي تعمل بها، وأرادت أن تتقدم لها لتحصل على راتب أكبر وتحتل مكانة أفضل. وطلبت من رئيسها في العمل أن يحدد لها موعداً لاختبار قدرتها على القيام بمسؤوليات تلك الوظيفة، فضرب لها موعداً في اليوم التالي. ولم تنم ليلتها لشدة خوفها من أن لا تحصل على الوظيفة.

وعندما جاءت ساعة المقابلة في اليوم التالي لم تكن متأكدة إن كانت ستجري المقابلة، وضاعت منها ثقتها. وعندما بدأت المقابلة لم تكن واثقة بنفسها. وعندما سُئلت إن كانت تقدر أن تقوم بواجبات الوظيفة أجابت "أرجو ذلك". فأدرك الممتحن أنها ليست واثقة من نفسها، وأنهى المقابلة. وفي اليوم التالي وجدت رسالة في صندوق بريدها تخبرها أن شخصاً آخر نال الوظيفة.

وبدأت تصلي طالبة معرفة سبب نقص ثقتها. وبعد وقت من فحص الذات والصلاة أدركت بعض ما حدث لها في العمل في الشهور الماضية، فقد صرفت أوقاتاً طويلة في المكالمات التليفونية الشخصية، مع أن هذا ضد قوانين الشركة. ومع أن ضميرها لامها على ذلك إلا أنها أراحته بقولها إن الشركة تظلمها ولا تدفع لها راتباً مناسباً. كما كانت تتأخر عن العمل في وقت سفر مديرها. وعندما لامها ضميرها على هذا وجدت ما أسكته به، مع أن الوحي يقول "إِنْ قُلْنَا إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيئَةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا" (١ يوحنا ١: ٨).

وكان الحق واضحاً: إنها أخطأت وسرقت حق الشركة، وحاولت الهروب من مسؤوليتها وإسكات ضميرها. وهنا عرفت لماذا تأكلت ثقتها بنفسها: لم يكن ضميرها مستريحاً لما عملته.

إن شئت أن تسييري واثقة متأكدة مرفوعة الرأس حافظي على ضميرك طاهراً أمام الله والناس.

إن توقّفك رغم ضرورة استمرارك يزعج ضميرك، فالله أعطانا الروح القدس لكيلا نستعبد للخوف، ووهبنا قوة روحه لنكون قويات الإرادة فلا نتراجع يوم تواجهنا المصاعب. اذكري القول الكريم "لأنّ الله لم يُعْطِنَا رُوحَ الْفَسْلِ، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ" (٢ تيموثاوس ١: ٧)

ستقابلين المقاومة دوماً

أعطاني الله حُلماً في بداية خدمتي: رأيت نفسي أسوق سيارتي على طريق رئيسية تتوقف بعض السيارات على جانبيها، وتتراجع بعضها من السفر عليها، فخمّنت أن هناك مشكلة ما في الطريق، ولكني لم أعرف ماهيتها. وسقت سيارتي بشجاعة حتى وصلت إلى كوبري (جسر) تفيض المياه من تحته إلى فوقه، فأدركت أن سائقي السيارات خافوا من خطورة فيضان الماء.

وانتهى حلمي وأنا في سيارتي أنظر إلى المياه التي تلو وأتساءل: هل أترجع مع المتراجعين؟ أو هل أتوقف على جانب الطريق مع المتوقّفين؟ أو هل أتقدم وأكمل سفري؟ ثم استيقظت من حلمي.

استخدم الرب هذا الحلم ليُريني أنه عندما أسعى نحو هدف لا بد أن تواجهني مقاومة. وسيكون أمامي اختيار التوقف على جانب الطريق فلا أتقدم للأمام؛ أو التراجع إلى حيث بدأت. ولي أن أختار أي أسلوب أتبع. وقد علّمني هذا الحلم أن أستمّر مهما كانت الصعوبات التي قد تجبرني على التوقف.

وقد قررت أنه بالرغم من أنني لا أكون دائماً على صواب، ولا أحصل دائماً على ما أريده، إلا أنني يجب أن أمتد إلى ما هو قدام، فإن العزم والتصميم يوصل إلى أفضل مما توصل إليه المواهب الشخصية. فتشجعي إن شعرت بنقص أو ضعف في مواهبك، فالعزم هو أهم ما تحتاجينه في الحياة.

الفصل السادس عشر

كوني امرأة شجاعة

كلنا في وقت ما تمنينا أن نكون أكثر شجاعة. فكري في شجاعة يوكابد أم موسى، فقد تحدت أمر فرعون بإلقاء طفلها في النهر وخبأته ثلاثة أشهر، ثم وضعت في سلة في النهر مصلية وواثقة أن الرب سيدبر. وأظهرت ابنتها مريم شجاعة وهي تراقب أخاها الطفل وابنة فرعون تقترب منه. وبدل من أن تهرب أو تتراجع تقدمت في شجاعة نحو الأميرة وعرضت عليها أن تأتيها بمرضعة تعتني بالطفل، هي أمه.

الشجاعة تعني المواجهة والمخاطرة، ونجدها في يوكابد ومريم اللتين واجهتا الخطر والصعوبة بحزم وإصرار. ونحتاج كلنا للشجاعة التي يعطيها الله، وهي عكس الخوف الذي يقدمه إبليس. كنتُ دائمة الخوف ولو أنني كنت أظهار بالشجاعة إلى أن نمت علاقتي بالرب. ويطالبنا الوحي أن نتشجع، وهذا يعني توافر الشجاعة لنا كما يتوافر الخوف. فإرفض الخوف وافتحي قلبك للشجاعة.

”قَدْ كَلَّمْتِكُمْ بِهَذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِي سَلَامٍ. فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضَيْقٌ،
وَلَكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ“ (يوحنا ١٦: ٣٣).

أعيدي قراءة هذه الآية وتأملّي كل كلمة منها لتحصلي على ما قصده المسيح لك. إنه يقول إنك ستمرّين في ضيق وتجارب ومفشّلات، لكن لا تسمح للقلق أو الاكتئاب أن يكونا من نصيبك لأنه يعطيك ثقة

وتأكيداً، إن قبلتهما منه. فمهما يجيء عليك من ضيق تقدرين أن تخرجي منه سعيدة منتصرة. ضيقاتنا لا تحزننا، لكن موقفنا تجاهها هو الذي يحزننا أو يفرحنا.

عندما تجيء الضيقات علينا يقدم الشيطان لنا الخوف، أما المسيح فيقدم الثقة والشجاعة. فماذا تختارين منهما؟ إجابة هذا السؤال يمكن أن تكشف سبب الإحباط والخيبة.

قال أيوب "الَّذِي فَرِغْتُ مِنْهُ جَاءَ عَلَيَّ" (أيوب ٣: ٢٥). عَرَضَ الشَّيْطَانُ الخوف والفرع على أيوب وكان سماعه الفكرة وتجاوبه معها سبب الفرع الذي جاء عليه فسبَّ يومه (أيوب ٣: ١).

أمرنا المسيح في يوحنا ١٦: ٣٣ "تُقَوُّوا" ولم يقل "اشعروا بالثقة". فنقدر أن نختار الثقة حتى لو لم نكن نشعر بذلك، فاختاري الآن أن تكوني واثقة في كل حالة فتَهْزِمِينَ الخوف. وعندما يعرض الشيطان الخوف عليك أعيديه ثانية له. أنت لا تشربين السم لأن شخصاً ما عرضه عليك. فارفضي الخوف وتدثري بالشجاعة.

تثبيط الهمة

عندما أتحدث عن تثبيط الهمة أفكر في روح ظالم مستبد يطفئ شجاعتنا ويسلب منا ثقتنا اللتين يريد الله أن يمنحهما لنا. ولما لم يكن تثبيط الهمة من عطايا الله، فهو من عند الشيطان، فالله يعطي شجاعة والشيطان يعطي جُبْناً، يجرِّبنا به بتكرار إثارتنا، أو بتكليف شرير يمرِّقنا ولا يبيننا.

سمعت عن رجل عمره ٤٢ سنة شعر بآلام في ظهره، فذهب للطبيب

واكتشف أنه مصاب بالسرطان في عدة أعضاء من جسمه، فلم يفقد سلامه ولا شجاعته إلى أن قال الطبيب له "لا أمل". وياله من طبيب غبي! صحيح أنه طبقاً للقانون على الطبيب أن يخبر المريض بالحقائق، لكن يجب أن يقولها بأسلوب مهذب. كما أن هناك دوماً أملاً، فللمؤمن دوماً رجاء في المسيح.

لا تصرفني وقتاً مع من يضيع أملك ورجاءك ويركز حديثه على الجانب المظلم من الأمور. فأن يجذبك شخص وأنت واقفة على كرسي فتقعين أسهل من أن تجذبي أنت هذا الشخص ليقف معك. فكوني على حذر لتحفظي بشجاعتك.

التشجيع

لم يكن من السهل على شخص أن يعمل تحت إمرة الدوق ولنجتون (القائد الذي هزم نابوليون في معركة واترلو) فقد كان بالغ الذكاء يطالب العاملين معه بالكثير، ولا يمتدح عمل أحد. على أنه لاحظ أن هناك شيئاً ينقصه. وسألته فتاة قرب نهاية حياته عما يحب أن يفعله لو أنه بدأ عمره من جديد، فقال بعد قليل من التفكير "أن أكثر من مدح الآخرين".

نحتاج كلنا إلى الشجاعة لأنها تزيد ثقتنا فتزيد قوتنا. وهذا ما نحتاجه. لا نحتاج لشخص ما يفسلنا. بالعكس نحتاج إلى مشجعين، ويأمرنا الوحي أن نشجع بعضنا بعضاً.

"لِذَلِكَ عَزَّوْا بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَابْنُوا أَحَدَكُمْ الْآخَرَ، كَمَا تَفْعَلُونَ أَيْضًا"
(١ تسالونيكي ٥ : ١)

عندما أزرع أحصد من
نفس نوع ما زرعت.
فإن زرعت تشجيعاً في
حياة الآخرين
حصدت تشجيعاً منهم

لما كنا نواجه صعوبات في سباق الحياة فإننا نحتاج إلى تشجيع. وكلما زاد التشجيع سهّل علينا الجري، فلا نصرف وقتنا الثمين في الكآبة واليأس. وقد وجدت أن أفضل طريقة للحصول على شيء أريده أن أعطي جزءاً منه، وعندما أزرع أحصد من نفس نوع ما زرعت. فإن زرعت تشجيعاً في حياة الآخرين حصدت تشجيعاً من الآخرين.

عندما نعمل على إحداث شيء في حياة شخص، يعمل الله على إحداثه فينا. هل تجدين نفسك أحياناً تتمنين تشجيعاً أكثر من عائلتك أو من أصدقائك أو من رئيسك في العمل؟ أسألك: هل شجعت أنت شخصاً آخر؟ ابذلي جهداً أكبر في تشجيع الآخرين، وكوني يد الرب ولسانه في تشجيع الآخرين على النجاح، ولا تترددي. هل تعلمين أن الروح القدس هو "المعزي" فهو يبني ويشجع ويريح، وقد أرسله المسيح لنا ليقويننا ويعزينا ويشجعنا ويمكث معنا وفينا، ولا يوجد قرب قريب أكبر من هذا. وهو لا يمكن أن يقول لك "لن تحققي هدفك" و"إنك حالة فاشلة".

يصحح الله حالنا ويؤدبنا عندما نحتاج لذلك ولكنه يشجعنا أيضاً. ويجب أن نعامل أطفالنا بنفس الطريقة. قال بولس "أَيُّهَا الْآبَاءُ، لَا تُغَيِّظُوا أَوْلَادَكُمْ لِئَلَّا يَفْشَلُوا" (كولوسي ٣: ٢١) فلا يجب أن نعاقبهم بدون داعٍ لأن هذا يفسلهم ويُسعرهم بالدونية. وإن كان الله ينصح الآباء بهذا فلا بد أنه يعاملنا هكذا.. فإذا جاءك ما يفسلك من أي مصدر، لا تقولي إن هذا من الله. اطرديه من فكر فوراً.

وإن لم تجدي مصدر تشجيع لك فافعلي ما فعله داود، فقد تشدّد بالرب إلهه (١ صموئيل ٣٠: ٦). فعندما تشعرين أنك بدأت تفقدين الشجاعة قولي لنفسك إنك سبق وجُزت صعاباً بنجاح، وستجوزينها هذه المرة أيضاً بنجاح. ذكري نفسك بالانتصارات الماضية. سجّلي بركات الرب السابقة لك وارجعي لهذا التسجيل واقريه بصوت عالٍ حتى تكوني في رفعة روحية مستمرة.

ستساعدك قراءة قصص شجاعات فوق عادية على أن تتشجعي، فعندما ترين ما فعله غيرك تتشجعين لأنك ستريين أنك تقدرين أن تفعلي الشيء نفسه.

شجاعة غير عادية

يلهمنا الأشخاص الذين أظهروا شجاعة فوق عادية أن نظهر نحن ذات النوع من الشجاعة. وإليك بعض النماذج التي أرجو أن تلهمك:

قبلوا كلهم أن يموتوا

في زمن الحرب أعلن ضابط ياباني له سلطة مطلقة أنه في خلال ثلاثة أيام يجب أن يحضر كل قروي في إحدى قرى فورموزا إلى مركز الشرطة ويلعن المسيحية. فإن رفض أحد فستُرْبَط يداه ورجلاه ويُلقى به من علٍ في مياه نهر سريع الجريان.

واجتمع المسيحيون في نصف الليل ليقروا ما سيفعلونه. قال البعض "ننفذ الأوامر فمن الصعب أن نعلن إيماننا الآن، وإلا فبالتأكيد سيقتلنا". وهنا وقف صبي وقال "ألم يقل المسيح: "لَا تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلَكِنَّ النَّفْسَ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ

مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ؟" (متى ١٠: ٢٨)؛ فلو قتلنا سيقتل الجسد فقط، ولكن نفوسنا ستنتقل لتكون مع الرب". فوافقوا جميعاً على هذا ورفعوا أيديهم إعلاناً لهذه الموافقة.

وفي اليوم التالي ضحك الضابط منهم وقال "غداً ستموتون كلكم". وفي اليوم التالي ذهب هذا الضابط إلى النهر ليتصيد فاصطدمت رجله بصخرة وانكسرت. وبينما كان مسيحيو القرية يصلون جاءهم رسول يقول "الرجل الذي كان سيقتلكم غداً غرق في النهر".

هل كانت هذه صدفة؟ لا أظن ذلك. عندما اختار القرويون الشجاعة لا الخوف فتحت ثقتهم باباً للإنقاذ الإلهي فأغرق الرب الرجل الذي كان سيقتلهم في ذات النهر الذي كان سيقتلهم فيه.

إيقاف التهديد

أثناء الحرب الأهلية الأمريكية لم يكن أحد الضباط محبوباً من جنوده، وبلغه أنه عندما تبدأ المعركة سيصوب جنوده طلقاتهم عليه ليقتلوه. فدعا فرقة جنوده ليقوموا بتنظيف بنادقهم، ثم وقف على مرتفعة وقال "مستعدون؟ صوبوا! أطلقوا النار!". وكان في وسع كل جندي أن يقتل الضابط دون أن يظهر أن هذا قتل عمد.

ولكنهم جميعاً احترمو شجاعته، وامتنع أشد المتحمسين لقتله عن إطلاق النار عليه.

كان يمكن أن هذا الضابط يعيش في رعب مستمر من أن أحد جنوده سيقته في أي وقت، فقرر أن يواجه التهديد بشجاعة، وربحت الشجاعة الموقف.

لا يجب أن نخشى التهديدات، فإن الشيطان يهددنا بأفكار عن أمور سيئة قادمة علينا ليرعبنا. فإن واجهنا هذا التهديد بشجاعة فإنه في معظم الأحيان يتراجع، ولن يفصلنا شيء عن محبة المسيح.

إن نسيت كل ما قرأته من هذا الكتاب، فلا تنسي هذه النصيحة: لا تعيشي عمرك تخافين مما قد يحصل. ربما سمعت أن هناك استغناء عن بعض الموظفين؛ أو أن البورصة تعاني من خسائر؛ أو وصلك تقرير مؤسف من طبيبك.. كل هذا قابل للتغيير

المرأة العظيمة هي
التي لا تسمح للخوف
أن يملكها،
فهي تواجهه
وتسقطه وتهزمه
لأنه إن كان الله معنا،
فمن علينا؟

في لحظة عندما يتدخل الله. استمري في طمان وأمل ولا تعطي الخوف فرصة ليسود عليك، واذكري أن الشجاعة ليست غياب الخوف، بل العمل في حضور الخوف. المرأة العظيمة هي التي لا تسمح للخوف أن يملكها، فهي تواجهه وتسقطه وتهزمه لأنه إن كان الله معنا، فمن علينا؟

شجاعة بالرغم من المحنة

عندما كان بول بارترديج يحارب في فيتنام انفجر فيه لغم أرضي فبُترت رجلاه. وكان يعيش مع زوجته في بيت يقع قبالة بيت سيدة سمعها ذات صباح تصرخ "ابنتي! ابنتي!" فأدرك أن هناك كارثة، فتوجّه إلى حيث صرخت الأم على كرسيه المتحرك، ورافقته زوجته تسير إلى جواره. وبعد ستين متراً تخلّى عن كرسيه وسحب جسده إلى حيث حمام السباحة فوجد فتاة مستلقية كأنها ميتة، فنفخ في فمها

بعض الهواء، وجعل يقول لها "يا صبيّتي، ستعيشين. ستخرجين بصحة. أنا متأكد أنك ستخرجين بعافية". وفجأة بدأت الفتاة تتنفس، فصاح يطلب طبيباً.

نفخ الله في التراب فصار آدم نفساً حية شريفاً نبيلاً. وقد أنقصه قليلاً عن الملائكة (مزمور ٨: ٥). فيمكنه أن يضحى بنفسه لخير غيره. هذا الشريف نبيل النفس خسر رجليه دفاعاً عن وطنه، وجرّ نفسه حتى وصل إلى حيث كانت الصبية وأنقذها من الموت.

كان يمكنه أن يهرب من الموقف بقوله "أنا معوّق لا قدرة لي لإنقاذ الصبية". ولو قال هذا ما لؤمه أحد، بل لا تفق معه الجميع. لكنه فعل ما لا يُنتظر منه لأنه شجاع، وهو يلهمنا شجاعةً لنعاون نفوسنا كما نعاون غيرنا.

واليك قصة مشابهة:

في صباح يوم صيف كان "راي بلانكنشب" يجهز إفطاره عندما رأى طفلة تجرفها مياه الفيضان من علٍ وتحملها إلى النهر بمياهه العالية المندفعة بقوة هائلة. فخرج من بيته بسرعة لينقذ الصغيرة، وهو يعلم أنه بالقرب من بيته شلالات لا أمل للطفلة أن تنجو منها. وألقى بنفسه في الماء وتمكن أن يمسك يد الطفلة. واصطدمت يده بنتوء في الماء، لعله صخرة بارزة، فأمسك به بيده الأخرى. ولكن قوة المياه كانت شديدة جداً على وشك أن تطيح به وبها، فقال في نفسه "آه لو استطعت أن أبقى في مكاني هذا إلى أن يصل رجال الإنقاذ!".

ولكنه فعل أفضل مما قال! فعندما وصل رجال الإنقاذ كان قد سحب الصغيرة ونفسه من الماء، واستلقى كلاهما على الشاطئ. وفي ١٢ أبريل

١٩٨٩ أُعطي ميدالية التكريم بسبب تضحيته. فكم كان غريباً أن يلقي بنفسه في الماء وهو لا يعرف أن يعوم!

لو كنا غير مشغولين بتحاشي الآلام الشخصية فإن الخوف لن يسيطر علينا. دعونا نضع أنفسنا في يد الرب القوية ونقول له إن ما يجري لنا يعنيه هو قبل أن يعيننا نحن. وسيزيد فرحنا ونحن نساعد غيرنا. ولكننا لا نمد لهم يد عوننا لأننا خائفات.

الاهتمام بالآخرين

دفعت بربارا مكوخ ثمناً باهظاً لقبولها مساعدة اليهود عندما كان النازي يحتل بولندا، فقد ساعدت شخصين يهوديين ليجدا الحماية في مدرسة داخلية حيث كانت تقوم بالتدريس، تظاهر أولهما أنه طالب مسيحي، وتظاهرت الثانية أنها طباخة المدرسة رغم أنها طبيبة. ومع أن بربارا وأمها كانا يعيشان على الكفاف ويقيمان في شقة ضيقة، إلا أنهما قبلتا أن تقيم معهما صبية يهودية في السابعة من عمرها أودعتها أمها عندهما حفاظاً على سلامتها. وبسبب خوف بربارا على الصبية الصغيرة أخذتها في رحلة خطيرة إلى مدرسة دير كاثوليكي. وانضمت بربارا وشقيقتها هيلينا إلى جمعية تهدف إلى إنقاذ اليهود. ونجح النازي في اكتشاف عمل بربارا فسجنوها في سجن ثم في معسكر حيث عانت الأمرين، وواجهت أقسى امتحان لشجاعته واحتمالها. ولم يحفظ الرب حياتها فقط، لكن حياة كثيرين من المسجونين معها.

فكري معي في ما فعلته بربارا. كان يمكن أن تخاف وتطلب سلامتها ولا تساعد أحداً، لكنها كانت صاحبة شجاعة فوق عادية، فغامرت بحياتها وأنقذت حياة كثيرين.

حياتي صلاة

كانت ماري خوري في السابعة عشرة من عمرها عندما اضطرت مع عائلتها أن يركعوا أمام بيتهم في الدامور بלבnan أثناء الحرب الأهلية (١٩٧٥-١٩٩٢).

رفع القائد المتعصب مسدسه بدون اهتمام في وجه أفراد العائلة بعد أن غزا الدامور وقال بغضب "ما لم تنضموا إلينا سأطلق الرصاص عليكم".

عرفت ماري أن يسوع مرّ بموقف مشابه عندما واجهه القول "أترك خطتك لتخليص الخطاة، وإلا صُلبت". فاختر الصليب.

وكان اختيار ماري مشابهاً لاختيار سيدها، فقالت "لقد اعتمدت كمسيحية وجاءتني كلمته قائلة: لا تنكري إيمانك. وأنا أطيع كلمته. يمكنك أن تقتلني". وانطلقت الرصاصة فسقط جسد ماري إلى الأرض.

وبعد يومين جاء رجال الصليب الأحمر إلى قريتها، فوجدوها وحدها على قيد الحياة، ولكن الرصاصة كانت قد قطعت عمودها الفقري، وقد سُت زراعاها وثُنيا عند كوعها.

قالت ماري "لكل إنسان عمل يؤديه. وأنا لن أتزوج ولن أقدر أن أقوم بعمل يدوي. ولكنني سأعطي بقية عمري للصلاة من أجل القائد المتعصب الذي أطلق الرصاص عليّ، وذبح أبي، وشتم أمي ثم طعنها، وسأصلي من أجل سائر رجاله. ستكون حياتي صلاة من أجلهم".

يتطلب وقوفك بشجاعة غير عادية حتى الموت من أجل ما تؤمنين به ثقة بالرب. كما أن صلواتك من أجل قاتلي عائلتك وغفرانك لهم يحتاج

إلى ذات النوع من الشجاعة. وعالمنا اليوم مليء بالغضب والمرارة والكراهية، ولكنه سيكون أفضل لو وجدنا عدداً أكبر من الذين يغفرون للمسيئين إليهم.

خذي موقفاً

كتب هارولد داي في كتابه "المعلم" يقول:

رأيت صبياً مكسيكياً سمين الجسم في الثامنة من عمره يتقدم نحو المنبر بعينين ثابتتين، فتوقفتُ عن الوعظ، وصمت العابدون صمتاً كاملاً وهو يقول "سألتنى ماذا كنت أفعل لو كنت ضمن الجماعة التي رأت يسوع يقع تحت ثقل الصليب. أرجوك يا سيدي: كنتُ أساعده".

اسمه بيدرو، أبوه يشتغل في منجم وأمه تنتمي إلى طبقة المنبوذين اجتماعياً. وكنت أعظ عن سمعان القيرواني، وطلبت من العابدين أن يفكروا في قلوبهم ماذا يكون رد فعلهم للمنظر. فتحرك قلب بيدرو وتقدم نحو المنبر ليجيب على سؤالي.

سالت دموعي وقلت لبيدرو "لو أنك ساعدته ليحمل صليبه لألهب جنود الرومان ظهره بسياطهم ولجرى دمك حتى عقبيك!". ولم تتحول نظراته عني، وقال "ما كان يهمني. كنتُ أساعده ليحمل صليبه مهما جرى لي".

وبعد أسبوعين جاء للاجتماع. كنت واقفاً عند الباب أحيي العابدين بعد العبادة ورأيته قادماً فربتُ على ظهره بلطف، فتراجع بصرخة ألم، وقال "لا تلمس ظهري". فأخذته إلى الداخل ونزعت عنه قميصه فإذا ظهره مضروب ضرباً مبرحاً، فصحت في غضب "من فعل هذا؟"

فأجاب "أمي. ضربتني بالكرباج لأني أجيء للكنيسة".

في عالمنا اليوم يأخذ الناس حلوياً وسطاً أكثر مما يقفون إلى جوار الحق، مع أن المسيح طوّب المعذبين من أجل الحق ووعدهم أن يكون لهم ملكوت السماوات (متى ٥: ١٠-١٢). بينما يطلب معظم الناس أجراً دون أن يحتملوا التكلفة. فلو فعلنا ما يطالبنا الله بفعله سنحصل على ما وعدنا به. والخلاص مجاني شرط أن نؤمن، فلنقل للرب "أريد ما تريد". وما أكثر المؤمنين الذين تفوتهم بركات الإنجيل لأنهم يأخذون مواقف وسطاً لا وقفة شجاعة واثقة.

رأى بيدرو أن الواجب أن يحضر الكنيسة، وعانى في سبيل قناعته، وهو نواة بطل روحي يغيّر العالم لأنه يختلف معه فيصيرُه عالماً أفضل، وقليلون من الكبار يفعلون ما فعل.

هل تشتكين من ظروف خاطئة في عالم اليوم؟ اسألي نفسك "ماذا فعلت لأغير هذه الظروف؟". إن لم تكوني قد فعلت شيئاً فتوقفي عن الشكوى وابدئي العمل. خذي موقفاً.

إن كنت الوحيدة المستعدة أن تفعلي شيئاً فستغيرين العالم. قد يضطرك هذا أن تسيري وحيدة. قد تصادفك اضطهادات، لكن المكافأة تعوّض كل تعب. ستشعرين بالاكتماء وأنت تعلمين أنك عشت حياة مليئة بالخير ولم تسمح للخوف أن يسيطر عليك.

إن كنت الوحيدة المستعدة

أن تفعلي شيئاً

فستغيرين العالم

افعلي كل ما بوسعك

يقضي البعض حياتهم في هدوء ولا يقومون بعمل شيء يحسن أحوال العالم. إنهم يريدون أن يعيشوا في سلام فلا يمدون أيديهم لملايين البشر المحيطين بهم الذين يصرخون طالبين العون.

هناك أم قُتل ولدها وعمره ١٤ سنة لأنه كان متواجداً بين عصابتين يتبادلان إطلاق الرصاص؛ وهناك رجل تركته امرأته وهربت مع رجل آخر؛ وهناك الجارة التي عرفت أنها مريضة بالسرطان في مرحلة متقدمة؛ وهناك عائلة ستترك بيتها لأن ربها عجز عن تسديد الأقساط بسبب تعطله عن العمل منذ خمسة أشهر.. ويقول لهم الجميع "الرب يدبر" دون أن يقوم أحدُ بشيء.

يجب أن ندرك أن الله يعمل بالبشر، فنحن يداه وذراعاها وقدماه وفمه وعيناه وأذناه. ويجري الله المعجزات بواسطة أشخاص ذوي شجاعة فوق عادية، ينكرون أنفسهم ويدركون أن الله وضع في طريقهم أشخاصاً محتاجين ومجروحين.

فلنصل للرب ليستخدمنا، منتبهين إلى أننا مرات كثيرة نجد أنفسنا مشغولين عن أن نمد يد العون.

عندما خلق الله آدم وحواء باركهما وأمرهما أن يثمرا ويضاعفا إنتاج الأرض لخدمة الله والإنسان.

فهل أنت مثمرة؟ عندما تشتركين مع الناس هل تضاعفين العطاء؟ بعض الناس يأخذون ولا يعطون، ولكني أريد أن تصبح حياة البشر أفضل. أريد أن ترتسم ابتسامة على وجوه الآخرين.

هل تستخدمين مواردك في خدمة الله والناس؟ لا نريد أن نكون مثل الغني الذي امتلأت مخازنه بالخيرات واحتاج إلى أماكن أكثر ليخزن فيها غلاته، فلم يفكر في مساعدة أحد، بل قال "أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ، وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلَاتِي وَخَيْرَاتِي". فكان من أغبي أهل الأرض. فَقَالَ لَهُ اللهُ: "يَا غَبِيُّ، هَذِهِ اللَّيْلَةَ تُطَلِّبُ نَفْسَكَ مِنْكَ، فَهَذِهِ النَّيِّ أَعْدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟" (لوقا ١٢: ١٦-٢٠).

كانت لديه فرصة تحسين حال عالمه، وكان يمكنه أن يزيد عدد الابتسامات على آلاف الوجوه، ولكنه للأسف لم يفكر إلا في نفسه.

قال المسيح في مرقس ٨: ٣٤ "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُكْرِ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي".

وعندما يسمع البعض نداء المسيح هذا عن إنكار النفس (أي نسيانها) يتساءلون: إن كنت أنسى نفسي، فمن يعتني بي؟.. لا داعي للخوف فإن الله نفسه سيعتني بك، فكل خدمة تقدمينها للآخرين ترجع إليك أضعافاً مضاعفة بالإضافة إلى الفرح. فإن أنكرت نفسك ستحصلين على حياة أفضل بكثير مما كنت ستجدينه لو حافظت عليها لنفسك!

النساء أكثر اهتماماً بحاجات الآخرين، وهن حصيفات دقيقات الملاحظة. وأعتقد أن الله خلقك وخلقني هكذا لتتحرك مشاعرنا نحو تخفيف آلام المتألمين، فنحن خبيرات في إراحة المتعبين. والمرأة الشجاعة معطاءة، فلا تعيش أنانية خائفة، بل اعملي كل شيء بكل طريقة لكل محتاج. فإن جعلت هذا هدفك ستكونين من النادرات اللواتي يجعلن العالم مكاناً أفضل، ويرسمن ابتسامة على كل وجه.

الفصل السابع عشر

ابدئي يا فتاتي!

ذكرت الكثير مما أعرفه ليجعل منك امرأة واثقة، وأعتقد أنك ستمارسين ما عرفتهِ وتبدئين حياة شجاعة خالية من الخوف. لا تحسبي حساب ما مضى من حياتك، فهذه بداية جديدة، فمراحم الله جديدة لك كل صباح، فلا تنظري للوراء بل للأمام. كوني حاسمة، واتبعي صوت قلبك، ولا تعيري اهتماماً كبيراً لتعليقات الناس على قراراتك وعلى شخصك، فمعظمهم لا يفكرون فيك كما تتخيلين أنهم يفعلون.

لا تعيشي تقارنين نفسك بغيرك، بل كوني نفسك (انظري ٢ كورنثوس ١٠: ١٢) وافرحي بما خلقك الله عليك، فأنت فريدة لا توجد امرأة أخرى مثلك، وتمتعي بفكرة أن الله يعرفك من قبل أن يخلقك، ورأى يوم خلقك أنه حسن جداً.

الكلام الواثق والسلوك الواثق

أحياناً يكشف مظهرنا الخارجي عن مشاعرنا الداخلية، والعكس صحيح، فمظهرنا الخارجي الذي نطمئن إليه يبين طمأنينتنا الداخلية. فامشي منتصبه. لا تطأطي رأسك، بل اسلكي باعتبارك ممثلة من الحياة التي وهبها الله لك.

عيشي بانفعال وغيره وحماسة. احتفلي بكل يوم جديد قائلة "هَذَا هُوَ
الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ. نَبَيْتْهُجُ وَنَفَرِحُ فِيهِ" (مزمور ١١٨: ٢٤). فلا
تخافي من يومك، بل اعرفي ما يجب عليك عمله اليوم واعمليه.

ابتسمي

تستخدمين ١٧ عضلة حين تبتسمين و٤٣ عضلة حين تعبسين،
فالعبوسة تكلفك جهداً أكبر. ابتسمي، وابتسمي كثيراً فالابتسامة تشعرك
بأنك أفضل منظراً كما تشعرك بثقة أكبر. كما أن الذين تبتسمين لهم
يشعرون أنهم مقبولون.

وابتسامتنا نتحدث بأفضل من كلماتنا. وأنا أعرف الشخص الواثق
من نفسه من مَسْمِيته ونظرات عينيه. بعض الناس يظهرون غير واثقين
وخائفين، بينما تبدو الثقة على غيرهم.

قد تظنين أنك لا تقدرين أن تغيري من منظرِكَ لكنك تقدرين، فقد كنتُ
نادرة الابتسام، وبسبب متاعب الطفولة وإحباطات الصبا كانت نظراتي
كئيبية دائماً، وكنت أتوقع دوماً كارثة تحل بي، وفقدت كل أمل وكانت
نظرتي للحياة سلبية، وكان وجهي يشي بخوفي الداخلي. وبدأت التغيير
بالابتسام، وأنا الآن أبتسم كثيراً.

الابتسامة سلاح قوي يحطم الجليد، فعندما تواجهين امرأة باردة
الملامح بابتسامة يبدأ الدفء يظهر على ملامحها، فابتسامتك تريح لك
الصديقات. أما إن كَشَّرت فستملأ وجهك التجعُّدات.

حتى الأطفال يفهمون لغة الابتسام، وهي لغة دولية. قال أحدهم "لن
تكون كامل الملابس حتى ترتدي الابتسامة" فالابتسامة تجعلك ناضرة

وتشعر أنك أفضل. وهناك دراسات تقول إن الابتسام في وقت الإرهاق يبسط من نبضات القلب ومن سرعة التنفس. فعندما تنهضين من السرير أجبري نفسك على أن تبترسي حتى إن كنت لا تريدين ذلك، فسيجعل هذا يومك أبهج! إن ابتسامتك ستشجع من تبترسين لها لتخرج من القلق إلى الثقة، وقد تكون نقطة تحول في حياتها، وهي لا تكلفك شيئاً لكنها تريح لك الكثير. التي لا تبترس تشبه المليونير صاحب الرصيد الكبير في البنك لكنه لا يملك دفتر شيكات.

سيدات كثيرات يقلقن على مظهرهن، والابتسام وسيلة قليلة التكاليف تحسّن مظهرك فوراً. قال شخص حكيم "الابتسام ترفع الوجه، وتكلفتها في تناول كل شخص".

عندما وُلدت كنت تصرخين بينما كل المحيطين بك يبتسمون، فعيشي حياتك بطريقة تجعلك يوم موتك تبترسين بينما كل المحيطين بك يبكون.

ربما سمعت عن القس "جويل أوستين" من هيوستن بولاية تكساس الأمريكية، الذي اشتهر في وقت قصير، وهو راعي أكبر كنيسة في أمريكا ومتكلم في محطات تلفزيون كثيرة حول العالم. وهو مشهور بأنه "الواعظ المبتسم" وهو يبتسم طول الوقت. ولقد تناولت معه وجبات كثيرة ولا زلت أحاول أن أعرف كيف بوسعه أن يأكل ويبتسم في نفس الوقت، ولكنه يفعل الاثنين معاً! وهو قسيس عظيم وواعظ مقتدر من كلمة الرب، ولكنني أعتقد أن ابتسامته هي السبب الأول في شعبيته، فالناس يريدون أن يشعروا أنهم أحسن حالاً كلما ابتسمنا لهم، لأن الابتسام تريح الآخر وتعني أنه موضع ترحيب.

كلمات واثقة

يقول الوحي إن في اللسان قوة الحياة والموت، وإننا كثيراً ما نأكل ثمار كلماتنا: "الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ فِي يَدِ اللِّسَانِ، وَأَحِبَّاءُهُ يَأْكُلُونَ ثَمَرَهُ" (أمثال ١٨: ٢١)

كم من مرة نردد القول "أنا خائفة".." "أنا خائفة من نزلة برد جراثيمها تملأ الجو حولي".." "أنا خائفة لئلا يدخل أولادي في مشاكل".." "والأمور تسير بهذا الإيقاع أخاف من مواجهة أزمة مالية".." "أخاف من حضور هذا الحفل لئلا يظن الناس بي شراً".." "أخاف أن يسطو اللصوص على بيتي أثناء وجودي خارج البلاد".

ولو أن أحداً سجل لنا عدد المرات التي قلنا فيها "أنا خائفة" لاندھشنا أن حياتنا سارت بسلاسة.

لو أننا فهمنا قوة الكلام أعتقد أننا كنا نغير طريقة كلامنا، فنتكلم بثقة وشجاعة وبغير خوف، فكلامنا في خوف يؤثر علينا تأثيراً سلبياً كما يؤثر على المحيطين بنا.

أعتقد أنك لو غيرت طريقة كلامك ستشعرين فوراً بأنك أكثر قوة وشجاعة، وأنك أقل خوفاً. قال الرسول يعقوب "وَأَمَّا اللِّسَانُ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُذَلِّلَهُ" (يعقوب ٣: ٢-١٠).

ونحن هنا نحتاج إلى عون إلهي، ففي مرات لا حصر لها نطقنا بكلمات وأقوال دون انتباه لتأثيراتها في مستمعها، فنحتاج لمعونة الرب لندرك خطورة الكلام العاطل الأحقق الشرير.

وحتى بعد أن نعرف أخطاءنا في طريقة كلامنا نحتاج إلى تعلم

عادات جديدة. ويجب أن ندرك أن هدم العادات الكلامية الخاطئة وبناء عادات سليمة يستغرق وقتاً، فلا تفشلي إن لم تحصلي على نصره سريعة في هذا الأمر.

استمري بدون يأس حتى لو كان تقدمك بطيئاً لتكون أقوال فمك مصدر زيادة في حياتك، وليس العكس.

كلمي نفسك بكلمات الحياة

أحب أن أتلو كلمة الله صوت عالٍ، وقد كتبت كتاباً عن هذا الموضوع عنوانه "القوة السرية لتلاوة كلمة الله" قدمت فيه قائمة آيات في فئات، جعلتها في صيغة المتكلم ليسهل على القارئ أن يبدأ بتلاوتها بنفسه.

لا تتكلمي عن نفسك بالأسلوب الذي تشعرين به عن نفسك أو عن منظرک، لكن تكلمي عن نفسك كما تقول كلمة الله الحية. لا تتكلمي عن نفسك كما يتكلم عنك الآخرون، ما لم يكن ما يقولونه يستحق أن يقال مراراً وتكراراً.

ربما كلمك والداك بأسلوب ضيِّع أو أنقص ثققتك بنفسك، ولعلهما فعلا ذلك لأنهما لم يكونا يعرفان أحسن مما فعلا. الأخبار السارة أن لا تسمحى لتأثيرات ما قالاه عنك يبقی في ذاكرتك مدى حياتك. يمكنك من الآن أن تغيري صورة نفسك.

لا تقولي "لا أملك أي ثقة في نفسي" أو "لن أتغلب على مخاوفي". قولي عن نفسك ما تريدين أن يكون ولا تقولي ما عندك الآن، فكل ما يقول الله إنه سيكون من نصيبك سيكون لك. فقط اتفقي مع الله في ما يقول. قال داود "أنت ملجأی، نصیبي في أرض الأحياء" (مزمو ١٤٢: ٥)

وقال بولس "أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي" (فيلبي ٤: ١٣). وأنت قولي "أستطيع أن أفعل كل ما يأمرني الله أن أفعله لأنه سيقويني". قال الله إنه لم يعطنا روح الخوف، فقولي "لا أخاف، لأن الله لم يعطني روح الخوف".

كلما تلوت كلمة الله يتجدد ذهنك كما قال بولس في رومية ١٢. فقد قال إنه مع أن عند الله خطة صالحة لحياتنا إلا أننا يجب أن نجد أذهاننا ونتعلم كيف نفكر بطريقة سليمة قبل أن نحصل على الفكر الجديد. قال المسيح "مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُ" (متى ١٢: ٣٤) فما يقوله فمك يترك تأثيره في قلبك. إنها دورة.

من يأتي أولاً: الأفكار أم الكلمات؟ إجابة هذا السؤال ليست مهمة، لأن كليهما يؤثر في الآخر، ويجب إصلاحهما لنتمتع بالحياة التي مات المسيح ليمنحنا إياها.

لا تقولي "أنا مكتئبة. أنا مشوشة الفكر" .. "أنا موشكة على التوقف" .. "لم يحدث لي شيء صالح". لا فائدة في مثل هذا القول الذي لن يضيف فائدة على حياتك، بل إنه سيمنع تمتعك بالحياة.

إن اعتبرت نفسك لا شيء، بدون تقدير لحياتك، وإن كنت خائفة وخجولة، فأعتقد أنك يجب أن تختبري الآن نقطة تحول في حياتك تحتاجين فيها إلى الاستمرار بعزم. الذي سيغير حياتنا ليس الصائب الذي نكرر عمله عدة مرات، بل الصائب الذي نستمر في ممارسته.

إن فهمنا حقاً القوة الكامنة في الكلمات أعتقد أننا كنا سنغير الأسلوب الذي نتكلم به

الكلام الواثق يصقل

عندما تتكلمين بثقة تصقلين المحيطين بك، وسيثقون فيك عندما يجدونك واثقةً في نفسك. فلا تكوني متكبرة بل كوني واثقة. تعمل في مكتبي سيدة من النوع الذي يقوم بكل يُكلف به مهما كلفه ذلك.

ولا أدري إن كانت واثقة بنفسها كما يظهر عليها، لكنها تريحني، ففي كل مرة نطلب منها عملاً تقول "مفيش مشاكل" ولا تقولها بكبرياء، بل تقصد أن تقول إنها ستقوم بما نطلبه بدون قلق من جانبنا. والمشغولات مثلي يحتجن إلى امرأة من هذا النوع.

وأنا واثقة أنها لو لم تكن تعرف كيف تقوم بالمطلوب منها فإنها ستسأل لتعرف، أو تكلف شخصاً يعرف ليقوم بما لا تعرفه هي. وعندما نطلب منها شيئاً كانت تقول باستمرار "سيكون هذا موضوع اهتمامي".

أنا لا أقترح أن يقوم شخص بعمل ليس هو موهوباً فيه، كما أننا لا نقوم إلا بما يعيننا الله على أن نقوم به. أنا واثقة أنني معلّمة صالحة في تدريس الكتاب المقدس، ولو لم أكن كذلك لما حاولت أن أعلم. فلماذا تقضي كل حياتك تعمل شيئاً تعتقد أنه ليس في قدرتك القيام به بطريقة جيدة؟

يا فتاتي، ابدئي الكلام والسلوك بثقة، فهذا أوان رفع وجهك إلى فوق وسيرك بثقة. توقعي حدوث أشياء عظيمة في حياتك.

توقعي بثقة

لا حقاً لنا أن نتوقع ما لم نطلبه في الصلاة (يعقوب ٤: ٢) فاطلبي واستمري في الطلب (متى ٧: ٧). ولطريقة الصلاة أهمية، فإن طلبه البار

تقتدر كثيراً في فعلها (يعقوب ٥: ١٦). لا يقول "طلبة الذي يشعر بالذنب، أو الذي تحت دينونة، أو الشرير الذي يستحق غضب الله، أو الخائف، الجبان، الخجول، ذو الرأيين".

يقول الكتاب "صِرْنَا كُلُّنَا كَنَجَسٍ وَكَثُوبٍ عِدَّةٍ كُلُّ أَعْمَالِ بَرِّنَا" (إشعيا ٦٤: ٦) كما يقول إن كلنا كغنم ضللنا وأخطأنا. ليس من يعمل صلاحاً.

لكن البار الذي يستجيب الله طلبته هو الذي يكتسي بثوب بر المسيح، وهو الثوب الذي يمنحه الله للمؤمن الحقيقي.

لقد حمل المسيح خطايانا على الصليب وهبنا بره (٢ كورنثوس ٥: ٢١). فندعو أنفسنا أبراراً لأنه يمنحنا موقفاً سليماً مع الله بدم ذبيحة نفسه. وعندما نطلب بخوف لا نتوقع استجابة، بل يجب أن نتقدم لعرش النعمة بثقة، كما يقول الكتاب:

"فَلِنَتَّقِدْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً، وَنَجِدَ نِعْمَةً، عَوْنًا فِي حِينِهِ" (عبرانيين ٤: ١٦).

هكذا يجب أن نجيء إلى عرش النعمة "بثقة وبغير خوف" لأننا نعلم أن الله أمين وصالح ويريد أن يسد أعوازنا. لا يجب أن نتصرف وكأن الله بخيل، لا يساعدنا إلا إن لوينا ذراعه، إذ هو مستعد أن يسمع صراخنا.

يعجز بعض الناس أن يصلوا بشجاعة لأن ضمائهم تعذبهم. هؤلاء يجب أن يتوبوا ويكرسوا نفوسهم للرب، ويغيروا أسلوب حياتهم. إن كان هذا وصفاً لحالتك فأسرعي بالتوبة. لا تصرفي بقية حياتك في حزن على ما فات.

”أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، إِنَّ لَمْ تَلْمُنَا قُلُوبُنَا (إِنْ لَمْ تَعَذِّبْنَا ضَمَائِرُنَا) فَلَنَا ثِقَةٌ (تأكيد وشجاعة) مِنْ نَحْوِ اللَّهِ“ (أيوحنا ٣: ٢١).

يقول الوحي في أفسس ٣: ٢٠ إن الله هو ”الْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِيْنَا“. فهل أنت شجاعة في طلباتك؟ هل تتوقعين من الله ما يملأ كل احتياجاتك؟ يحاول الشيطان أن يقنعنا بالمجيء للرب بقامة منحنية نخبره أننا أردياء جداً، فلا يجب أن نطلب منه الكثير لأننا لا نستحق، فالشيطان يخاف من الصلوات الشجاعة الواثقة المتوقعة بغير خوف. أنا أحب الآية التالية، فأرجوك أن تتأملها بعناية.

”الَّذِي بِهِ لَنَا جَرَاءَةٌ (شجاعة وإيمان) وَقُدُومٌ (لا يوجد ما يمنعنا من أن نأتي إليه) بِإِيْمَانِهِ عَنِ ثِقَّةٍ“ (أفسس ٣: ١٢).

يا للروعة! يمكن أن نمثل في حضرة الرب في أي وقت نشاء، دون انتظار دعوة خاصة منه، فحجرة العرش مفتوحة لنا دوماً. إنه لا ينعس ولا ينام، فهو مستعد لسداد احتياجاتنا بسرور. إن الملايين يصلون. لكن السؤال الهام هو: كيف يصلون؟ هل يصلون بشجاعة وثقة وبغير خجل أو خوف، وهم يتوقعون الاستجابة؟ أم هل يطلبون الكفاف وهم يشكون حتى في نوال هذا القليل؟

هيا يا فتاتي. صلي كما لم تفعلي من قبل. صدقي أن الله يريد أن يعطيك ما تحتاجين لأنه صالح، وليس لأننا صالحون. نحن المخلوقين من لحم ودم نخطئ طول الوقت، ولا فرق بيننا في هذا. فتوقفي عن لوم نفسك، فإن الرب هو إلهك حتى نهاية العمر.

كوني واثقة حتى لو لم تشعرني بذلك، وانتظري عمل الرب العظيم معك.

إنه يوم جديد

لقد تغيرت النظرة للمرأة، أو هي في طريقها للتغيير. ولكن بقي الكثير لنفعله. إننا نقدر ما فعلته بعض السيدات الرائدات في حركة تحرير المرأة، ونحن نتعاطف مع اللاتي عشن في الماضي فلم يتمتعن بما نتمتع نحن به.

ونحن نذكر بدموع ملايين السيدات اللاتي حُرمن من التمتع بالمصير الذي أراده الله لهنّ.. فيجب أن نتقدم للأمام لنحقق لهنّ أحلاماً لم يحققنها لأنفسهن.

هيا يا فتاتي للأمام فهذا يوم جديد، لم تعد فيه معطلات. إن الباب مفتوح لك على مصراعيه لتحقيقي أحلامك، فتقدمي بثقة، ولا تنظري إلى الوراء!